

في رحاب
سورة الفتح المباركة
الإمام الخامنئي دام ظلّه



جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

هوية الكتاب

الكتاب : في رحاب سورة الفتح المباركة

إشارات واستفادات من كلمات وليّ أمر المسلمين

الإمام السيّد عليّ الحسينيّ الخامنئي دام ظلّه

إعداد وتنظيم: السيّد أحمد صوليّ الحسينيّ العامليّ

الناشر: مركز نداء الإمام الراحل (منار) لنشر الفكر الأصيل

بالتعاون مع مؤسسة محمّديّون للثقافة والنشر

الطبعة: الأولى، شعبان المعظم ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م



□ لبنان - بيروت - حارة حريك - هاتف: +٩٨٩٣٧٣٨٧٦٥٨٥

□ البريد الإلكتروني:

nida2_imam@hotmail.com

ahmadsouli1979@gmail.com

في رحاب سورة الفتح المباركة

إشارات واستفادات من كلمات ولي أمر المسلمين

الإمام السيد علي الحسيني الحسيني (دام ظلّه)

إعداد وتنظيم

السيد محمد هادي الحسيني (دام ظلّه)

الجزء الثاني

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين

والصّلاة والسلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين

سيّدنا وقائدنا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله ﷺ

وعلى أهل بيته الهداة المهديّين، المعصومين، المظلومين

واللعن الدائم على أعدائهم وظالمهم وغاصبي حقوقهم

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: (٩٧)]

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ...﴾

وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: (٢٠)]

اللَّهُمَّ عَجِّلْ لَوْلِيكَ الْفَرَجَ وَالْعَافِيَةَ وَالنَّصْرَ

واجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه

والمسارعين إلى خدمته والمستشهدين بين يديه

برحمتك يا أرحم الراحمين

في رحاب الآية: (١٦)

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ
أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ
يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١)



عذاب التخلّي عن نصره الدين

«[هناك] وعيدٌ من الله ﷻ للذين لا يلبّون الدعوة إلى نصره الدين: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١). هذا وليس بالضرورة أن يكون العذاب المتوعّد به هو عذاب الآخرة فقط، وإنّه لمن ضيق الأفق ما جرت عليه العادة من تبادر العذاب الأخرويّ إلى الأذهان عندما تُسمع هذه الكلمة من القرآن الكريم أو من غيره من المصادر الدينيّة. فمن العذاب الذي يصيب المتخلّفين عن الجهاد، العذاب المباشر الذي يلازم التخلّي عن أداء الواجب، وهو عذاب الذلّ والخزي الناجم عن تسلّط الأعداء. والعذاب في مقابل التاريخ، والعذاب الذي يترتّب على تجاهل الحقّ والحقيقة، وما ينجم عنه من عدم نيل السعادة، وعذاب الضمير، كلّ هذه العذابات هي عذابات تصيب مستحقّها في الدنيا. والضيق الاقتصاديّ وقلة ذات اليد عذابٌ آخر يترتّب في كثير من الحالات على ترك الجهاد ونصرة الدين؛ وذلك لأنّ عمارة الدنيا تكون بالدين أيضاً؛ وبناءً على هذا كلّّه، ينبغي توسعة دائرة دلالة العذاب المشار إليه في الآية إلى عذاب الدنيا أيضاً.

عندما يدعو النبي ﷺ إلى الجهاد ولا يُستجاب له، النتيجة التي تترتّب على عدم الاستجابة هي عدم تحقّق المجتمع الإسلاميّ، أو تضعيف المجتمع الموجود والحيلولة دون قوّته، وهذا يعني قوّة

(١) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٩).

الأعداء وغلبتهم. وقد يؤدي ذلك إلى انهيار المجتمع الإسلامي وعودة الناس إلى الجاهلية والشرك، لتحكم دولة الطاغوت بدل دولة الله ﷻ، ويُدعى إلى طاعة الطاغوت بدل طاعة الله ﷻ، وحتى لو افترضنا أن دولة الإسلام بقيت قائمة، ولكنها سوف تُدار بواسطة الأعداء المتغلبين وسوف تكون ألعوبة للمستعمرين، وينجم عن ذلك استعباد المسلمين للكفار.

وخلاصة القول: إن ترك الجهاد يؤدي إلى تسلط الأعداء، وإلى إذلال المسلمين واستعبادهم، وسوف يتحوّل المسلمون شأوا ذلك أم أبوا إلى قوة تُضاف إلى قوة العدو.

ولو أن جنود الإسلام في عصر النبي ﷺ أصابتهم رهبة الموت، وأحجموا عن النفر إلى ساحات الجهاد، لسيطر الروم واليهود ومشركو قريش على المجتمع الإسلامي. وقد حصل بعد وفاة رسول الله ﷺ والنتيجة كانت أن الدولة التي كان يبشّر بها الإمام عليّ عليه السلام لم تستطع الاستمرار، وآلت الأمور إلى دول أخرى وأصاب الناس عذاب أليم. وقبل أن تمضي على وفاة النبي ﷺ أكثر من ثلاثين سنة، تسلط معاوية على رقاب المسلمين وعلى المجتمع الإسلامي، وبدل دولة الإسلام والمسلمين إلى دولة الطاغوت، وأذل المسلمين وأعز المنافقين.

عندما يتخاذل المسلمون عن النفر إلى ساحات الجهاد، تكون العقوبة هي الابتلاء بهذا العذاب، وسوف يكون ذلك في الدنيا أولاً وفي الآخرة ثانياً وأخيراً، وهذا هو معنى: "الدنيا مزرعة الآخرة". العمل صالحاً كان أم سيئاً سوف يرى الإنسان نتيجته في العاجل والآجل. وهذا هو القانون الإلهي الحاكم على نظام الخلق البشري، كلما تخلّى المجتمع عن واجباته في طريق الحق، وأخلّى عاتقه من المسؤوليات المطلوبة منه، سوف يُبتلى بالفقر والذلّ في الدنيا، وسوف يكون تعيس الحظّ في الآخرة^(١).

ترك الجهاد سبب ضعف الأمة الإسلامية وتخلّفها

«إنّ الأمة الإسلامية لم تصل إلى هذا الوضع المؤسف إلّا لتركيها الجهاد في سبيل الله ﷻ. لقد كانت الأمة الإسلامية سبّاقةً على طريق التقدّم والعلم والحضارة والأخلاق ونشر القيم الإنسانية طوال قرون متمادية من التاريخ، ولكنها باتت اليوم تعاني من التفرّق والضعف والتخلّف؛ ممّا جعل الكفّار وأعداء الدين يتدخلون في شؤونها السياسيّة وأمور حياتها العامّة،

(١) تفسير سورة براءة، للإمام الخامنّي دام ظلّه، الجلسة الثالثة عشرة، تفسير الآيات: (٣٨-٤٠)،

ويمارسون عليها كل أنواع الظلم دون أن تحرّك ساكناً للدفاع عن نفسها. وما هذا الضعف والانحطاط الذي يغشى العالم الإسلاميّ إلّا نتيجة للتخلّي عن الجهاد في سبيل الله ﷻ.

إننا لا نقول: لماذا لم تمتشقوا السيوف وتحملوا السلاح لمقاتلة الأعداء في كل حين مع أنّ القتال نوعٌ من أنواع الجهاد؟
ولكننا نقول: لماذا تقاعستم عن معرفة عدوكم؟ ولماذا عشتُم في غفلة عن مخططاته؟ ولماذا ظلّتم غافلين عن مكائده؟ ولماذا خدعكم الأعداء؟^(١).

التفسير الصحيح للجهاد الإسلاميّ

«عندما كان العالم الغربيّ في القرون الوسطى قابلاً بالجهل والظلام والعمى، كان العالم الإسلاميّ يعيش في عهد التفتح العلميّ والعقليّ والفكريّ والفلسفيّ، وعهد العلماء كابن سينا والفارابيّ وأمثالهم.

إنّ عدم فهم مسألة الجهاد الإسلاميّ والتصور الخاطئ لها،

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه حشوداً شعيّة مختلفة، بمناسبة الثالث عشر من

رجب، ذكرى ولادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بتاريخ: ١٣٨٥/٥/١٧ هـ/ش، الموافق لـ

هو ظلم آخر. لم يكن الجهاد الإسلامي من أجل فرض العقيدة، بل لمحاربة الأشخاص الذين يريدون أن يستعبدوا الإنسانية. الجهاد الإسلامي ليس حرباً مع الشعوب، بل حرباً ضدّ القوى الظالمة والمستكبرة. هذا هو تاريخ الإسلام، وهذا هو سلوك قادة الإسلام، وإرشاداتهم.

توجد في رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) - التي يخاطب بها مالك الأشتر - العبارة الخالدة التي لا يطرأ عليها النسيان، وهي قوله: إنّ الأشخاص الذين تواجههم، إمّا هم على نفس عقيدتك، وأمّا نظير لك في الخلق، فينبغي لك أن تتعامل بالأخلاق الكريمة حتّى مع الأشخاص الذين يختلفون معك في مسألة العقيدة. ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١). إنّ هذه أوامر القرآن الكريم، هذه هي أوامر الإسلام، فكيف لا يفهم الإنسان هذا، ويفسّر الجهاد الإسلامي - الذي يعتبر المقاومة طريق تحرّر الشعوب، والتي تخلص الشعوب من مخالف القوى المستكبرة والظالمة - بهذه الطريقة.

إنَّ مثل هذه الآراء التفسيرية - للأسف - لم تكن مقتصرة على الوقت الحاضر، بل إنَّ علماء الغرب كانوا يثيرون هذا الكلام ضدَّ الإسلام منذ قرون متمادية، وكنا نتصوّر أنَّ هذا الكلام قد انقطع في العهود الأخيرة، واتّضحت حقيقة الأمر، إلّا أنَّ المرء وللأسف يرى مرّة أخرى أنَّ هذا الكلام الذي يجب أن لا يطرأ على الألسن، أخذ بالعودة مرّة أخرى^(١).

معارضة أمريكا للإسلام وسعيها لتشويه صورة الجهاد وحذفه

«لقد سعى أفرادٌ ... إلى تشويه صورة الجهاد، وكما تعلمون، تسعى أمريكا اليوم إلى حذف آيات الجهاد من الكتب الدراسية في بعض دول المنطقة وأصرّوا عليهم أن يفعلوا ذلك، وقد وافقت بعض هذه الدول الضعيفة والذليلة على ذلك.

يريدون أن يحذفوا الجهاد من القرآن والتعاليم الدينية؛ لأنَّ الجهاد في سبيل الله ﷻ هو الضامن الوحيد لعزّة الشعوب المسلمة والأمة الإسلامية والمتراس والحصن الحصين للمقاومة، ويصوِّرون

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي لجنة إقامة الصلاة، بتاريخ: ١٣٨٥/٦/٢٧

ه/ش، الموافق لـ ١٨/٩/٢٠٠٦ م.

الشهادة على أنها عمل أبله مع أنها أرفع قيمة يخلفها الجهاد»^(١).
«وتلاحظون أنّ طرح قضية الجهاد في بعض البلدان الإسلاميّة،
تعدّ اليوم جريمة! يجب عدم طرح قضية الجهاد في الكتب المدرسيّة،
وينبغي عدم ذكر الجهاد والشهادة في حوارات المرتبطين بنحوٍ من
الأنحاء بالأجهزة الحكوميّة. يهاجمون هذه الأمور علناً»^(٢).
«أمريكا تعارض الإسلام حتى لو لم يكن إسلاماً يحكم، أي
حتى بالمقدار الموجود اليوم في العربيّة السعوديّة ومصر... لقد
زوّدوني بتقرير يفيد أنّ السياسيّين الأمريكيّين قالوا لأحد وزراء أحد
البلدان الإسلاميّة المعروفة إنّ عليكم التقليل من تدريس قضايا الدين
والجهاد في كتبكم المدرسيّة، لماذا تدرسون مثل هذه الأمور في
كتبكم المدرسيّة؟ هذه هي المسألة. إنّهم منزعجون وغاضبون من
أصل الإسلام والتفكير الإسلاميّ الذي يحضّر صاحبه على عدم
الخوف والتهيب من أيّة قدرة ماديّة»^(٣).

(١) كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال المراسم الصباحيّة لمجموعات قوآت النعبه، بتاريخ:

١٣٨٤/٦/٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٥/٨/٢٤ م.

(٢) كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في مسابقات القرآن الكريم، بتاريخ:

١٣٨٨/٥/٣ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٩/٧/٢٥ م.

(٣) كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة

الإيرانيّة، بتاريخ: ١٣٨٠/١٢/٢٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٢/٣/١٨ م.

«أذكر لكم أنه لسنوات طويلة كان هناك سعيٌّ لأجل إيجاد مسافة وفاصلة بين المعارف القرآنيّة وقلوب مجتمع المسلمين والأمة الإسلاميّة، ولا زال هذا السعي مستمرّاً إلى الآن. ففي يومنا هذا وفي بعض الدول الإسلاميّة فإنّ رؤساء المسلمين في هذه الدول ولأجل مراعاة أعداء الإسلام مستعدّون لإخراج فصل الجهاد من تعاليمهم الإسلاميّة. مستعدّون لإخراج وإبعاد المعارف القرآنيّة من تعاليمهم العامّة في مدارسهم وبين شبابهم إذا كانت تخدش مصالح الأعداء. واليوم يجري الأمر على هذا المنوال»^(١).

إِيَّاكُمْ وَتَرَكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ

«إِيَّاكُمْ وَتَرَكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، الجهاد بالمال وبالنفس وباللسان، فلقد كانت الأمة الإسلاميّة أمة نموذجيّة في العالم طالما كان لها هذا، وأصبحت ذليلةً منذ أن تخلّت عن هذا.

لقد ذكر الكتاب المسيحيّون في إنجيلهم عن المسيح ﷺ أنّه: «إذا ضربك أحدٌ على خدّك الأيمن فأدرْ له خدّك الأيسر». إنّ أولئك الذين أرادوا القول لسنا أبداً دعاة حرب، أولئك الذين كانت

(١) كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في برنامج اختتام الدورة السابعة

والعشرين من مسابقات القرآن الكريم، بتاريخ: ١٣٨٩/٤/٢٤ هـ/ش، الموافق لـ

شعاراتهم السلام والصلح المطلق والمحبة، ولا يزالون يقولون، ولم يستحووا بعد، بدأوا يطعنون بالمسلمين، أن يا سادة! أنتم أهل الجهاد، أنتم أهل الحرب، أنتم أصحاب السيف، أنتم أهل سفك الدماء. كم قالوا وقالوا وقالوا، لدرجة أنهم دفعوا المسلمين للخجل. كتب الكتاب والعلماء المسلمون: لا يا سادة! نحن ليس لدينا جهاد، جهادنا في الواقع هو دفاع. ما معنى هذا؟ يقول الله ﷻ: جاهد، ويقول هذا السيد الجهاد دفاع! الله ﷻ يقول: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾^(١)، ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٢)، ويقول هذا السيد: ليس الجهاد في سبيل الله جهاداً، ليس هجومياً، هو دفاعي! وهذا نتيجة ردّ الفعل تلك تجاه الدعاية المسيحية. لكثرة ما ذكر هؤلاء اسم الصلح والسلام، ولكثرة ما قالوا إنّ الحرب سيئة يا سادة، وامتنشق السيف سيء يا سادة، ولا تهاجموا أحداً يا سادة؛ أقعدوا المسلمين الذين كانوا أهل جهاد، ونالوا العزة بالجهاد، في بيوتهم. وعندها، فأينما تمكّن نفس هؤلاء السادة أهل السلام من تعذيب المسلمين فقد فعلوا. إنّ ما ترونه اليوم في أوروبا في البوسنة والهرسك، أو ما ترونه في الحرم الإبراهيمي - مسجد خليل الرحمان عليه السلام في فلسطين

(١) سورة "الأنفال" المباركة، جزء من الآية: (١٥).

(٢) سورة "التوبة" المباركة، جزء من الآية: (١٢٣).

المحتلة - هو نتيجة ظلم ونفاق هؤلاء الأوروبيين أنفسهم، الأميركيون والغربيون الذين لسنين وهم يقرعون المسلمين، أن يا سادة! أنتم أهل جهاد، والجهاد سيء.

منذ الحروب الصليبية وإلى اليوم، قاتلوا المسلمين ما استطاعوا، وحاربوهم وقتلوهم، المسيحيون فعلوا ذلك بنحو، وفعله أولئك الآخرون بنحو آخر. إنها قصة عجيبة!! إذا قرأ أحد التاريخ، أو إن كان يعرف التاريخ، فسقطر قلبه دمًا، وسيبكي دمًا، بسبب حالات الظلم، كما بسبب النفاق؛ أن يتشدق الإنسان إلى هذا الحد بالحديث عن السلام، ويكون لديه كل هذه السيوف والخناجر الظاهرة والمخفية! كلاً، ينبغي أن يكون الجهاد بنفس حالته الإسلامية تلك. طبعاً للجهاد حدود، ليس في الجهاد ظلم، ليس في الجهاد اعتداء، ليس في الجهاد انتهاك لحقوق الناس، ليس في الجهاد اختلاق الذرائع لقتل هذا وذاك، ليس الجهاد القضاء على كل من ليس مسلماً، الجهاد حكم إلهي، وهو أيضاً عظيمٌ للغاية.

إذا كان الجهاد، فإن الشعوب ستصبح عزيزة، ولهذا يوصي أمير المؤمنين عليه السلام بالجهاد^(١).

(١) من كلام للإمام الخامنئي دام ظلّه في خطبتي صلاة الجمعة التي أقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣/١٢/١٣٧٢ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٤/٣/٤ م.

الجهاد طريق الأنبياء وخاصة الأولياء عليهم السلام

«يقول لنا أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ»^(١). لقد فتح الله ﷻ هذا الباب لأوليائه الخاصين. اليوم فتح الله ﷻ هذا الباب لنا على مصراعيه، وهذا ما نقدّره. وقد قال لنا أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢). الله الله، التحقوا بهذا الجهاد بأرواحكم وأموالكم وألسنتكم، وهذا واجبٌ علينا جميعاً»^(٣).

«لقد اقتحم الكثير من الأنبياء عليهم السلام ميدان الجهاد والحرب المقدّس؛ ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِيّوْنٌ كَثِيرٌ﴾^(٤)، وإنّ الذين يتوهّمون أنّ على الإسلام أن ينزوي، وعلى رجاله التوسّل بمنطق النصيح فقط، إنّما هم يردّدون عن علمٍ أو جهل ما تصبو إليه دوائر

(١) راجع: نهج البلاغة، للشریف الرضی عليه السلام، من خطبةٍ لأمریر المؤمنین عليهم السلام فی فضل الجهاد، ص: ٦٩.

(٢) راجع: نهج البلاغة، للشریف الرضی عليه السلام، من وصیةٍ أمریر المؤمنین عليهم السلام للحسن والحسین عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم رضي الله عنه، ص: ٤٢١.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي دام ظله في خطبتي صلاة الجمعة التي أقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران" في الجمعة الأولى بعد بدء الحرب المفروضة، بتاريخ: ١٣٥٩/٧/٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٨٠/٩/٢٦ م.

(٤) سورة آل عمران "المباركة، جزءٌ من الآية: (١٤٦).

السلطة العالميّة وتريده، فدوائر الهيمنة الاستكباريّة لا يرهباها أن يقبع زعماء الإسلام في زوايا العالم ويبادرون بين الفينة والأخرى لإصدار بيان أو تصريح - كما يفعل أحبار المسيحيّة في إصدار بيان وإسداء موعظة التفوّه بكلمة في أيّ من القضايا - فهُمْ يعلمون بأنّ ذلك لا يشكّل خطراً بالنسبة إليهم، بل إنهم يرهبون ويخافون أن يستيقظ المسلمون وقيموا حكومةً واحدة، وأن يتجسّد الإيمان الدينيّ لدى أبناء الأُمّة في إطار نظامٍ واحدٍ ودولةٍ واحدةٍ وحكومةٍ واحدةٍ، ولقد خطا النظام الإسلاميّ والشعب الإيرانيّ المسلم الخطوة العملاقة في هذا الدرب، وبفضل جهاد شباب هذا الشعب والمؤمنين من رجاله ونسائه برز الإسلام كقوّة على الصعيد العالميّ، وكلّما استطاعت هذه القوّة أن تزداد ثباتاً ورسوخاً تضاعف الخطر الذي يهدّد النظام الظالم والشيطانيّ في العالم. يتحدّث البعض دون وعي عن فصل الدين عن السياسة، بمعنى دفعهم الدين إلى أقبية الانعزال، وأن يكتفي المتديّن بالنصيحة فقط. إنّ النصيحة هنا لا تقوى على فعل شيء، وإنّ ما يقوى على كبح جماح القوى الكبرى وتهديدها ومقاومة الظلم والفساد واستئصالهما، أو زعزعتهما هي القدرة الإلهيّة والإسلاميّة»^(١).

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه حشوداً شعبيّة غفيرة بمناسبة ذكرى ولادة الإمام

صاحب العصر والزمان ﷺ، بتاريخ: ١٣٨١/٧/٣٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/١٠/٢٢ م.

الجهاد هو الحلّ الوحيد لمواجهة الأزمات

«لقد واجه النظام الإسلامي منذ قيامه تحدياً دولياً كبيراً؛ والسبب في ذلك هو أنّ ذوي القدرة في العالم الذين كانوا ولازالوا يفكّرون بمصالحهم لم يكونوا يطبقون انبثاق وامتداد قدرة جيّدة في العالم مناهضة لمصالحهم، وقد تبلورت هذه القدرة بانتصار الثورة الإسلاميّة وقيام النظام الإسلاميّ في إيران، ولم تكن هذه الحكومة وهذا النظام الإسلاميّ الخطر الوحيد، بل ربّما الأهمّ والأخطر بالنسبة للاستكبار هو اتّساع الصحوّة الإسلاميّة في العالم الإسلاميّ؛ فالخطر الذي يهدّد الاستكبار اليوم وجعله يوجّه عداؤه نحو العالم الإسلاميّ وبالذات قطب الرّحى لدنيا الإسلام - النظام الإسلاميّ - كان أمراً لا مفرّ منه. وقد اتّخذ هذا العداء صوراً شتّى منذ اليوم الأوّل.

ليس من الصحيح ما يسمعه المرء من عبارات تتحدّث عن العداء الذي يناصبه الاستكبار والجبهات السلطويّة المدجّجة بالسلاح في العالم - عالم الكفر والاستكبار - لإيران الآن، وكأنّ هذا الأوان له خصوصيّة، فلقد كانت الأخطار تهدّد النظام الإسلاميّ والبلد الإسلاميّ إيران بصور شتّى منذ مطلع انتصار الثورة، حتّى إنّ ظهور نماذج وآثار هذا العداء في بلادنا كانت أشدّ وطأة وأكثر لمساّ ممّا عليه الآن، فلا ننسى فترة الحرب المفروضة وتهديدات الاستكبار،

وبقاء نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وحيداً في مواجهة عالم الاستكبار، وفرض مثل هذه الحرب علينا وما قبلها وما بعدها حتّى يومنا هذا، واليوم تتواصل تلك التهديدات، ومع فارق يصبّ لصالحنا فنحن اليوم أكثر تجربةً ووعياً، وفي بلادنا الكثير من الطاقات والعقول الكفوءة على امتداد أرجاء الوطن، وقد عاملنا الله ﷻ لحدّ الآن في ضوء جهاد شعبنا ونوايا الصلاح والخير الكامنة لدى جماهيرنا وأمّتنا، وهكذا سيكون الحال لاحقاً إن شاء الله ﷻ.

تكليفنا: عدم ترك ساحة الجهاد والنضال

ما شعرت وأشعر به كتكليف بالنسبة لي في ظلّ الظروف الراهنة وأوصي به مسؤولي البلاد أيضاً هو: أن لا نترك ساحة الجهاد، فالجهاد في الميادين التي يحدّها تشخيصنا وفهمنا الصائب للأمور تكليفٌ علينا، وإنّ هذا الجهاد هو أهمّ السبل للخروج من المشاكل. فلا بدّ من الجهاد والسعي، فمواصلة الجهاد والنضال خلال فترة الاضطهاد التي مارسها النظام الطاغوتيّ هي التي استطاعت إخراجنا من المشاكل الكبيرة التي كانت سائدةً في بلادنا وأحاطت بنا يومذاك، كما أنّ الجهاد الدؤوب خلال فترة الحرب استطاعت أن تزيل عن البلاد تهديداً كبيراً كان يواجه بلدنا، مثلما كان استمرار الجهاد

والصمود بوجه المشكلات على مدى السنوات الخمس والعشرين من عمر الثورة الحافل بالأحداث السبيل الأوحـد لعلاج المشاكل والخروج منها.

يقول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١)، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾^(٢). إنَّ هذا الجهاد هو السبيل الوحيد أماننا، والحمد لله ﷻ فإنَّ شعبنا ومسؤولينا وشريحة الشباب وعناصر مؤمنة لا حصر لها في مجتمعنا متأهبة لهذا الجهاد، وعلينا فقط أن لا نسمح بأن يعتري الفتور عزيمتنا.

إنَّه جهاد في شتى الميادين وأهمها - أولاً - الجهاد في سبيل الحفاظ على استقلال البلاد وعزة الشعب بوجه السياسة التوسعية والانفرادية التي تمارسها أمريكا في العالم خلال السنوات الأخيرة، وهذا التفرد والعدوان لا يقتصر على بلدان العالم الإسلامي أو دول الشرق أو بلدان الشرق الأوسط، بل هو يمتدُّ إلى كلِّ العالم، فالיום حتَّى الأوروبيين يشعرون بأنهم يتعرَّضون للتجاوز والعدوان الأمريكي اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، وهذه حقيقة.

إنَّ جانباً من هذه السياسة التوسعية والعدوانية موجّه إلى منطقتنا

(١) سورة "العنكبوت" المباركة، جزءٌ من الآية: (٦٩).

(٢) سورة "العنكبوت" المباركة، جزءٌ من الآية: (٦).

وبلادنا، فيجب خوض الجهاد والمقاومة في هذا الميدان بوعي وعدم السماح بأن يُمسَّ استقلال البلاد أو تُصادر عزة الشعب، العزة التي حصل عليها الوطن بفضل الإسلام وجهاد أبناء الشعب، فيجب أن نحافظ عليها بكلّ كياننا. هذا أحد ميادين الجهاد»^(١).

الجهاد ... خروجٌ من الغفلة وحفظٌ للهويّة الإسلاميّة

«منذ ألف سنة والمسلمون يغطّون في نوم الغفلة. منذ مائتي سنة والاستعمار يسيطر على الأراضي الإسلاميّة ويحكمها، وما يزال الاستكبار العالميّ إلى اليوم يسيطر على بعض أجزاء العالم الإسلاميّ، أليس هؤلاء المسلمون مؤمنين؟ بلى، مؤمنون، ويؤدّون الصلاة، لكن هذا غير كافٍ. لا يكفي مجرد الإيمان، وأداء الصلاة، والصيام لتحقيق النصر والنجاح، الأمر يحتاج إلى جهاد. في ظلّ الجهاد تتمكّن أمة ما أن تصون نفسها، وهويّتها، وعرضها، ومفاخرها، وتاريخها، وثقافتها، واستقلالها، وحرّيّتها. وهذا ما فعله شعبنا، وكان لأبنائكم دور الريادة على هذا الطريق. عليكم أن تفتخروا بهذا الجهاد وهذه التضحيات. على أبناء الشهداء أن يفتخروا بأبائهم؛ لأنّهم كانوا الأشخاص الذين

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة في الجمهوريّة

الإسلاميّة الإيرانيّة، بمناسبة الثالث عشر من رجب، ذكرى ولادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

بتاريخ: ١٣٨٢/٦/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٣/٩/١٠ م.

غيروا مسار التاريخ، وركعوا أقوى المستكبرين في العالم، وأكثرهم ضراوةً ووحشيةً، وحفظوا دين الله ﷻ، ورفعوا رأس أمتهم عاليًا^(١).

التقدّم والحضارة ثمرة الجهاد الدؤوب والمستمرّ

«الجهاد الدؤوب، حاجةٌ للجميع، فكلّ التقدّم والحضارة هو ببركة الجهاد المستمرّ. ولا يعني الجهاد الدؤوب، التعب والمعاناة، إنّما هو عمليةٌ شيّقة، يخلقُ النشاط والحيويّة ويبعث على البهجة. واليوم إذ نحتاج إلى الجهاد، فيأتي أحدهم، ويدعو إلى التراخي والكسل والانزواء والبطالة، بالطبع يعتبر هذا ضرباً من كفران النعم الإلهيّة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾^(٢). يجب أن لا يحدث هذا»^(٣).



(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مع جمع من أهل الإيثار وعوائل الشهداء في محافظة "كرمان"، بتاريخ: ١٣٨٤/٢/١٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٥/٥/٢ م.

(٢) سورة "إبراهيم عليه السلام" المباركة، الآية: (٢٨).

(٣) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من شعراء ومادحي أهل البيت عليهم السلام، بمناسبة ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، بتاريخ: ١٣٩٢/٢/١١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٣/٥/١ م.

في رحاب الآية: (١٧)

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ
وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١)

حقيقة طاعة الله ﷻ ورسوله وقبول وليّ الأمر المعين منه ﷺ

«طاعة الله ﷻ تعني اتباع الأحكام الإلهية وقبول النظام الإلهي الذي يعتمد على الفكر الإلهي، وعدّ القائد والحاكم ذي القيم الإلهية قائداً وحاكماً وإطاعته، وعدّ النبي المرسل من الله ﷻ واجب الإطاعة، وأن يقبل الإنسان وليّ الأمر الذي يعينه الله ﷻ المتعالي ويطيعه، وأن يعيش في أفعاله وسلوكه كافة في هذا الإطار فقط، وألا يطيع أي شيء آخر غير هذا الإطار، أي أن يكون عبداً لله ﷻ»^(١).

لزوم الإقرار بالعبودية والطاعة لله ﷻ

«إنّ الواجب الأوّل ... هو الإقرار بالعبودية والطاعة لله ﷻ. ولأنّ العالم له مالك وخالق ومدبّر، ولأنّنا نعتبر جزءاً من أجزاء هذا العالم، فلا بدّ على الإنسان أن يتحلّى بالطاعة؛ وهذه الطاعة تعني تناسق الإنسان مع الحركة الكلّية للوجود والعالم؛ لأنّه ﴿يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣)؛ فالسماوات والأرض وكلّ ذرّة في العالم كلّها تلبّي الدعوة والأمر الإلهي وتسير طبقاً للقوانين التي أحكمها الله ﷻ وأجراها في الوجود.

(١) من كلام للإمام الخامنّي دام ظلّه في خطبتي صلاة الجُمُعَة التي أُقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٦٥/١٠/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩/١٠/١٩٨٧ م.

(٢) سورة "الحشر" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٤).

(٣) سورة "قصص" المباركة، جزءٌ من الآية: (١١).

والإنسان إذا اتَّبَعَ القوانين والأحكام الشرعيَّة والدينيَّة - التي علَّمه إياها الدين - سيكون قد شقَّ طريقه وتحرك على نسق هذه الحركة الوجوديَّة، وسيكون تقدِّمه أكثر يُسرًا، واصطدامه بالعالم أقلَّ، وسيكون أقرب إلى السعادة والصلاح والفلاح بالنسبة له ولسائر العالم أجمع.

وبالطَّبع فإنَّ المقصود بعبوديَّة الله ﷻ هو معناها الواسع والكامل؛ وذلك لأنَّنا قلنا: بأنَّ التوحيد هو الإيمان بوجود الله ﷻ، وهو أيضاً نفى الأضداد وإنكار تلك الألوهيَّة والعظمة المزعومة للأصنام والأوثان المصنوعة، والناس الذين يدَّعون لأنفسهم الألوهيَّة، وأولئك الذين لا يفصحون عن ذلك بألسنتهم ولكنهم يمارسونه بكلِّ وضوح في أعمالهم وسلوكياتهم.

فعملياً، هناك إذاً واجبان:

الأوّل: الإقرار بالطاعة لله ﷻ والعبوديَّة لخالق الوجود.

والثاني: الامتناع عن طاعة أنداد الله ﷻ وعدم الانسياق لكلِّ من يريد أن يفرض سلطانه على الإنسان في مواجهة سلطان الله ﷻ»^(١).

(١) كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بتاريخ: ١٣٩٧/٩/١٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٧/١٢/٢ م.

إطاعة الله ﷻ .. أساس النظام الإسلامي وميزته الرئيسة

«النظام الإسلامي في أساسه يقوم على إطاعة الله ﷻ. هذه هي الميزة الرئيسة. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١)، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢). إذن، أساس النظام الإسلامي هو إطاعة الله ﷻ.

وإنَّ لطاعة الله ﷻ مراتب عدّة: الأولى: الطاعة الصادقة. في أحوال ومصاديق معيّنة يقول الله ﷻ: افعلوا هذا - حتّى لو كان هذا الفعل فعلاً شخصياً - يقول مثلاً: أقيموا الصّلاة، أو صوموا، أو زكّوا، أو سائر الأمور. هذا نمطٌ من الطاعة، أن يطيع الإنسان الأمر الإلهي ويتّهي بالنهاي الإلهي.

والأهمّ من هذه الطاعة، الطاعة المنهجية، ومعناها: أن يطيع الناس المنهج والطريق والخطة التي يرسمها الله ﷻ للحياة، لكي تتحقّق هذه الخطة. هذه الخطة لا تحصل بالأعمال الفردية، إنّما هي حالة أخرى وقضية أخرى. إنّها قضية أعلى وأسمى وتحتاج إلى عمل جماعيّ حتّى تتحقّق الخطة الإلهية والهندسة الإلهية بخصوص وضع المجتمع الإسلامي. ومثال ذلك: كان المسلمون في "مكة" يؤدّون

(١) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٩).

(٢) سورة "آل عمران" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣١).

أعمالهم، لكنّ المجتمع الإسلاميّ في "مَكَّةَ" يختلف عنه في المدينة حيث تأسّست هناك حكومة إسلاميّة. لقد ظهرت هناك أعمال جديدة وحركة أعلى من الحركات الفرديّة وهي حركة ضروريّة لو تحقّقت ﴿لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(١)، أي لكانت الحياة حياةً طيّبةً سعيدةً، ولترتّب الآثار والبركات والتأثيرات الإيجابيّة النابعة من إطاعة الأوامر الإلهيّة، على الحياة الإنسانيّة.

النظام الإسلاميّ يمنح البشر السعادة. والنظام الإسلاميّ هو النظام المبني على الهندسة الإلهيّة للمجتمع وعلى الخطّة التي رسمها الخالق ﷻ للمجتمع. إذا تحقّقت هذه الخطّة لأمكن غضّ الطرف عن كثير من المخالفات وحالات الزيغ والزلل الفرديّة والشخصيّة والجزئيّة.

ثمّة رواية تروي حديثاً قدسياً جاء فيه: "لَأُعَذِّبَ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الرِّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً، وَلَأَعْفُونَ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الرِّعِيَّةُ فِي أَنْفُسِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً"^(٢). بمعنى أنّ العمل الفرديّ والإساءة أو المخالفة الفرديّة في

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزء من الآية: (٦٦).

(٢) الكافي، للشيخ الكليني رحمه الله، باب في مَنْ دَانَ اللَّهُ ﷻ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنَ اللَّهِ، ج ١، ح ٤، ص ٣٧٦.

النظام الاجتماعيّ الكبير السائر عموماً بالاتّجاه الصحيح، يمكن التجاوز وغضّ النظر عنها، أو هي بتعبير أدقّ ممكنة الإصلاح والتصحيح، أي إنّ المجتمع سيستطيع على كلّ حال الأخذ بأيدي هؤلاء الأفراد إلى الغاية المطلوبة، وذلك خلافاً لما لو كانت الأعمال الفرديّة صحيحة لكن العلاقات والنظم الاجتماعيّة نظم خاطئة جائرة غير مرخّصة من قبل الله ﷻ، بل مملاة من قبل الشيطان والنفس وأهوائها، عندئذٍ لن تستطيع الأعمال الفرديّة الأخذ بيد ذلك المجتمع إلى الغاية المنشودة وما تريده الشرائع الإلهيّة من سعادة للبشريّة. إذن، قضية الطاعة العامّة وأن ينشد الإنسان المنهج الإلهيّ فيجده ويسير عليه، قضية على جانب كبير من الأهميّة^(١).

حاكميّة الدين وطاعة الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم

«إنّ حاكمية الدين منصوصٌ عليها بوضوح في القرآن. حقّاً، إنّ أنكر شخصٌ ذلك، فهذا يدلّ على أنّه لم يتدبّر جيّداً في القرآن. من ناحية أخرى، القرآن يعلنه. الآية الشريفة من سورة «النساء» المباركة تقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)؛ أرسلنا الرُّسل

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة في الجمهوريّة

الإسلاميّة الإيرانيّة، بتاريخ: ١٣٨٨/١٢/٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٥/٢/٢٠١٠ م.

(٢) سورة «النساء» المباركة، جزءٌ من الآية: (٦٤).

ليطيعهم الناسُ. حسناً، في أي شيء يطيعون؟ أي الأشياء هي الموضوع لطاعة الأنبياء ﷺ؟ المئات من آيات القرآن تبين ذلك، مثلاً: آيات الجهاد، الآيات المرتبطة بإقامة القسط، الآيات ذات الصلة بالحدود والعقوبات، الآيات ذات الصلة بالمعاملات والعهود، الآيات المرتبطة بالاتفاقات الدوليّة - ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾^(١) - إلى آخرها. هذه الأشياء تعني الحكومة. تدلّ هذه الآيات على وجوب طاعة الرسول ﷺ في هذه الموارد. وفي موضوع الدفاع عن الوطن، وفي إجراء الحدود، وفي المعاملات والعقود الاجتماعيّة، وفي مسألة العقود مع الدول الأخرى، وفي إقامة القسط والعدل، وإقامة العدل في المجتمع؛ في هذه كلّها، لا بدّ أن يطاع النبي ﷺ. هذا يعني الحكومة؛ ليس معنى الحكومة غير ذلك. حاكميّة الإسلام منعكسة بهذا الوضوح في القرآن وواضحة^(٢).

«يقول الله ﷻ [في سورة "التغابن" المباركة]: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٣). طبعاً، ورد في أماكن عدّة من القرآن الكريم

(١) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢).

(٢) كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه في الذكرى الثانية والثلاثين لرحيل الإمام الخميني رحمه الله، بتاريخ:

١٤٠٠/٣/١٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢١/٦/٤ م.

(٣) سورة "التغابن" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢).

الأمر بإطاعة الله ﷻ وإلى جانبه إطاعة الرسول ﷺ أيضاً، كما ورد في آية من الآيات أولو الأمر: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

لا فرق بين إطاعة الله ﷻ وإطاعة الرسول ﷺ في المعنى والحقيقة، أي لو أراد أحدهم إطاعة الله جلّ وعلا، فعليه أن يطيع رسوله ﷺ، وإذا أطاع أحدهم الرسول ﷺ، يكون قد أطاع الله جلّ وعلا في واقع الأمر. هذان متلازمان مع بعضهما بعضاً، لكن رغم كونهما متلازمين يشترط الله ﷻ قائلاً: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، لماذا؟ لكي ينفي هذا الظنّ بأنّه يمكن أن تتمّ إطاعة الله ﷻ من طريق غير طريق إطاعة الرسول ﷺ.

كثيرون كانوا مؤمنين بالله ﷻ، ولكن لم يكونوا مؤمنين بالرسول ﷺ، فإمّا كانوا مؤمنين بالله ﷻ ويعتقدون بدين من الأديان، كالنصارى والمسيحيين واليهود في زمن الرسول ﷺ وغيرهم من أهل الكتاب، أو أنّهم لم يكونوا معتقدين بأيّ دينٍ وشرعةٍ ككفار قريش. كان كفّار قريش مؤمنين بالله ﷻ، لكنّهم جعلوا شركاء له، لم يكونوا يقرّون بالتوحيد، ولم يكونوا يعتقدون برسولٍ ودينٍ وشرعةٍ أيضاً. حسناً، إذا قال القرآن لهؤلاء: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾، سيقولون: "إنّنا نطيعه". لن يقتنعوا بأنّ إطاعة الله ﷻ ليست ما يقومون به، بحيث إنّهم ينسبون كلّ

(١) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٩).

استنسباتهم المنحرفة، وفهمهم الخاطي، وأحقادهم، وتعاليمهم السيئة وأعرافهم وعاداتهم وآدابهم الخاطئة وغير الصحيحة المنتشرة بينهم لله جلّ وعلا، ويقولون: "إِنَّا نطيع الله".

إذا بالنسبة إليهم، ليس هناك ما يلزمهم بترك هذه المعتقدات واختيار المسار الصحيح، لكن عندما يقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، "أطيعوا الرسول"، فإنّ هذا الأمر يحدّد وسيلة إطاعة الله ﷻ وهي إطاعة الرسول ﷺ، وإذا لم تطيعوا الرسول ﷺ، لن يكون بمقدوركم الاطمئنان إلى أنكم أطعتم الله ﷻ.

وفي زماننا أيضاً - ذاك العصر الذي كانت فيه أفكار القرن التاسع عشر التنويرية في أوروبا قد دخلت حديثاً إلى بلدنا وكان بعض المتعلّمين والمنفتحين والمتقفين يميلون إليها - كان هذا الفكر منتشراً بين البعض. طبعاً، كان البعض ينكرون أساس الدين ووجود الله ﷻ والشرعية والمعنوية والأخلاق المعنوية والإلهية، هؤلاء كانوا يمثلون مجموعة، وكان هناك مجموعة أخرى غير قادرين على إنكار الله جلّ وعلا، فالله ﷻ حقيقة لا يمكن إنكارها، وإذا تأمل أحد ما قليلاً، وعاد إلى نفسه قليلاً، ولم يلجأ إلى الجدال والعناد، فمن الواضح أنّ الله جلّ وعلا حقيقة جليّة وواضحة يفرضها العقل والاستدلال البشريّان على الإنسان. إنّ من الواضح والجليّ للعقل أنّ الله ﷻ موجود.

حسناً، اعتقدوا بهذا الأمر، لكن لم تكن لديهم الهمة والرغبة في التقيد بدين معين ورسول وكتاب وآداب وحدود. إن الدين يوجد حدوداً. وكلّ قانون يوجد حدوداً. أولئك الذين يسعون خلف اللادينية، لن يطيعوا أيّ قانون لو كان بمقدورهم ذلك؛ لأنه كما يعين قانون الدين حدوداً للإنسان، فإنّ كلّ القوانين الأخرى أيضاً توجد الحدود للإنسان، لكنهم لم تكن لديهم همّة التقيد بهذه الحدود، لذلك لم يكونوا يعترفون بالشرعة، لم يكونوا يؤمنون بالدين، لم يكونوا يؤمنون بالكتاب، لم يكونوا يؤمنون بالرسول ﷺ. هذا ما كان عليه الحال منذ البداية أيضاً، ففي زمن الرسول ﷺ أيضاً كان البعض مسيحيين، وكانوا يعيشون حياتهم، ولبعضهم شأنيتهم ومناصبهم، ولديهم أعرافهم، وكانوا يأنسون بحياتهم، وكانوا معتادين عليها، وقد جاء الرسول ﷺ الآن ليدخلهم مرحلة جديدة، ويمنحهم إيماناً جديداً، ويطرح عليهم قيماً جديدة، ويدعوهم للكفاح في سبيل تلك القيم. كان الأمر صعباً عليهم، لذلك، ورغم اعتقادهم بالله جلّ وعلا، ورغم أنّهم لم يكونوا يعارضون إطاعة الله ﷻ، إلّا أنّهم افتقدوا الهمة والرغبة للاعتراف بالرسول ﷺ ودينه وشريعته والتصديق به.

كان اليهود في أطراف المدينة هكذا، والمسيحيون الذين كانوا بجوار المدينة، والمسيحيون الذين وصل الإسلام إلى أراضيهم فيما

بعد كانوا على هذه الشاكلة أيضاً. كان هؤلاء معتقدين بالله ﷻ، لكن لو أرادوا الاعتراف برسول الله ﷺ والتصديق به، كان ذلك سيعني كسر كل أطهرهم التي تعرّفت عليها عقولهم وأدركتها سابقاً، والتصديق بأطر جديدة، وبقيم جديدة وتصنيفات جديدة في مجتمعهم، وترك مناصبهم، والتخلي عن القيم التي كانوا قد اعتادوا عليها، ولأنهم كانوا يرون الأمور تسير على هذا النحو، كان الأمر صعباً عليهم، فلم يؤمنوا بالرسول ﷺ، ولو أنّ القرآن اكتفى بمخاطبتهم: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ"، كانوا سيقولون حسناً، نحن موافقون، نحن نطيع الله ﷻ لكننا لا نؤمن بالرسول، فيقول القرآن في هذا الشأن: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، أي لا معنى لإطاعة الله ﷻ دون إطاعة الرسول ﷺ. ويقول القرآن الكريم في مكان آخر: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)، أي إنكم إن لم تطيعوا الرسول ﷺ، لن تكونوا قد أطعتم الله ﷻ أيضاً.

معنى إطاعة الرسول ﷺ

حسناً، لتتوقّف هنا لحظة. ما الذي يتوجّب علينا فعله إذا أردنا أن نكون مطيعين لله جلّ وعلا؟ علينا أن نطيع الرسول ﷺ. وكيف يمكننا إطاعة الرسول ﷺ؟ عبر الشريعة، علينا أن نطبّق شريعة الرسول ﷺ.

(١) سورة "النساء" المباركة، جزء من الآية: (٨٠).

ذاك الذي يرفض شريعة الرسول ﷺ، الأحكام الإلهية، فقه الإسلام، والتعاليم القرآنية، ولا يسلم أمره لها، وعندما يجري الحديث عن الحجاب، يهزّ كتفيه رافضاً، وعندما يتمّ الحديث عن الحكومة الإلهية، يقطبّ حاجبيه، وعندما يجري الحديث حول ترويج الأحكام الإلهية والشريعة الإلهية، يُعربُّ عن استيائه، وفي الوقت عينه يقول: "إنني مؤمن بالله" هو يكذب، ليس هذا ممكناً.

إذا كان أحدهم ما مؤمناً بالله جلّ وعلا ويريد أن يطيعه، لن يكون هذا الأمر ممكناً إلّا إذا كان معتقداً بالشريعة، أي هذا الفقه وهذه الأحكام الإلهية، ونفس ما نسعى اليوم لتأسيس نظامنا استناداً إليه. وإن لم يفعل، فلن يكون ادّعاؤه إطاعة الله ﷻ مقبولاً.

هناك البعض اليوم، إذا تحدّثنا إليهم بشأن الحجاب، وإذا تحدّثنا إليهم بشأن الربا، وإذا تحدّثنا إليهم بشأن شرب الخمر، وإذا تحدّثنا إليهم بشأن التعامل مع القوى المعادية لله جلّ وعلا والعلاقة معهم، وإذا تحدّثنا إليهم بشأن عشرات المقولات الأخرى التي هي من هذا القليل والتي يملكون أحكاماً مسبقةً تجاهها في عقولهم، فسيهزّون أكتافهم رافضين، وسيقطبّون حواجبهم ولن يكونوا مستعدينّ لتحمل هذه الأمور، وفي الوقت نفسه، إذا قلت لهم: أنتم لستم مسلمين، سيصرخون: نحن لسنا مسلمين؟! إذا قلت لأحدٍ منهم: إنك لست

موحّداً، سيشتمك بعشرات الشتائم ويستنكر قائلاً: أنا غير موحّد؟! وسيثبت أن: "لا أنا موحّد!".

يقول القرآن إذا كنتم موحّدين، وإذا أردتم إطاعة الله ﷻ، "أطيعوا الرسول". عليكم أن تطيعوا الرسول ﷺ أيضاً، وإلا فمن غير الممكن إطاعة الله ﷻ دون إطاعة الرسول ﷺ. كيف تتمّ إطاعة الرسول ﷺ؟ تكون إطاعة الرسول ﷺ بأن يتقيّد الإنسان بأحكام الرسول ﷺ.

ولأخبركم بهذا الأمر أيضاً: كان هناك البعض، ولا زالوا موجودين حتّى اليوم، وفي سبيل فهم كلام الرسول ﷺ ورأيه، يستعيزون عن الرجوع إلى كلمات الرسول ﷺ وعن اللجوء إلى طرق الاستنباط، بمراجعة كتب التاريخ! يعثرون على سيرة الرسول ﷺ في كتب التاريخ. لا قيمة للتاريخ؛ فما نقله المؤرّخون، ليس له سندٌ معتبر حتّى يكون له قيمة من اللحاظ الشرعيّ. لا يستطيع المرء أن يقول إنّ النبيّ الأكرم ﷺ قال كذا في الحرب الفلانيّة، أو تعامل مع أحدهم بهذا النحو، حسناً، ما هو السند؟ **تاريخ ابن الأثير! تاريخ ابن الأثير** ليس دليلاً، ولا يمكن للتاريخ - كتاب التاريخ - أن يكون سنداً لكي يُستخرج كلامُ الرسول ﷺ أو سيرته أو سنته منه. تُستخرج سيرة الرسول ﷺ وسنته عن طريق الفقه والحديث، فيقوم عددٌ من الفقهاء الذين يُتقنون هذا الفنّ بوضع الأحاديث الصحيحة والمُتقنة والمقبولة

أمامهم، ويستنبطون من هذه الأحاديث وهذه الروايات — التي هي كلمات الرسول ﷺ وكلمات المعصومين عليهم السلام — شيئاً معيناً ويعملون وفقه، هذه هي سنة الرسول ﷺ. لا يمكن العثور على سنة الرسول ﷺ في كتب التاريخ، أي إنَّ سند التاريخ ضعيف، ولا قيمة كبيرة للتاريخ.

ضرورة إطاعة وليّ الأمر في الإسلام

ولأقل شيئاً آخر أيضاً، لقد جاء في آيةٍ أخرى من القرآن: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١). أضاف أيضاً "أُولِي الْأَمْرِ"، ذاك الكلام نفسه يصدق هنا أيضاً. كان بإمكان الله جلّ وعلا أن يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، دون أن يضيف على ذلك أي شيءٍ آخر. فبعد أن آمنوا بالرسول ﷺ، لن تقع شبهةٌ أو لن يحصل خطأٌ في معرفة رأي النبي ﷺ في زمن حياته، وإذا وقعت مثل هذه الشبهة، سوف يراجعون الرسول ﷺ بشخصه وتحلّ القضية، ولكن عندما لا يكون النبي ﷺ حاضراً، ويقع بطبيعة الحال خلاف في الرأي تجاه نهج النبي ﷺ وأسلوبه، فمن يكون المرجع هنا؟ المرجع هم أولو الأمر ووليّ الأمر، مع تحقّق تلك الشروط الموجودة بالنسبة لوليّ الأمر، وطبعاً هناك خلاف بين المسلمين في هذا الشأن. فأهل

(١) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٩).

السُّنة لديهم شروطهم لوليّ الأمر، والشيعة لديهم شروط أكثر وأقسى لوليّ الأمر وهي تحدّد دائرة وليّ الأمر بشكل أكبر. وأنا لا أرغب الآن بالخوض في بحثٍ حول رأي الشيعة والسُّنة لكي نحدّد الحقّ مع من. وعلى أيّ حال، عندما تعرف كلّ فرقة من فرق المسلمين وليّ الأمر الذي ينطبق مع الشروط المعتمدة، عندها ستمكن من معرفة نهج الرسول الأكرم ﷺ وأسلوبه.

يستطيع من يطيع وليّ الأمر أن يثق بأنّه يطيع الرسول ﷺ، وإذا لم يطع أحداً ما وليّ الأمر - وليّ الأمر الذي تنطبق عليه الشروط - فلن يكون قد أطاع الرسول ﷺ، فلا يصحّ لأحدٍ أن يقول إنني مطيع لرسول الله ﷺ لكن رأيي هو أنّ الرسول ﷺ يقصد الأمر الفلاني! لا، هناك وليّ أمر، عليك أن ترى ما هو رأي وليّ الأمر، وأيّاً كان ما يقوله وليّ الأمر فهو كلام الرسول ﷺ.

إنّ المطيع للرسول ﷺ هو من يطيع وليّ الأمر، لذلك فإننا في عصر الجمهوريّة الإسلاميّة حيث إنّ نظام ولاية الفقيه هو الحاكم والحمد لله - ووليّ أمرنا عارفٌ بالدين وعالمٌ ينوب عن رسول الله ﷺ، لديه الشروط التي نضعها لمثل هذا النائب: من العلم إلى حدّ الاجتهاد، والعدالة التي هي أمر في غاية السموّ والرفعة، وسائر الأمور الأخرى الموجودة، مثل أن يكون عارفاً بزمانه وضليعاً في تدبير

الأمر ويملك القدرة على إدارة شؤون البلاد - عندما يكون مثل هذا الشخص على رأس الأمور، يصبح ولياً للأمر وتكون إطااعته إطاعةً للنبي ﷺ، وإذا عمل أحداً ما خلافاً لأمره، وبما يتعارض مع مقتضى ولاية أمره، فإنه لن يكون قد أطاع النبي ﷺ، يمكن فهم هذه النقطة أيضاً من آية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١) (٢).

ضرورة الحكومة والحاكمية في الإسلام

«يقول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فهي إشارة إلى من تجب طاعتهم، وتنبع طاعتهم من طاعة الله ﷻ، ويكون الأمر من شأنهم؛ وهنا نجد نقطة اختلاف الأطروحة الإسلامية مع بعض الأطروحات والأيديولوجيات الأخرى، ويُعلم في هذا المجال ما هو المائز ومحل الافتراق. فالأطروحة الإسلامية لا تقول إنه سيأتي يومٌ لا تكون فيه الحكومة ضروريةً، فلا تتوقعوا في الرؤية الإسلامية مجيء ذلك اليوم الذي لا يكون فيه دولةٌ وحكومةٌ في المجتمع، في حين أن بعض المذاهب

(١) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٩).

(٢) تفسير سورة التغابن، للإمام الخامني دام ظلّه، الجلسة السادسة، تفسير الآيتين: (٩-١٠)،

الفكرية الأخرى تتوقع [مجيء] مثل ذلك اليوم الذي تعتبر أن المجتمع سيصبح فيه مجتمعاً مثاليًا، وترى أن من خصائص ذلك المجتمع المثالي أن لا يكون فيه دولة وحكومة. كلاً، فالإسلام لا يضع في الحساب مثل هذا المستقبل.

لقد كان الخوارج يتذرّعون بحجة الحكومة الإلهية من أجل نفي حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام، فكانوا يقولون: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ"، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في جوابهم: "كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ"^(١). فالكلام صحيح لأن الحكم الواقعي هو الله ﷻ، وهو الذي يضع الأحكام والمقررات والقوانين ويمسك بزمام حياة البشر لكن ما تقولونه أنتم هو: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" وتصدون بذلك: "لا إمرة إلا لله"؛ فمن هو الذي سيطبق هذا القانون الإلهي والحكومة الربانية؟! فهل تقولون عندئذ إنه لا ينبغي أن يكون هناك من يطبق القانون إلا الله ﷻ؟ ولهذا يقول عليه السلام مباشرة بعد هذا الجواب: "لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ". فالإنسانية والمجتمع البشري يحتاجان إلى الأمير الذي هو الحاكم والقائد، هذه هي الطبيعة الإنسانية التي تتلازم حياتها مع وجود منفذ للقانون، لأن مجرد وجود القانون لا يكفي، وإنما لا بد من وجود منفذ هذا القانون ويشرف على تطبيقه بصورة دقيقة

(١) مستدرک الوسائل، للميرزا النوري رحمته الله، ج ١١، ص ٦٥.

وصحيحة، وهذا ما يقوله ﷺ ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. فهنا لا بدّ من أولي الأمر؛ ونسأل نحن: هل يقصد مطلق أولي الأمر؟ فهل كلّ من يصدر الأوامر ينطبق عليه ولاية الأمر؟ وقد نجد بعض الأحيان في مكانٍ واحدٍ اثنين يصدران الأوامر، ويكون كلّ واحدٍ منهما ضدّ الآخر، فهل يمكن أن نعتبرهما أيضاً من أولي الأمر؟ وفي بعض الأحيان، نجد شخصاً يصدر أحكاماً لا يتقبّلها العقل الإنسانيّ، فهل يكون أيضاً من أولي الأمر؟ وهنا نجد الاختلاف الأساسيّ بيننا وبين طراز فكر أهل السنّة، فنحن نقول إنّ أولي الأمر يجب أن ينطبقوا ويتطابقوا مع المعايير الإلهيّة، في حين أنّهم لم يجعلوا مثل هذا الشرط من الناحية العمليّة، أمّا فيما يتعلّق بكتبهم الفقهيّة فلم أقم بمراجعة دقيقة لأرى، لكن ما هو شائعٌ ومنتشرٌ على الألسن والأفواه هو النفي، حيث يقولون بضرورة احترام كلّ من يصل إلى مقام الأمر والإمارة»^(١).

إطاعة الرسول ﷺ في الأمور الولائيّة

«أودّ هنا الحديث حول شيءٍ آخر أيضاً، إطاعة الله ﷻ في

(١) الفكر الإسلاميّ على ضوء القرآن الكريم، للإمام الخامنئي دام ظلّه، الجلسة السادسة

الأحكام الشرعية. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، أي عليكم أن تطيعوا الله ﷻ في الأحكام التي أوجبها عليكم. إطاعة الله ﷻ تكون في الأحكام، أي إن إطاعة الأحكام ليست لأجل الرسول ﷺ. عندما تقيمون الصلاة، لا يكون ذلك من أجل رغبتكم في إطاعة الرسول ﷺ، لا، فإذا افترضنا والعياذ بالله - ومثل هذا الافتراض محال - أن الرسول ﷺ طلب منك أن لا تصلي، عليك أن تصلي، أي ما ثبت من الأحكام الشرعية وتوضح كونه من الشرع، لا يزال عن عاتق الإنسان حتى وإن كان بطلب من النبي ﷺ. إطاعة الله ﷻ إذاً تكون في الأحكام الشرعية.

ماذا عن إطاعة الرسول ﷺ؟ إطاعته تكون في الشؤون الولائية الخاصة به. عندما يرسل الله جلّ وعلا نبياً، لا يحدّد تكليفه فقط بنقل الرسالة الإلهية إلى الإنسان. إن النبي يبلّغ الرسالة الإلهية، ولكن، وإلى جانب تلك الرسالة، فإن النبي إمام أيضاً، هو وليّ أمر أيضاً، ومديرٌ لشؤون حياة الناس أيضاً، وحسبما تقتضيه الإمامة وإدارة شؤون الناس وولاية الأمر فإنّ للرسول الأكرم ﷺ أوامر ونواهي ليست ضمن إطار الأحكام الشرعية الأولية. ورغم أن كلّ ما يقوله النبي يصبح حكماً شرعياً، إلّا أنّه ليس حكماً أولياً، بل قد أصبح واجباً على الإنسان لأنّ الرسول ﷺ قاله.

على سبيل المثال، قال الله جلّ وعلا: "جاهدوا"، فإذا أمر

النبي ﷺ أحدهم بالقدوم إليه، والآخر بعدم المجيء، فعلى كل شخص الامتثال للأمر: أي يذهب الذي طلب منه الذهاب، ولا يذهب من طلب منه البقاء، وحيث يكون الواجب كفائياً يتوجّب على البعض الذهاب، وعلى البعض الآخر عدم الذهاب.

إذاً، ولاية أمر النبي ﷺ وحكومته يستلزمان الأمر والنهي، أي أنّ الحاكم والوليّ لديه في المجتمع مجموعة من الأوامر والنواهي من أجل إدارة شؤون البلاد، وإذا لم يكن الحاكم واجب الطاعة، فلن يتطوّر البلد. والحاكم الشرعيّ، هو الحاكم الإلهيّ المعيّن من قبل الله ﷻ في المجتمع، وهو واجب الطاعة. إذا قال: عليك أن تقوم بالعمل الفلانيّ، سيتوجّب عليك القيام به، وإن قال: عليك أن تُنفق هذا المقدار وليس أكثر، عليك أن لا تُنفق أكثر، إذا قال: عليك أن تُنفق من مالك الشخصيّ هذا المقدار من أجل المصالح العامّة، سيتوجّب عليك إنفاقه.

إذاً، إطاعة الرسول ﷺ تكون في الشؤون المرتبطة بولاية أمر الرسول ﷺ المرتبطة بإمامة الرسول ﷺ، ذات الصلة بحكومة الرسول ﷺ وحاكميّته، لكن إطاعة ربّ العالمين ﷻ تكون في الأحكام الشرعيّة وفي الواجبات والمحرمات.

التخير في الإيمان القلبي

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾^(١): أي إن أعرضتم وولَّيتم الأدبار عن إطاعة الله ﷻ والرسول ﷺ، فما الذي سيفعله الرسول ﷺ في هذه الحالة؟ هل سيجبركم ويقول إنَّ عليكم أن تعتقدوا بهذه المعاني؟ لا، ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي إنَّ التكليف الملقى على عاتق رسولنا ﷺ يقتصر على إبلاغ الرسالة بشكل واضح، على الرسول ﷺ أن يخبركم بحقيقة الأمر، طبعاً لا يعني هذا الأمر أن الرسول ﷺ لن يكثر في حال قام أحدٌ ما بعملٍ يتعارض مع مصالح المجتمع الإسلامي، كلاً، فإنَّ للمجتمع الإسلاميَّ قوانين وأنظمة، وإذا خالف أحدٌ ما تلك القوانين ولم يعمل وفقاً لتلك الأنظمة، فإنَّ الرسول ﷺ يعاقبه، ويلاحقه، ويؤاخذه، ويمنع من إخلال المخلّين. لا نقاش بهذا الشأن. لكن أينما كان الأمر لا يتعلّق بالعمل الاجتماعيّ، وحيث يكون تصرفاً شخصياً لا يستوجب عقاباً خاصاً، ففي مثل هذه الحالات، يبيّن الرسول الأكرم ﷺ الحقيقة لكم.

تختلف درجات إيمان الناس، فبعض الناس إيمانهم إيمان ظاهريّ، وإيمان بعضهم الآخر إيمان قلبيّ راسخ، أي إنَّ باطنهم مؤمن، وقد لا يكون الناس الذين يعيشون في المجتمع الإسلاميّ

(١) سورة "التغابن" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢).

مؤمنين حتى بالإسلام. هؤلاء كلهم يعيشون في المجتمع، أي إنه يعيش في المجتمع الإسلامي اليهود والنصارى وأصحاب الملل^(١) المتنوعة - أهل الكتاب كما يعبر عنهم - ولا بأس^(٢) عليهم، فهم يمارسون أعمالهم، ولا إشكال في عيشهم داخل المجتمع الإسلامي، وعندما يوافقون على الأنظمة الإسلامية ويتصرفون وفق القوانين الموضوعية لإدارة المجتمع، فلن يكون لوجودهم في المجتمع أي مانع أو ضرر، والرسول الأكرم ﷺ لا يجبر أحداً في المجتمع الإسلامي بحيث ينبغي حتماً للجميع مثلاً بلوغ هذا الحد من الإيمان، يقوم الرسول ﷺ فقط بالبلاغ المبين، أي أنه يوصل الرسالة، ويوصلها بشكل واضح^(٣).

عاقبة معارضي التيار الإلهي والإسلامي

«هناك جماعات تقف في وجه هذا التيار الإلهي، أي إنهم لا يكثرثون للأفكار والذهنيات الصحيحة الموجودة في التيار الإلهي والإسلامي ويعارضونها ويحدونها، وكل من لديه فكر التقاطي، وفكر

(١) الأديان.

(٢) لا ضغوط أو أذية.

(٣) تفسير سورة النعاجين، للإمام الخامني دام ظلّه، الجلسة السادسة، تفسير الآيتين: (٩-١٠)،

مُعارضٌ ومُضادٌّ للفكر الإسلامي، أو كان لا يأبه بالأفكار الإسلامية الصحيحة ولا يعتني بها فهو على هذه الصفة وهذه الشاكلة. فكلٌّ من يُعارض نمط الحياة الذي جاء به التيار الإسلامي والأحكام الإلهية والقوانين الإلهية هو من هذا القبيل، وهؤلاء هم الذين يحادّون الله ﷻ. كلٌّ ما كان يُقال عن الأحكام الإسلامية من أنّ تطبيقها غير ممكن في هذا العصر - وقد جاء هذا الكلام كثيراً على لسان أحدهم أوائل الثورة أنّ الإسلام لا يمكن تطبيقه ولا فائدة فيه ولا يمكن العمل به - هو مُحادّةٌ لله ﷻ ولرسوله ﷺ، والقائلون بذلك "كُتِبُوا" حقّاً. لقد شاهدتم المصيرَ القاتم الذي واجهه ذاك التيار المُعارض للتمسك بالعمل الإسلامي وبالفقه الإسلامي^(١).

من يُعارض القيم الإسلامية ويُعارض هذا التيار فهو أيضاً كذلك

(١) من ضمن ذلك يُمكن الإشارة إلى مواقف الجبهة الوطنية الإيرانية في معارضتها لحاكمية قوانين الإسلام وإصدارها بياناً في خرداد ١٣٦٠ هـ/ش (أيار - حزيران ١٩٨١) دعت فيه أنصارها إلى مظاهرات ضد مشروع قانون القصاص. وفي ردٍّ ثوريٍّ على موقف الجبهة الوطنية هذا، قال الإمام الخميني ﷺ: "تقولون عن القصاص، قانون الإسلام الجليّ هذا؛ قانون الإسلام الضروريّ هذا؛ هذا القانون الذي صرّح به القرآن؛ هذا القانون الذي يضمن مصلحة البلاد وأمنها؛ إنه قانون غير إنسانيّ، اعلموا أنّكم فاسدون من الأساس! ... من يَقُلْ إنّ حكم الله غير إنسانيّ وإنّ الإسلام غير إنسانيّ فهو كافر ... الجبهة الوطنية محكوم عليها منذ اليوم بالارتداد". راجع: صحيفة الإمام ﷺ، ج ١٤، ص ٤٤٨.

يُحَادِّثُ اللَّهَ ﷻ ورسوله ﷺ، أي إذا لم يُراعِ هذه الحدود الإلهية ولم يجعل نفسه ضمنها أو لم يسمح للآخرين بأن يكونوا ضمنها فإنّ حكم المُحادّة هذا يشملهم.

بعضهم يقول: "لقد جاؤوا لنا بالشهداء، وما قيمة الشهداء يا أخي!" أي إنّهم لا يدركون قيمة الشهادة ويطعنون فيها وليسوا على استعداد لفهم ما للشهادة في سبيل الله ﷻ من قيمة هامة وسامية. كثيرون هم من يتحسّرون اليوم لفقدانهم خيرة أبنائهم، وأنا أسأل هؤلاء: من أين أتيت بخيرة الشباب هؤلاء؟ أوليست الحركة الثورية لهذا الشعب هي من وهبكم هؤلاء الشباب الطيّبين؟ فلو لم يكن لدينا الثاني والعشرين من بهمن ١٣٥٧ هـ/ش - ١١ شباط ١٩٧٩ يوم انتصار الثورة - ، ولو أنّنا لم نواجه المدافع والدبّابات في الشوارع، أو أنّنا لم نقدّم الشهداء في السنوات الثلاث هذه^(١) بعد الثورة لَمَا كان لدينا كذلك هذا الشباب الطيّب. لقد كان عجيناً لم يتقلب بعد، فما الذي أعطاه مثل هذا القلب الحسن؟ وما الذي جعله ثميناً بهذا النحو حتّى تتحسّروا الآن على فقدانه؟ إلّا أنّ حركة كحركة "الفتح المبين" هي التي صنعتها وقولته بهذا النحو حتّى صرتم تتحسّرون على

(١) أعوام: ١٩٨٠-١٩٨١-١٩٨٢ ميلادية، حيث بدأت الحرب المفروضة على الجمهورية

الإسلامية في ٢١ أيلول ١٩٨٠م.

فقدانه، غير أنها كانت حركة "الفتح المبين" في شوارع طهران أو في كردستان أو قبيل الثورة قليلاً. جيّد جداً، إذا علمنا أنّ توجّهات من ذاك القبيل (الثورة) ستُثمر أعزّاء من هذا النمط، فعلينا أن نعلم أنّ توجّهات من هذا القبيل (الجهاد في الجبهات) ستُثمر أعزّاء آخرين أيضاً. لقد كسبنا ببركة هذه الثورة وبركة هذه الحرب ملايين الناس القيّمين، فلم يكن أحداً منّا بالصفة التي هو عليها الآن. فما الذي صنعناه؟ فإن كان أحدنا اليوم عاشقاً للشهادة ويرى فخره في ذلك، وإن كان يتوق للجراح في سبيل الله ﷻ، فإنّ هذه قيمٌ ومناقبٌ إسلاميّةٌ من النمط الأعلى، وقبل الثورة لم يكن شبابنا بهذه الخصال، والثورة والتضحيات التي رافقتها هي التي صنعتهم على هذا النحو. إنّنا إذا نُضحيّ حتى تصنع تضحياتنا جماعةً أخرى من هؤلاء الشباب، وحتى نحن أنفسنا، فإنّ شرفنا الله ﷻ بالشهادة فإنّما نمضي للغرق في أحضان النعمة الإلهيّة. أليس كذلك؟ إنّ كلّ الذين لا يدركون القيم الإلهيّة ولا يهتمّون بالحدود الإلهيّة ولا يراعونها، أو لا ينتبهون للأحكام الإلهيّة ولا يعابّون بها، هؤلاء جميعاً هم من أولئك الذين يُحادّون الله ﷻ ورسوله ﷺ مهما كان زيّهم، سواء كان زيّ علماء الدين أم زيّ الحرس الثوريّ أم غيره، وإلى أيّ طبقةٍ اجتماعيّةٍ انتموا، فهم يحادّون الله ﷻ ورسوله ﷺ سهواً أو عمداً أو أنانيّةً.

إذا تعاملتم مع الأحكام الإلهية بأدنى حدٍّ من عدم الاهتمام ووضعتموها تحت أقدامكم ولم تكثرثوا لها، فالأمر هو أيضاً محادثة لله ﷻ ورسوله ﷺ. وطبعاً هذا لا يشمل الشخص الذي يرتكب معصية عن جهلٍ وغفلة، بل أمامه سبيلٌ للاستغفار والتوبة، إلّا إذا تكرّرت المعصية منه أو كانت معصيته كبيرة لا يمكن قبولها. ولقد جاءت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) بعد آيات الظّهار، فما وجه الصّلة بينهما؟ فالظّهار حكمٌ عائليٌّ جزئيٌّ مفاده أنّه إذا ظاهر رجلٌ امرأته فعليه الكفّارة، فإذا لم يقدم الكفّارة ولم يعتنِ بالحكم الإلهي الذي فرضه ﷻ، وقال عنه: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾^(٢) فإنّ آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تشملته وتصدق عليه، وهذا يدلّ على أنّه لا فرق عند الله ﷻ بين الأحكام الصغيرة والكبيرة، فما إن أنكرتم الحكم الصغير ووقفتم في وجهه فكأنكم أنكرتم الحكم الكبير ووقفتم في وجهه.

طاعة الرسول والإمام والوليّ الفقيه هي طاعة الله ﷻ
قد يسأل سائلٌ عن سبب قوله ﷻ في آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ

(١) سورة "المجادلة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥).

(٢) سورة "المجادلة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤).

اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿١﴾ "وَرَسُولُهُ"، أي يُعادون الرسول ﷺ؟ والجواب أنه من الطبيعي أن يكون كل من يُعادي الله ﷻ فهو يُعادي الرسول ﷺ، الله ﷻ ورسوله ﷺ ليسا تيارين منفصلين، بل هما تيارٌ واحد. إلّا أن في الأمر نقطةً دقيقةً ولطيفةً، وهي أن تجلّي الله ﷻ غير واضح في كثير من الأحيان وسبيله ﷻ غير جليّة. فكفّار قريش في ذاك العصر لم يكونوا يُعادون الله ﷻ، بل يظهر أنهم كانوا يُبدون الإخلاص له والتبعية والموادّة حتّى إنهم كانوا يقولون: إنّما نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ^(١)، وعليه، فهم يعتقدون بالله ﷻ. وإذا قيل لهم لا تُعادوا الله ﷻ فإنهم يجيبون: كلّاً! إنّنا لا نُعادي الله، بل نحن من أنصاره. ولقد كانت مسألة المصداق الحقيقي لأنصار الله فضفاضةً جداً وتحتمل الخطأ، لذا فالله ﷻ في هذه الآية يُحدّد سبيله، ويُفهمُ الناس أن سبيل الله ﷻ هي التي يتحدّث عنها الرسول ﷺ، فلا يشتبه الأمر على أحد ويتخيّل أن الله ﷻ سبيلاً غير سبيل الرسول ﷺ، ومصادقه اليوم هو أن نهج الثورة الإسلاميّة ونهج الجمهوريّة الإسلاميّة ليس إلّا نهج الإمام الخميني رحمته الله.

(١) كما في الآية: (٣) من سورة "الزمر" المباركة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، والآية: (١٨) من سورة "يونس" المباركة: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

كثيرون يدعون أنهم من أنصار الله ﷺ ورسوله ﷺ، لذا جاء في بعض المواضع في القرآن صيغة "أولي الأمر": ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) ليتبين من خلال إطاعة أولي الأمر من هم أنصار الله ﷺ حقيقةً، فالأمر هو أن الله ﷻ ورسوله ﷺ وأولي الأمر ليسوا إلّا تياراً واحداً. ومردُّ ذلك أنه إذا لم يكن الرسول ﷺ على قيد الحياة الظاهريّة فلا ينبغي الجميع للقول إنهم أنصار الرسول ﷺ، ثمّ يجرُّ كلُّ منهم نارَ ثورة الرسول ﷺ ومدرسته إلى قرصه ويقول: هي لي، ويردُّ الآخر: بل هي لي، وهذا يقول: أنا أقول الحقيقة، وذاك يقول: أنا أقول الحقيقة ... كلّاً، بل ثمة ملاكٌ ومعيّارٌ ومُحدّدٌ، وهو وجود "أولي الأمر"، فعندما يكون لدى أيّ توجّهٍ إطاعةٌ لأولي الأمر فهذا التوجّه صحيح. وبالطبع "أولو الأمر" بالشروط المعيّنة.

وهنا أيضاً جاءت كلمة "الرسول" بهذا المعنى، أيّ بمعنى أولي الأمر الأنف الذكر. ففي كلّ الثورات هناك أشخاصٌ يتشبّهون بانتهازيةٍ بشعاراتٍ كليّةٍ ويدعون اعتقادهم بهذا النهج أو ذاك ليوقعوا الناس في الخطأ، بيد أنّه يجب عليهم أن يحدّدوا معياراً واضحاً، ولهذا فإنّ المعيار في ثورتنا هذه هو وجود الإمام ﷺ وخطّ الإمام ﷺ.

(١) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٩).

جاءني قبل عامين إلى ثلاثة أعوام جمع من هؤلاء المنافقين^(١)، تفوّهوا بأمور كثيرة تافهة، قلت لهم: "اعلموا أن المعيار في تاريخنا هو الإمام [الخمينيؒ]، الإمامؒ هو معيار وميزان تشخيص الحق من الباطل في تاريخنا هذا، وكل من يقف في وجه الإمامؒ فهو باطل، وكل من كان مع الإمامؒ فهو حق". والأمر كان كذلك أثناء فترة نضالات مرحلة الاختناق، فمن كان في جهة الإمامؒ كان على حق ومقابله كان الباطل.

بُعِيد انتصار الثورة كان هناك أيضاً عدّة ممّن وقفوا في وجه الإمامؒ فكانوا على باطل. قلت لهم يومذاك أيضاً: "أنتم الآن تقفون مقابل الإمامؒ فستكونون على باطل، لا تتوهّموا أن التاريخ سيعترف بمعيار سوى الإمامؒ"، وهذه هي حقيقة الأمر. قُصَارَى القول: هذا هو السرّ في ذكر "الرسول" هنا.

جملة: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(٢) تشير إلى أنّه إذا خرج أحدٌ من نطاق الحدود الإلهيّة حيناً ما من دون أن تتمّ عليه الحجّة الإلهيّة، أو يكون عنده دليلٌ إلهيٌّ على خلاف عمله فالمحادّة لا تشملها،

(١) "سازمان مجاهدين خلق ايران" - "منظّمة مجاهدي خلق" أو ما صار يُعرف بـ

"گروهگ منافقين" - "منظّمة المنافقين".

(٢) سورة "المجادلة" المباركة، جزء من الآية: (٥).

بخلاف من كان لديه الحجة والدليل الإلهيان على خلاف ما يقوم به، فإنه ممن يُحَادُّونَ اللَّهَ ﷻ ورسوله ﷺ، وقد جاءتهم البينات وتجلّى لهم الحقّ والباطل. فقد لا يتعرّف الشخص أحياناً إلى حقيقة تيّار بعينه كما حصل في عهد "بني صدر"، كثيرون في عهده لم يتعرّفوا إلى تيّاره وكانوا ضمنه، آنذاك لم تكن الآيات البينات - أي الأدلة على خيانتة - قد جاءت بعد، لذا فلا يمكن اعتبار هؤلاء ممن حادّوا الله ﷻ ورسوله ﷺ، ومن المؤكّد أنّهم لم يكونوا كذلك. لكنّ بعدما جاءت الآيات البينات أُعلنت الحجة الإلهية للجميع من قِبَل الإمام ﷺ وعلم الجميع الحقيقة، فلو أنّ أحداً بعد ذلك ظلّ مُتميّاً لذلك التيّار فهو - ولا جرم - من المُحَادِّين وتشمله هذه الآية: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. بناءً عليه فما دامت الآيات البينات لم تأتِ بعد، فلا بأس على أحد»^(١).

عقاب العصيان في الدنيا والآخرة

«[يقول ﷻ]: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾»^(٢)؛ أي إنّ عقاب الله ﷻ وردّه على الذين يتخلّفون عن مسار الحركة والنظام الإسلاميين هو ردٌّ

(١) تفسير سورة المجادلة، للإمام الخامني دام ظلّه، الجلسة الثانية، تفسير الآيتين: (٧-٥)،

ص ٤٢-٤٧.

(٢) سورة "الحشر" المباركة، جزء من الآية: (٧).

قاس. وهذا العقاب يُمكن أن يكون دنيويًّا، أو أخرويًّا. أمَّا العقاب الدنيويّ ... فإنَّ الردَّ الإلهيَّ على انتهاككم وعصيانكم سيكون بأن يُصاب مجتمعكم بالفساد، ويُبتلى بالانحطاط، وتتلقون ضربةً قويَّةً، فيسلَّط عليكم بعض الأشخاص، ثمَّ تدعون فلا يُستجاب دعاؤكم^(١). وأمَّا العقاب الأخرويّ فهو واضحٌ على كلِّ حال^(٢).

«يقول ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾^(٣) وهي العاقبة الحسنة والأجر والثواب. فإنَّ العاقبة تكون لأولئك الذين استجابوا لدعوة الأنبياء ﷺ في نهضتهم. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ فسلكوا طريق الباطل، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾، فهناك نجد أنَّ أتباع الباطل وعندما تصل الأمور إلى خواتيمها نجدهم مستعدين لأن يدفعوا كلَّ ما لديهم، حتَّى ولو كانت لهم الأرض وما فيها مضاعفًا، من أجل أن ينجوا أنفسهم من هذه المهلكة؛ فهل شاهدتم أيُّها الأعزَّاء مثل هذا في التاريخ؟ ألم تروا تلك المواجهات المستمرَّة بين الحقِّ والباطل، وكيف أنَّ بساط زعماء الباطل ورؤسائه قد طُوي وانقضى؟ ولو أنَّهم كانوا يقدرُون في تلك

(١) إشارة إلى رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام. راجع: بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٠٧.

(٢) تفسير سورة الحشر، للإمام الخامنئي دام ظله، الجلسة الرابعة، تفسير الآية: (٧)، ص ١٠٨.

(٣) سورة الرعد "المباركة، جزء من الآية: (١٨).

الأحوال أن يدفعوا كل هذه الدنيا من أجل أن ينجوا بأنفسهم وأرواحهم ومقاماتهم لفعلا. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ عندئذٍ، سيُحاسب هؤلاء ببس ما يكون وسيكون محلهم النهائي تلك النار المشتعلة^(١).

«والآية القرآنية من سورة "النساء" [تقول]: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾^(٢)، فإن كل من ينهض لمعاداة النبي ﷺ ومحاربتة ومخاصمته، بعد أن تبين له مسير الهداية، فإنه سيفصل عن هذا النبي وسيكون له طريق آخر غير طريق النبوة... وهناك سينشعب ويسير في طريق آخر، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وباتباعه طريقاً آخر غير طريق المؤمنين وغير مسار المجتمع الإسلامي والطريق الموصل إلى الأهداف الإيمانية، فإنه يكون قد فصل نفسه عن جمع المسلمين الحقيقيين؛ ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، وهذا يعني أن ما تمسك به وجعله قلادةً في عنقه سيثبت له، وتلك الولاية التي قبلها لنفسه بإرادة تامة منه سنجعلها صبغة ثابتة لحياته التعيسة. فقد أوصل نفسه بنفسه إلى تلك المنطقة، واتخذ السكنى لنفسه هناك، وهناك سنبقيه عاجزاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

(١) الفكر الإسلامي على ضوء القرآن الكريم، للإمام الخامني دام ظلّه، الجلسة العشرون، ص ٥١١.

(٢) سورة "النساء" المباركة، جزء من الآية: (١١٥).

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^(١)؛ فلقد ذهبت بنفسك وقلدت زمامك للشيطان، إذاً فليبقَ زمامك بيد الشيطان. هذه سُنَّةُ الله ﷻ، وهذا هو قانون الخلقة؛ وهذا ما سيحصل في هذه الدنيا، فما الذي سيكون لك في ذلك العالم؟ يقول ﷻ: ﴿وَنُصِّلِهِ جَهَنَّمَ﴾ فبمجرد أن تغمض العين عن هذا العالم، فسوف تتجه مباشرةً إلى جهنم القهر الإلهي والعذاب الرباني الخالد. وعندما يتأمل الإنسان في التاريخ، سيجد عياناً مثل هذا الأمر»^(٢). «التفتوا جيداً ماذا تقوله لنا هذه الآية القرآنية: ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، فهي تقول إنَّ الذي يتعد عن طريق الإيمان والمؤمنين فإننا سنضع حبلاً في رقبته ونثبتته في حنكه»^(٣).



(١) سورة "الرعد" المباركة، جزءٌ من الآية: (١١).

(٢) الفكر الإسلامي على ضوء القرآن الكريم، للإمام الخامنئي دام ظلّه، الجلسة السابعة والعشرون، ص ٦٧٠-٦٧١.

(٣) راجع المصدر السابق، ص ٦٧٧.

في رحاب الآية: (١٨)

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١)



أحداث "بيعة الرضوان" ومجرياتها

«طرحَ النبيُّ الأكرمُ ﷺ دعوته في مجتمعٍ كانت جميعُ العوامل فيه تناهضُ هذه الدعوة، فجهلُ الناس وحميتهم، وشرفُ الأشراف المسيطرة على الناس تقف تجاه هذه الدعوة. وقد قام النبيُّ الأكرمُ ﷺ بطرح مثل هذه الدعوة ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)».

في البداية عمد الأعمام المتكبرون وأصحاب الرؤوس المليئة بالعصبية والغرور والعنجهية، وغير المذعنة للحق، والساخرة بكلِّ كلام متينٍ في الدنيا، عمدوا إلى الاستهزاء والسخرية، مع أنه كان جزءاً منهم، وكانت عندهم عصبية تجاه العرق، فجميع الناس آنذاك كانوا كذلك، فأحياناً يقتتلون عشر سنوات انتصاراً لقريب لهم. ولكنّه عندما حمل هذا القريب هذا المشعل بيده، زوى الجميع أعينهم وصرفوا وجوههم، ولم يحتفلوا به، وأهانوه وحقروه وسخروا منه.

وهنا قام [أمير المؤمنين عليه السلام] وقال: أنا يا رسول الله! طبعاً، كان عليه السلام قد آمن قبل ذلك إلّا أنّه هنا أعلن إيمانه، وأمير المؤمنين عليه السلام هو ذلك المؤمن الذي لم يكن إيمانه مستوراً أبداً طيلة ثلاث عشرة سنة من بداية البعثة إلّا في الأيام القليلة الأولى، فقد أخفى المسلمون إيمانهم لعدة سنوات، إلّا أنّ الجميع كانوا يعرفون بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد آمن منذ البداية.

(١) سورة الشعراء "المباركة، الآية: (٢١٤).

جسّدوا هذا الأمر في ذهنكم بشكل صحيح، ففي الوقت الذي يمارس فيه الجيران وكبار المجتمع الإهانات والتضييق، إذ يسخر الشاعر والخطيب والثري، ويوجّه الحقير والسافل الإهانات، يقف الإنسان وسط هذه الأمواج الجارفة والمعارضة، شامخاً صلباً كالجبل الأشمّ معلناً: عرفت الله ﷺ، وعرفت هذا الطريق وأصرّ عليه، فهذه هي الشجاعة، وقد تجسّدت هذه الشجاعة في "مَكَّة" و"المدينة" وفي مبايعة النبي ﷺ.

فقد عمد النبي الأكرم ﷺ إلى أخذ البيعة عدّة مرّات وفي مناسبات مختلفة، وإحدى تلك البيعات وربّما أصعبها على الإطلاق هي "بيعة الشجرة" و"بيعة الرضوان" في حادثة "الحُدَيْبِيَّة".

فعندما ازداد الموقف حرجاً، جمع النبي الأكرم ﷺ ذلك الجمع الذي بلغ أكثر من ألف وبضع مئات من الذين تحلّقوا حوله - على ما هو مذكور في كتب التاريخ ونقله الجميع - وقال: تبايعونني على الموت، وعدم الفرار، وأن تقاتلوا حتّى النصر أو القتل.

وأتصوّر - بحسب الظاهر - أنّ النبي ﷺ لم يأخذ مثلاً هذه البيعة من المسلمين في موضع آخر سوى هذه المرّة.

حسناً، كان في ذلك الجمع مختلف الناس، وكان فيهم ضعاف الإيمان، بل حتّى أنّهم يذكرون أسماء بعض المنافقين ممّن كانوا

حاضرين في هذه البيعة.

أول من نهض وبايع قائلاً: "يا رسول الله! أبايعك"، كان ذلك الشاب اليافع عليه السلام. شاب له من العمر عشرون سنة ونيّف، مدّ يده وقال: "أبايعك على الموت". بعد ذلك، تشجّع بقيّة المسلمين، وتقدّموا واحداً تلو الآخر وبايعوا، وحتى أولئك الذين لم يرغبوا في ذلك، اضطروا إلى المبايعة. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١). هذه هي الشجاعة^(٢).

السكينة الإلهية من ثمار البيعة للنبي صلى الله عليه وآله

«يقول الله ﷻ في كتابه حول مبايعة النبي صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣). إنّ هذه البيعة التي كانت نابعة عن صدق وإخلاص، استوجبت أن يُنزل الله ﷻ السكينة والطمأنينة على القلوب. وحينما تحلّ السكينة في القلوب، ترحل الهواجس وحالات القلق

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (١٨).

(٢) من كلام للإمام الخامني دام ظلّه في خطبتي صلاة الجمعة التي أقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٧٤/١١/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٦/٢/٩ م.

(٣) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (١٨).

والْيَأْسَ. وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَمَارِسُهَا الْأَعْدَاءُ فِي الظَّرْفِ الرَّاهِنِ، هِيَ بَثُّ الْيَأْسِ وَحَقْنُهُ فِي النَفُوسِ. فَفِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ يَبْثُونَ الْيَأْسَ فِي قَلْبِ الشَّابِّ وَالشَّيْخِ وَالثَّوْرِيِّ السَّابِقِ. وَهَذِهِ الطَّمَأْنِينَةُ وَالسَّكِينَةُ الْإِلَهِيَّةُ تَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ مِنْ ثَمَارِ الْبَيْعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

مبايعة الثورة والإمام الخمينيؑ لمبايعة النبي ﷺ

إِنَّكُمْ الْيَوْمَ حِينَ تَقْطَعُونَ الْعَهْدَ وَتَجِدُّونَ الْبَيْعَةَ لِلثَّوْرَةِ، فَقَدْ بَايَعْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ. وَكُلٌّ مِنْ يَهْبُ الْيَوْمَ لِمُبَايَعَةِ الْإِمَامِ الْخَمِينِيِّؑ، كَمَنْ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ.

وَعِنْدَمَا تَحَافِظُونَ عَلَى نَهْجِ الْإِمَامِ ﷺ الثَّوْرِيِّ، وَتَحُولُونَ دُونَ أَنْدِرَاسِهِ وَبُلَاثِهِ، فَإِنَّكُمْ تَبَايَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَمَنْ يَبَايِعُ النَّبِيَّ ﷺ يَكُونُ مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى، وَفِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾.

وَإِذَا مَا نَزَلَتْ عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، وَاطْمَأْنَنْتَ قُلُوبُكُمْ، فَلَنْ تُصَابُوا بِالْتِيهِ وَالْحِيرَةِ وَالْيَأْسِ وَالتَّزَلُّزِ فِي سَاحَةِ مُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ. وَبِالِاسْتِنَادِ

(١) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

إلى هذه السكينة والطمأنينة يستطيع الإنسان اليوم أن يقطع بأن الشعب الإيراني، سوف يتغلب على أمريكا ودسائسها لا محالة^(١).

السكينة وأثرها في النفس

«والسكينة معناها الطمأنينة والاستقرار بعيداً عن الاضطراب، ويتجسّد أثرها لدى المسؤولين في اتّخاذ القرار الصائب بكلّ هدوء وروية عند حدوث أيّة مشكلة، وعدم الوقوع في ارتباك واضطراب وضياح في حالة حصول أيّ أمر طارئ: "وَقُورٌ عِنْدَ الْهَزَاهِزِ"^(٢)، والوقوف أمام الأحداث الصعبة والعسيرة كالصخرة بل كالجبل، وإذا لاقى من الدنيا رخاءً ورغداً لا يلفّه الضياح.

وهذا خطر آخر يقع فيه الإنسان؛ وذلك أنّه بمجرد أن تنبسط يده ويرى أمامه المجال مفتوحاً واستشعرت نفسه الراحة والسّعة يلفّه الضياح ويسارع إلى اتّخاذ قرارات عاجلة ولا يتورّع عن الاستهانة بالآخرين، وتتسع نوازعه الأنانية فيرخي لها الزمام، أمّا إذا اتّصف بالسكينة - بما تعنيه من وقار وطمأنينة ربّانية - فهي كفيلة بلجم تلك

(١) من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله خلال لقائه حشوداً من أهالي مدينة "قم المقدّسة"، بمناسبة قيامهم وانتفاضتهم إبان الثورة الإسلاميّة المباركة في الـ ٩ من شهر "دي"، بتاريخ: ١٣٩٤/١٠/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/١/٩ م.

(٢) الكافي، للشيخ الكليني رحمته الله، ج ٢، ص ٢٣١.

النوازع، ومنع الإنسان من الإتيان بأعمال تنمّ عن ضآلته وتفاهة قدره، أو تظهره وكأنّه ريشة في مهبّ الريح تميل حيث ما مالت.

أمّا ذو السكينة فهو - في هذا التشبيه - كبحر بعيد الغور لا يمكن لأية نسائم أو أية ريح أن تثير أمواجه.

والسكينة تنفع الإنسان عند الفقر وفي الغنى، وفي حالة الوحدة أو عند الكثرة. ولقد تحدّث القرآن في مواضع متعدّدة عن السكينة، وأنا أيضاً قد تحدّثت ... قليلاً حول هذا الموضوع.

أثر السكينة والتوكّل على الله ﷻ في مواجهة الحوادث

إنّ سكينة المسؤولين هي التي أظهرت نفسها؛ ... فقد مرّت بنا حوادث نفعت فيها سكينة المسؤولين حيث واجهنا انخفاضاً في المداخيل، ومرّت بنا مشاكل سياسيّة ومشاكل أمنيّة. وأنتم رأيتم أنّ الأعداء خلقوا لنا ... بعض الحوادث في طهران؛ فإذا لم يكن المرء يتحلّى بالسكينة والطمأنينة والاتّكال على الله ﷻ والثقة بالمستقبل، والاعتماد على ما لديه من مبادئ الحقّ فلا يتمالك نفسه في مقابل مثل هذه الحوادث، خاصّة إذا توفّرت لديه قرائن دالة على وجود مخطّط مرسوم من الأعداء لتلك الحوادث. فمن بعد رحيل الإمام الخميني رحمه الله وضع العدو خطّة قرّر تنفيذها على مدى عشر سنوات،

ولعلّ ما واجهناه من قضايا اقتصاديّة - انخفاض أسعار النفط - وقضايا سياسيّة، وبعض القضايا الثقافيّة، لم تكن في منأى عن هذه الخطّة، وإذا افترضنا مثل هذا الإحتمال فلدينا شواهد دالّة عليه؛ وهذا يعود إلى سكيّتكم أنتم المسؤولين.

ولكن ماذا عن سكيّنة الشعب؟

الشعب أيضاً بحاجة إلى الاستقرار والسكيّنة؛ فكيف يمكن إشاعة السكيّنة التي تتحلّى بها النخبة بين عموم أبناء الشعب؟ لاشكّ في أنّ الكثير من أبناء الشعب على درجة عالية من الإيمان، وقد أبدى عموم أبناء الشعب مقدرةً فائقةً على تحديّ المشاكل؛ مقدرةً منبثقة من الدين والإيمان، ولكن حينما تتصدّى جماعةٌ ما لحمل أعباء مسؤوليّة إدارة شؤون البلد والشعب، لا يمكنها أن تعتبر نفسها في معزلٍ عن هذه القضية.

لزوم التحلّي بالتقوى من أجل تحصيل السكيّنة

إنّ واجباتنا لا تنحصر في الشؤون الاقتصاديّة والسياسيّة فحسب، وإنّما نتحمّل مسؤوليّة إزاء الشؤون المعنويّة لأبناء الشعب أيضاً، وإذا كان المجتمع يتقهقر نفسياً وأخلاقياً فلا يمكننا القول بعدم وجود شخصٍ مسؤول عن ذلك. وإذا كان هناك شخصٌ مسؤولٌ عن ذلك،

فمن هو؟ من الطبيعي أنّ مسؤولي البلاد لا يمكنهم التنصّل عن هذه القضية، بل إنّ كلّ واحد منهم مسؤولٌ بنحوٍ وشكلٍ ما؛ إذ إنّ مسؤوليّة الشؤون المعنويّة للناس تقع على كاهل الجماعة المتصدّية لإدارة شؤون البلاد في شتّى المستويات من الأعلى إلى الأدنى. وهنا يبرز عنصر آخر. وكان مرادي من الآية التي قرأتها هو الإشارة إلى هذا العنصر الذي له علاقة بالسكينة، وذلك هو التقوى^(١).



(١) كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه في لقاء رمضانيّ مع كبار مسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بتاريخ: ١٣٧٨/١٠/٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٩/١٢/٢٥ م.

في رحاب الآيات: (١٩-٢٠-٢١)

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
* وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ
وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا
قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾

انتصارات المسلمين آياتُ إلهية على قدرة الله ﷻ الفائقة

«في الوعد الإلهي: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١)، يؤكد الله ﷻ

على أنكم إذا نصرتموه فسوف ينصركم. قد يبدو الأمر بعيداً في النظرة العادية القائمة على الحسابات المادية، لكن كثيراً من الأشياء كانت تبدو بعيدة وقد حدثت.

هل كنتم تتصورون ... أن يُذَلَّ طاغوت مصر ويقضى عليه؟ لو قيل يومذاك لبعضهم إنَّ نظام "مبارك" العميل الفاسد سوف يسقط لاستبعد الكثيرون ذلك، لكنَّه حدث. لو ادَّعى أحدٌ قبل ستين أن هذه الأحداث العجيبة سوف تقع في شمال أفريقيا لما صدَّق الناس ذلك في الغالب.

لو قال قائل إنَّه في بلد مثل لبنان ستمكَّن جماعة شابة مؤمنة من هزيمة الكيان الصهيوني والجيش الصهيوني المدجَّج بالسلاح، لما صدَّق ذلك أحدٌ. لكن هذه الأحداث وقعت.

لو قال قائل إنَّ نظام الجمهورية الإسلامية بكل هذا العداء الذي يُنصبُّ له من الشرق والغرب، سيستطيع المقاومة ... ويقوى يوماً بعد يوم، ويتقدَّم إلى الأمم، لما صدَّق ذلك أحدٌ. لكنَّه حدث.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

(١) سورة "الحج" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤٠).

مُسْتَقِيمًا»^(١). هذه الانتصارات آيةٌ إلهية. إنها علامات قدرة الله ﷻ الفارقة التي يظهرها الله ﷻ لنا.

عندما تنزل الجماهير إلى الساحة، وحينما نأخذ ما نملكه إلى الساحة، ستكون النصر الإلهية قطعياً أكيدة. وقد دلّنا الله ﷻ على الطريق: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢)، فالله ﷻ يهدي ويعين ويأخذ بالأيدي إلى الأهداف العليا، بشرط أن نكون متواجدين في الساحة»^(٣).

الجهاد الحماسي .. تقدّم نحو الفتح المبين

«اليوم وبعد مرور ستين عاماً على تلك البداية الحافلة بالمحن تنطلق على أرض فلسطين يوماً بعد يوم بقوة متناهية وبفَسٍّ جديد وعزم قويّ جبهة الحقّ بآمال حيّة وبدافع إيمانيّ يستقطب الأجيال الجديدة الواحدة تلو الأخرى، فتفرض على العدو الهزائم العسكرية والسياسية المتتابعة في لبنان وفلسطين، وتتقدّم بجهادها الحماسيّ نحو الفتح المبين، وكان الخطاب الإلهيّ

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآية: (٢٠).

(٢) سورة "العنكبوت" المباركة، جزءٌ من الآية: (٦٩).

(٣) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في المؤتمر العالمي للشباب والصحوّة الإسلاميّة، بتاريخ: ١٣٩٠/١١/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/١/٣٠ م.

الصادق يتوجّه إليها عبر قوله ﷺ: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا* وَأُخْرَى لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(١) ^(٢).

النصر الإلهي هو طريق ذات الشوكة

«إذا ما انتخبتم الهدف الصحيح وعملتم في سبيله، فإنّ الله ﷻ في هذه الحالة قد وعد بالنصر؛ وهذا ممّا لا رجعة فيه، فلربّما أخطأتم انتخاب الهدف والغاية، أو أحسّتم انتخاب الهدف لكنكم لم تقوموا بأيّة حركة أو سعي أو جهاد، حينها يكون عبثاً انتظار المدد الإلهي؛ ونظراً لأنّ المسلمين كانوا على مدى قرون يسعون نحو أهداف وغايات صالحة، لكنهم لم يبدو تحركاً نحوها فقد انكفأوا، وكذا الآن فأينما كان الهدف صحيحاً ومقروناً بالجهاد فإنّ النصر الإلهي قطعياً أيضاً، وبطبيعة الحال أنّ النصر الإلهي لا يعني عدم وجود الابتلاءات الصعبة، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٠-٢١).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه في المؤتمر الدولي الثالث للقدس ودعم حقوق الشعب الفلسطيني، بتاريخ: ١٣٨٥/١/٢٥ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٦/٤/١٤ م.

وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ»^(١)، فهذه أمور تعترض طريق الجهاد، ولكن ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. والصبر يعني الثبات ومواصلة الطريق؛ وهذا ما يحظى بالبشارة الإلهية أي: بلوغ النصر»^(٢).

النزول إلى الميدان والاستعانة بالله ﷻ سببٌ لحصول النصر

«لقد امتهنت الأمة الإسلامية على مدى الأعوام المتמادية، واستهين بالتاريخ الثقافي العريق، والعزة والكرامة والهوية الأصيلة التي تمتلكها هذه الأمة، وقد كان هدف الأعداء من ذلك إبعاد الشعوب الإسلامية من ميدان العمل السياسي والجهادي؛ من أجل الهيمنة على البلدان الإسلامية، وتجريدتهم من مصادر ثرواتهم. كانت هذه سياسة القوى الاستعمارية والاستكبارية في العالم، لعقود من الزمن، وقد نجحوا في ذلك لفترة معينة.

ولو أن الأمة الإسلامية، تمسكت بهويتها الإسلامية، لما وجدت معضلةً باسم إسرائيل في المنطقة، إلا أن الأعداء تمكنوا من عزل الأمة الإسلامية عن ساحة التحولات التي تجري في

(١) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (١٥٥).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي في الجمهورية الإسلامية، بتاريخ: ١٣٨٢/٣/٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٣/٥/٢٨ م.

المنطقة - أي موطنها - فنتج عن ذلك الغياب أن شرع الأعداء باتخاذ قرارات جائرة ضدّ البلدان الإسلاميّة.

يمكن لنا القول بلا تردد: إنّ الأُمّة الإسلاميّة، وعلى طول الأعوام المتمادية، لم تكن تؤدّي الوظائف الملقاة على عاتقها؛ ولهذا علينا أن نشخص ونتعرّف على أخطائنا؛ من أجل إصلاحها. فلولا وجود حالة التقاعس والتهاون قبال العدو، لما استطاع العدو أن يسيطر علينا.

لقد تراجعنا، وهذا هو أحد أخطائنا، إلّا أنّ الوضع قد تغيّر الآن، فالعالم الإسلاميّ اليوم يتمسّك بهويّته.

ينبغي لهذه الأُمّة استغلال كافّة عناصر العزّة - الموجودة في تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف والقرآن الكريم - وعلى رأس ذلك التوجّه الى الله ﷻ والتمسّك بالدستور الإلهيّ، والتوكّل على الله ﷻ والثقة به ﷻ.

إنّ الله ﷻ يلقي اللوم على الذين يظنون به ظنّ السوء فيقول: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، فإنّ الذين ينكرون نصره الله ﷻ لهم في الميدان ينبغي

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٦).

لهم أن يلوموا أنفسهم؛ لأننا حينما ننزل الى الميدان، فإنَّ الله ﷻ سوف يُعيننا؛ وهذا ما يؤكده القرآن الكريم، والوعد الإلهيِّ المؤكَّد، وما نشاهده من خلال التجارب الحياتية التي نمرُّ بها. والتاريخ الإسلامي ثرٌّ بالتجارب التي تبيِّن للمسلمين أنَّهم كلِّما شحذوا الهمم، ونزلوا إلى الميدان، مستعينين بالقدرة الإلهية، فسوف يحصلوا على العون والإمداد الغيبيِّ.

إنَّ النصر الإلهيَّ يتحقَّق لا محالة، إلَّا أنَّه يُشترط فيه نُصرة الله ﷻ، والتواجد في الميدان: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١)، وأمَّا مع وجود التقاعس، والسعي وراء الأوهام، والتلاعب بمقدَّرات الأمة الإسلامية، وترجيح هوى النفس على مصالح الأمة، فلا يمكن أن يتحقَّق ذلك. لقد استيقظ العالم الإسلاميُّ في يومنا هذا، وعلينا الاهتمام بهذه الصحوَّة، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وعلينا أن نثق بالله ﷻ، مكان الثقة بالقوى الاستكبارية، وحيثما تحقَّق هذا الأمر، فسوف يكون النصر حليفنا لا محالة^(٢).

(١) سورة "الحجَّ" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤٠).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلُّه خلال مسؤولي النظام بمناسبة عيد الفطر السعيد، بتاريخ:

١٣٨٥/٨/٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٤/١٠/٢٠٠٦ م.

صحوة الشعوب الإسلامية من آيات القدرة الإلهية

«اليوم، الشعوب الإسلامية في صحوة، وتشعر بأنها قادرة ببركة الإسلام على إسماع صوتها وإثبات وجودها في مواجهة أعداء العالم الإسلامي، وفي مواجهة الشبكة الصهيونية الفاسدة التي تهيمن على سياسات الدول الغربية. هذه الانتصارات ذات قيمة عظيمة.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ...﴾^(١): هذا جزء من الوعد الإلهي الذي تحقّق.

﴿... وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: في مواجهة الأعداء والدعايات والأساليب والطرق الخبيثة التي يتبعونها، كل انتصار يحققه شعب ما هو بشارة إلهية.

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾: هذه آية إلهية، علامة إلهية تدلّ على أنكم إذا تحرّركم، ستصلون إلى النتيجة»^(٢).

لا تخافوا الشيطان وخافوا الانحراف عن الصراط المستقيم

«إِنَّ مَهْمَّةَ الْعَدُوِّ هِيَ بَثُّ الرِّعْبِ وَالْاضْطِرَابِ. مَهْمَّةُ الْعَدُوِّ أَنْ يَنْشُرَ الذُّعْرَ وَالْخَوْفَ وَالْيَأْسَ. هَذِهِ هِيَ مَهْمَّةُ الْعَدُوِّ وَمَا يَقُومُ بِهِ

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٠).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بتاريخ: ١٣٩١/١١/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٣/١/٢٩ م.

الشیطان. والمسألة ليست وليدة اليوم، فلطالما كانت موجودة ومستمرة على مدى التاريخ، وطوال تاريخ الإسلام: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾^(١)، إنها آية قرآنية: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

يقول الله ﷻ: أيها المؤمنون! لا تخافوا أولياء الشيطان وأتباعه، ولا تخشوا القوى الشيطانية، بل خافوني وخافوا الانحراف عن الصراط المستقيم. إذا انحرف الإنسان عن الصراط المستقيم، فهذا أمر مخوف؛ لأنكم عندما تنحرفون عن الجادة المستقيمة والصحيحة والقويمة، سوف تتيهون في الصحراء؛ وهذا ما يجب أن تخافوه. أما العدو، فلا تخافوه إطلاقاً. لا تخافوا العدو.

ويقول ﷻ في موضع آخر: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾^(٢)، أو قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

لاحظوا، إن آيات القرآن دروس حياة ودروس تقدّم وتطور. بعد معركة "أحد"، حيث قدّم المسلمون الشهداء، واستشهد شخص

(١) سورة آل عمران "المباركة، جزء من الآية: (١٧٥).

(٢) سورة المائدة "المباركة، جزء من الآية: (٣).

(٣) سورة آل عمران "المباركة، الآية: (١٧٣).

كحمزة سيّد الشهداء عليه السلام، واستشهد آخرون، وبعض آخر جُرِحُوا وأُصِيبُوا، وانتهت المعركة بالتالي، وانقضى ذلك اليوم، وهمّوا بالعودة إلى المدينة ... وعلى أعتاب المدينة وخارجها، في منطقة "أُحُد"، كان هناك بعض الجرحى وبعض المتألمين والمهمومين. وبعد أن ابتعد العدو عن المدينة - إذ في المرحلة الأخيرة من المعركة، وجّه المسلمون ضربات شديدة للعدوّ، وأجبروه على الابتعاد - خطرت بباله فكرة وخطة، وهي أنّه طالما عاد المسلمون إلى المدينة وألقوا السلاح، فليعودوا هم ويهاجموهم فجأةً، وينهوا كلّ شيءٍ. ولكي يبنّوا الفزع والهلح في نفوس المسلمين، فقد سرّبوا الخبر بنحو من الأنحاء، بأنّ الأعداء سوف يهجمون الآن. حسناً، بعضهم جرحى وبعضهم متعبون، ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾؛ جاء المندسّون بين الناس، وقالوا لهم: إنّ الجيش خارج المدينة بانتظار الهجوم عليكم، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾، وسوف يذيقونكم الويل والثبور. عندها، أمر الرسول صلّى الله عليه وآله الذين جُرِحوا اليوم في "أُحُد" فقط، بالخروج إلى العدو، وقال: هؤلاء، لا غيرهم، من يجب أن يحملوا السلاح ويقاتلوا... وهكذا، انبرى بعض الجرحى، وهم مؤمنون بالتالي، مؤمنون بالرسول صلّى الله عليه وآله ويقبلون عنه، فحملوا السيوف وخرجوا واشتبكوا مع تلك الجماعة التي كانت بالقرب من المدينة - على بُعد

فرسخ أو نصف فرسخ - وانتصروا عليهم انتصاراً عظيماً، ﴿فَانْقَلَبُوا
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾.

في البداية ﴿قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ثم ساروا؛
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ عادوا ومعهم الغنائم، قد هزموا
العدو ورجعوا مرفوعي الرأس غانمين. هذا هو منطق الإسلام.

إنّ ما يدفعكم إلى الخوف واليأس والقنوط هو الشيطان. وهؤلاء
الشياطين يعملون اليوم بشكل متواصل، عبر الإذاعات وشبكات
التلفزة والفضاء الافتراضيّ ومواقع التواصل الاجتماعيّ وما إلى ذلك؛
من أجل أن تخافوا. ولكن لا، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، بل خافوا الانحراف
عن طريق الله ﷻ؛ لأننا إذا انحرفنا عن الطريق المستقيم، كان مصيرنا
مصير البلدان الخاضعة لأميركا، مصير العربيّة السعوديّة، ومصير نظام
الشاه. وفي مثل تلك البلدان، كلّ إمكانيات البلد تكون ملكاً للعدو،
فيما الشعب ذليل مقابل العدو، لا ملاذ ولا ملجأ له منه»^(١).

تقصيرنا سبب تلقينا للضربات

«في تلك التهديدات التي تلقيناها بشكل مباشر من العدو، أينما

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه بمناسبة إحياء الذكرى السنويّة لمبايعة القوات الجويّة

التاريخيّة للإمام الخميني ﷺ، بتاريخ: ١٣٩٧/١١/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٩/٢/٨ م.

تلقينا ضربةً فذلك بسبب تقصيرنا نحن. يذكر القرآن الكريم حول معركة "أحد": ﴿أَوَلَمْآ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

في قضية "أحد" تلك الحادثة المرة التي وقعت، في البداية كان المسلمون منتصرين ثم بعدها نسيت مجموعةً من المقاتلين الأوامر التي صدرت إليها، وتركوا ذلك المضيق واتجهوا نحو جمع الغنائم فتمكن العدو من تفريق القوات الإسلامية ليتمكن منهم ويقتل عدداً ويلحق بهم الهزيمة، حتى اضطر المسلمون بسبب خوفهم إلى الاحتماء بالجبل. وقد صارت حياة النبي الأكرم ﷺ في خطر وأصيب بجراحات.

بعد ذلك قال المسلمون: لماذا حدث هذا فإن الله ﷻ قد وعدنا بالنصر؟ والله ﷻ يقول: إِنَّا نَصَرْنَاكُمْ وَقَدْ تَحَقَّقَ وَعْدَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ خَرَبْتُمْ عَمَلَكُمْ. فأولاً: لو أن العدو قد وجه إليكم ضربةً فأنتم قد أنزلتم به ضربةً في المقابل، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ فلا تعجبوا، ففي ميدان الحرب هناك كرٌّ وفرٌّ. في ميدان الحرب الكبرى، في الميدان السياسي والاقتصاد العالمي يضرب الإنسان ويتلقى الضربات، فلا ينبغي أن يتوقع خلاف ذلك.

(١) سورة آل عمران "المباركة، جزء من الآية: (١٦٥).

لكنكم قلتُمْ: ﴿أَنْتَى هَذَا﴾. يعني تقولون: من أين تلقينا هذه الضربة؟ ويقول القرآن: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، فأنتم ارتكبتم الخطأ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

في بعض الأماكن لم نعمل بتكليفنا، وفي بعض الأماكن لم نكن مراقبين حيث يجب، وفي بعض الأماكن قمنا بالدوس على روابطنا الوطيدة، وقد انجرّ ذلك كلّهُ إلى وقوع مشاكل، يجب أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار^(١).

العمل بالتكليف سرّ الانتصار

«لقد كان الإمام الخميني رحمته الله يردّد: إننا نعمل بالتكليف، نحن لا نقاتل من أجل النصر، نحن نقاتل لتقديم الإجابة أمام ربّ العالمين، فالله ﷻ هو الذي فرض التكليف ونحن نعمل به، فلئن نصرنا فله المنّة علينا، ولئن لم ينصرنا فذاك توفيقٌ منه أن عملنا بتكليفنا وله المنّة علينا، وهذه هو سرّ الانتصار.

لو وضع الإنسان الشرع نصب عينيه، أي يتحرّك خطوةً خطوة بما يمليه التكليف الشرعي والديني سيبلغ النصر لا محالة، ولن

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وجمعاً من مسؤولي

النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بتاريخ: ١٣٩٠/٥/١٦ هـ/ش، الموافق لـ

ينقصنا شيءٌ حينها؛ لأنَّ الحساب العينيَّ في غاية الدقَّة، والمحاسب هو الله ﷻ، وجهاز محاسبته العلم الإلهي الذي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ولا يخفى شيءٌ في عمليَّة الحساب تلك.

حينما أمرنا ﷺ بالجهاد والأمر بالمعروف وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدق في القول والعمل واجتناب رذائل الأخلاق والتحلي بالإخلاص والعلم وما شابهها من أحكام إلهيَّة يتحلَّى بها المؤمن الكامل، فذلك يعني وجوب تعبُّدنا بهذه التعاليم، فلو كان هنالك حقل ألغام لا علم لك به، وزودوك بورقةٍ وقالوا لك: تقدِّم مترين، ثمَّ سر إلى اليمين ثلاثين ستمتراً، تحرَّك بعدها إلى الأمام وبعد مسافة متر ونصف ملم نحو اليسار، فعليك توخِّي الدقَّة والتحرُّك وسط هذا الحقل. وهكذا دوِّن العارفُ خارطةَ انتشار الألغام تحت الأرض وزودك بها، وأمرك بالتحرُّك على هذا المنوال، وهذا ما يعنيه التعبُّد. إنَّ ما يتصوره بعض ناقصي الإدراك عن جوانب التنوير - وأرفض كونهم من المتنورين - حول التعبُّد الدينيّ ويقولون: ماذا يعني التعبُّد؟ وما هو شأن عقلنا؟ إنَّما ناجمٌ عن عدم فهم حقيقة الأمر بالنسبة للحياة؛ فإذا ما زودوكم بخارطة وأمروكم بالعمل وفقها،

(١) سورة "سبأ" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣).

عليكم العمل، وإذا ما كتب في الخارطة ضرورة التأمل، واقعاً عليكم التأمل والعمل في ضوء هذا التأمل؛ فذلك جزءٌ ممّا رُسم في الخارطة. وحيثما قيل لك: لا تفكر عبثاً، فتفكيرك لا يجدي نفعاً، إنّما التعبّد يقول لك: لا سبيل أمامك سوى ذلك.

يجب التفكير في كافّة نواحي الحياة والتحرّك في ضوء هدي العقل، إلّا في حالة أمر الشارع المقدّس بأن تقوم بفعلٍ معيّن فلا بدّ من العمل، فالميدان ميدان تعبّد ولا فاعليّة لأيّ عنصر آخر فيه ومن بين ذلك العقل البشريّ. وإذا وضعنا هذا الأمر نظر الاعتبار وتمسّكنا بالتقوى والورع والتحرّك وفق ما يرتضيه الله ﷻ إذ ذاك ستتحقّق كافّة أهدافنا»^(١).

«على من يريد العمل على الوجه الأكمل أن يتقيّد بالتكليف الشرعيّ، وأن يشعر بأنّ ما يؤدّيه هو وظيفة إلهيّة، فعندما يكون الإنسان متعباً قد يتقاعس في عمله - في حالة عدم وجود المراقب - ويقول في نفسه: لا داعي لأدائه بهذه الدقّة، أو يترك عمله على النصف، هذه وسوسة شيطانيّة، هذه صفات من لا يعتقد بالرقابة

(١) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه قادة حرس الثورة الإسلاميّة ومسؤولي مكاتب ممثليّة الوليّ الفقيه في حرس الثورة، بتاريخ: ١٣٦٩/٦/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٠/٩/٢٠ م.

الإلهية. أمّا الإنسان المعتقد بالله ﷻ وبهذا الدين، يرى أنّ هناك رقيباً عليه، أعني "الكرام الكاتبين"، وأنّ الله ﷻ ينظر ويراقب من ورائهم، وسوف يسألنا غداً عن أعمالنا، فيضاعف أحداكم ههنا مراقبته لنفسه وإتقانه لعمله.

يجب أن نتحلّى بهذه الروحية، يجب أن يمثل الله ﷻ والدين والتكليف الشرعيّ المقياس الأوّل بالنسبة لنا، وإذا واجهنا في موردٍ ما عملاً من الأعمال يرضى به الله ﷻ وقد لا ترضى به فئة من الناس، يتعيّن علينا أن نختار الجانب الذي فيه رضاه ﷻ وإن استلزم ذلك استياء الناس، فنحن وإن كنا نقدّر رضا الناس ونسعى لتحصيله ولكن عندما لا يكون ذلك على حساب رضاه ﷻ. يجب أن يكون الملاك هكذا^(١).



(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال زيارته لمحافظة "چهار محال وبختياري" ولقائه مسؤولي المحافظة وإمام جمعتها وممثّل الوليّ الفقيه فيها، بتاريخ: ١٣٧١/٧/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٢/١٠/٨ م.



في رحاب الآيتين: (٢٢-٢٣)

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١)

نصرُ المؤمنين حقيقةً إلهيةً بديهيةً مُسلّمةً

«في آية: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١)، وهي إحدى آيات سورة "الفتح" المباركة، يوضح القرآن الكريم للمسلمين المؤمنين في تلك الفترة حقيقةً مهمّة، وهي بعيدةٌ عن الأذهان من حيث الأسباب الظاهريّة، إلّا أنّها حقيقةٌ ومُسلّمةٌ من حيث التصور الإلهيّ.

في العام السادس للهجرة وجدت فئةٌ من المسلمين نفسَهَا في مواجهةٍ مع الكفّار المدجّجين بالسلاح، بينما كان المسلمون لا يمتلكون التجهيزات المطلوبة ولا الأسلحة الضرورية ولا الوسائل الحربيّة اللازمة، وهم الذين لم يكونوا راغبين منذ البدء في قتال الكفّار، وكان ذلك في "غزوة الحُدَيْبِيَّة" أو "صُلْحُ الحُدَيْبِيَّة".

ومع أنّ قتالاً لم ينشب بين الطرفين، فإنّ هذا الحادث ترتّب عليه آثارٌ أعظم ممّا يمكن أن يترتّب على حربٍ كبرى، وكانت له بركات استثنائيةٌ من حيث كَيْفِيَّةُ المواجهة؛ فلقد جاء كفّار قريش بكلّ ما لديهم من أسلحة ومعدّات ورجال؛ لقتال المسلمين الذين قدّموا مجرّدين من السلاح؛ قاصدين العمرةَ وزيارةَ بيت الله الحرام، إلّا أنّ قتالاً لم يقع، وعاد المسلمون من هذه المواجهة السلميّة بخير عظيم.

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

وهنا يخاطب الله ﷻ المسلمين مبيناً لهم أنهم حتى لو نشب القتال بينهم وبين الكفار والمشركين لكان النصر حليفهم، فهذه سنة إلهية، وهذا قانون إلهي ثابت لا يتغير يجريه في عالم الوجود، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

وفي هذا السياق يبرز لنا أصل مهم، وهو أصل قد تكرر في صدر الإسلام، كما تكرر في تجربة الثورة الإسلامية، وأيضاً فيما عدا ذلك من وقائع التاريخ المختلفة، وإن إدراك هذا الأصل يمثل أهمية فائقة بالنسبة لشعب كشعبنا، وإن كان يبدو غائباً عن العيان في معظم الأحوال. ولهذا فقد كان دور إمامنا العظيم - الإمام الخميني الكبير (رحمته الله) - هو إثبات هذه الحقيقة. فما هي هذه الحقيقة؟

إنها تبلور في أن القوى المؤثرة في التطورات الاجتماعية والسياسية لا تتعلق إلّا بالإنسان وطاقاته وإرادته وإيمانه الإنساني. وعلى هذا فإنّ مظهر القدرات والقوى المؤثرة في التحولات الاجتماعية ليس هو ذلك الشيء الذي أراد حكّام ومستكبرو العالم إظهاره على الدوام؛ فلقد أراد هؤلاء الحكّام والمستكبرون إثبات أن التحولات الكبرى ونتائجها لا تحدث دون ما يبذلونه من أموال وما يمتلكونه من قوة وأسلحة وسلطات مطلقة وما يثبّونه من دعايات، وأنّ أمور العالم رهن أيديهم، وأنّ التحولات البشرية لا تشدّ عن إرادتهم.

ولكن هذا المبدأ الإلهي، يثبت خلاف ما يزعمون، ويؤكد أنّ كافة تحولات العالم، وقضايا الإنسانية الكبرى، والثورات العظيمة، والتطورات العظمى، والتحركات الكبرى، ليست على الإطلاق رهن أيدي وإرادة طغاة ومستكبري العالم، ولا تتوقف على أسلحتهم وثرواتهم ودعائياتهم - حتّى ولو أوحوا بذلك - بل إنّها رهن أمور أخرى تتعلق بإرادة الإنسان وإيمانه وتضحياته وحركته وتجمّعاته، التي من شأنها التأثير والتحكّم في مصير البشريّة وإيجاد الأحداث الكبرى، وهو ما بيّنه القرآن مراراً وتكراراً، مؤكّدة إياه الوقائع والحقائق التاريخيّة، إلّا أنّ الكثير من الشعوب والأمم تجاهلت هذه الحقيقة السافرة، فمُنيت بالتخلف، وسحققتها قوى الاستكبار العالميّ، حيث إنّها لم تحسن استغلال ما لديها من طاقات وفرص وإمكانيّات، وتغافلت عن الاستخدام الصحيح لمقدّراتها؛ وهو ما يستغلّه طغاة العالم ومستكبروه فيواصلون فرض إرادتهم وتحقيق أطماعهم الحيوانيّة ونزواتهم الشخصيّة. وما علينا هنا إلّا إلقاء نظرة على تاريخ العالم وما حواه من أحداث في الماضي وما يسجّله من أحداث راهنة ... وإعارة المزيد من الاهتمام لهذه الحقيقة الإلهيّة^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال إحياء الذكرى السنويّة الحادية عشرة لرحيل الإمام

الخميني رحمه الله، بتاريخ: ١٤/٣/١٣٧٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٠/٦/٣ م.

حقيقة السنن الإلهية

«في عالم البشر هناك حسابات وعلاقات أخرى غير الحسابات والعلاقات السياسية، هي السنن الإلهية، وسوف أشرح ذلك الآن قليلاً: السنن تعني القانون، أي القاعدة. الله المتعالى لديه قوانين في عالم الطبيعة وعالم الإنسان: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٢). هذه كلها قوانين. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾^(٣). هذه قوانين. إنها قوانين جارية إلا أنها أمام أعيننا. قانون الجاذبية أمام الأعين والجميع يفهمونه. لكن لديه أيضاً قوانين لا يستطيع الجميع فهمها.

القرآن كله حقاً مليء بتبيان هذه القوانين: مثلاً: ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾^(٥)، وأمثالها، وسوف أقدم بعضها الآن. هذه أيضاً قوانين. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٦)، مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ ﷻ؟ الله ﷻ يقول: إِنَّ هَذَا قَانُونٌ.

(١) سورة "يس" المباركة، الآية: (٣٨).

(٢) سورة "يس" المباركة، جزء من الآية: (٣٩).

(٣) سورة "يس" المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

(٤) سورة "البقرة" المباركة، جزء من الآية: (١٩٤).

(٥) سورة "العنكبوت" المباركة، جزء من الآية: (٦).

(٦) سورة "النساء" المباركة، جزء من الآية: (١٢٢).

أحد هذه القوانين هو: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١)،
 "وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ" - مع بعض علامات التأكيد - .

أو: ﴿إِنْ تَصُرُّوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٢): هذه سُنَّةُ إلهية. إذا كان
 الطريق الذي تسيرون فيه، والعمل الذي تفعلونه، وتوجهكم هو نصره
 الله ﷻ - ومعنى نصره الله ﷻ نصره دين الله ﷻ والقيم الإلهية، فهذا ما
 تعنيه - وإذا تحركتم في هذا الاتجاه، فسوف تتصرون وسيساعدكم
 الله ﷻ. طبعاً بشرط أن تتحركوا وتعملوا لا أن ترددوا ذلك فقط.
 فلتعملوا؛ هذه سُنَّةُ إلهية.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣): إذا صرفتم النعمة الإلهية في محلها،
 فسوف يزيد الله ﷻ تلك النعمة عليكم. هذه سُنَّةُ إلهية.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
 الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤). هذه أيضاً سُنَّةُ إلهية. إنها كلها سنن إلهية.

... عندما أخذ النبي موسى عليه السلام بني إسرائيل وذهب بهم ليلاً نحو
 البحر؛ ليهربوا ويرحلوا من هناك - ربّما كان اليوم التالي أو اليوم ما

(١) سورة "الحج" المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

(٢) سورة "محمد" ﷺ المباركة، جزء من الآية: (٧).

(٣) سورة "إبراهيم" عليه السلام المباركة، جزء من الآية: (٧).

(٤) سورة "العنكبوت" المباركة، الآية: (٦٩).

بعد التالي، فالتاريخ غير محدد بدقة - عرف الفرعونيون بذلك ولا حقوقهم، لكن أولئك كانوا سيرا على الأقدام وبمعاناة، وهؤلاء على الخيل وركبانا. وعندما صاروا على مقربة منهم ومترائين لهم: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾^(١)، التفت أصحاب موسى ﷺ إليه وقالوا: ﴿إِنَّا لَمَذْرُؤُنْ﴾؛ الآن يأتون ويقبضون علينا! لقد قضي أمرنا! قال النبي موسى ﷺ: ﴿كَلَّا﴾^(٢)، أبدا! ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾؛ الله ﷻ معي. هذه سنة إلهية. إنها سنن إلهية.

السنة الإلهية تعني القانون. كيف يعمل القانون؟ للقانون قضية وحكم. لديه مسألة ونتيجة. اجعلوا أنفسكم منطبقين مع ذلك الموضوع وسوف تترتب النتيجة قطعاً. ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٣). "تَنْصُرُوا اللَّهَ" هي القضية، والحكم والنتيجة: "يَنْصُرْكُمْ". إذا طبقتكم أنفسكم مع هذه، فسوف تترتب نتائجها حتماً. القضية محسومة؛ فهذا وعد إلهي.

القرآن الكريم هو الكلام الصريح للرب ﷻ لنا، ولا يوجد فيه والعياذ بالله ذرة من المبالغة والتناقض ونحو ذلك، لكن الشرط هو أن

(١) سورة "الشعراء" المباركة، جزء من الآية: (٦١).

(٢) سورة "الشعراء" المباركة، جزء من الآية: (٦٢).

(٣) سورة "محمد ﷺ" المباركة، جزء من الآية: (٧).

تطابقوا أنفسكم مع تلك القضية. إذا طابقتهم، فستحصل تلك النتيجة. تحرّكت الجمهورية الإسلامية على هذا النحو في ذلك اليوم. في كلّ مرة انتصرنا فيها، كنّا قد تحرّكنا هكذا؛ أي جعلنا أنفسنا متطابقين مع مصداق من السنّة الإلهيّة، وقد رتب الله ﷻ النتيجة أيضاً؛ ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١). يقول: إذا استقمتم، فإنّ الله ﷻ سيسقيكم ماءً وفيراً ويجعلكم غير محتاجين. لقد استقمنا، فالله ﷻ جعلنا غير محتاجين. والعكس على هذا النحو أيضاً.

بطبيعة الحال إنّ سنن الله ﷻ لها أنواع وأصناف. هناك يقول: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، ثم: ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. هذه أيضاً سنّة.

﴿كَفَرْتُمْ﴾: يعني كفران النعمة. فإذا كفرتم بالنعمة أيضاً ولم تستفيدوا منها، وأسأتم استعمالها والاستفادة منها، إذا وقعت هذه الأفعال؛ ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. تلك أيضاً سنّة إلهيّة.

إذا جعلنا أنفسنا وفقاً لتلك القضية، فسوف تترتب تلك النتيجة على الأمر، فكلتا الحالتين سنّة إلهيّة، والجانب الآخر من القضية على هذا النحو أيضاً.

(١) سورة "الجنّ" المباركة، الآية: (٦١).

(٢) سورة "إبراهيم" المباركة، جزء من الآية: (٧).

حسناً، هناك حالتان في سورة "آل عمران" المباركة، والعجيب أن هاتين الحالتين في سورة واحدة وتكادان تكونان مرتبطتين بقضية واحدة. طبعاً إنهما قضيتان لكنهما مرتبطتان ببعضهما بعضاً.

يعبر عن نوعين من السنن: سنة النصر وسنة الهزيمة.

إحداهما في الآية ١٧٣ من سورة "آل عمران": ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١)، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾^(٢). ولا بد أنكم سمعتم قصتها.

انتهت معركة "أحُد" واستشهد في هذه المعركة شخصٌ مثل حمزة سيّد الشهداء عليه السلام، وجرح الرسول صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، واستشهد عددٌ كبيرٌ، وعادوا مُتعبين ومرهقين ومجروحين إلى المدينة.

الآن، قريش - هذا العدو الذي لم يستطع فعل شيءٍ - كان قد أوقع ضربةً لكنه لم يستطع الانتصار على المسلمين، وقد تجمع خارج المدينة على بعد كيلومترات قليلة منها، وقالوا: الليلة سنهجم، فهؤلاء مُتعبون ولا يمكنهم فعل شيءٍ، فلننه المسألة.

(١) سورة "آل عمران" المباركة، الآية: (١٧٣).

(٢) سورة "آل عمران" المباركة، جزء من الآية: (١٧٤).

جاء عناصرهم إلى داخل المدينة وبدؤوا يبثون الخوف: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾^(١). جاؤوا وقالوا: هل عندكم خبر؟ هل لديكم اطلاع؟ لقد اجتمع هؤلاء وأعدوا جيشاً ويريدون أن يفتكوا بكم! الليلة سينهالون ويفعلون كذا وكذا! بثّ الخوف. قال الذين كانوا مخاطبين ببثّ الخوف هذا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. قالوا: كلا! نحن لا نخاف؛ الله ﷻ معنا.

قال النبي ﷺ فليجتمع الذين جرحوا في "أحد" اليوم، فاجتمعوا، وقال: اذهبوا لمواجهة هؤلاء.

ذهبوا، وهزمهم وعادوا: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾^(٢)؛ حيث أخذوا مقداراً من الغنائم، ولم تحدث لهم أي مشكلة، بل هزموا العدو وعادوا. هذه سنة إلهية.

لذلك، إذا صرتم أمام بثّ العدو للخوف معتقدين بالمعنى الحقيقيّ لعبارة ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣)، وقمتم بواجباتكم، فهذه هي النتيجة.

هذا الجزء من سورة "آل عمران" المباركة يبين لنا هذه السُّنة.

(١) سورة "آل عمران" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٧٣).

(٢) سورة "آل عمران" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٧٤).

(٣) سورة "آل عمران" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٧٣).

كان هذا بشأن قضية ما بعد "أُحُد"، مثلاً ربّما بعد ساعات قليلة من نهاية معركة "أُحُد". الجزء الآخر من القضية يتعلّق بداخل معركة "أُحُد" نفسها.

في معركة "أُحُد"، انتصر المسلمون في البداية، أي هاجموا العدو وهزموه أولاً، وبعد ذلك عندما فقدوا ذلك المضيق؛ بسبب طلب الدنيا، انعكست المسألة.

مرة أخرى في سورة "آل عمران" المباركة، يبيّن القرآن الكريم هذا ويقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾^(١). لقد أوفى الله ﷻ وعده، فلقد وعد أنكم إذا جاهدتم في سبيل الله ﷻ، فسوف ننصركم. لقد أوفينا وعدنا ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾: استطعتم أن تضعوهم تحت الضغط وتنهكوهم، بإذن الله ﷻ. لقد استطعتم ذلك في بادئ الأمر. حسناً، هنا أدّى الله ﷻ عمله. أوفى الله ﷻ وعده الذي أعطاه لكم.

ولكن ماذا فعلتم بعد ذلك؟

بدلاً من تقديم الشكر على هذا الوعد الإلهي، وبدلاً من أن تقدّموا الشكر على هذا اللطف الإلهي، ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي: ضعفت أقدامكم، ووقعت أعينكم على الغنيمة، ورأيتم أن بعضكم يجمعون الغنائم، فضعفت أقدامكم أيضاً.

(١) سورة "آل عمران" المباركة، جزء من الآية: (١٥٢).

﴿فَشِلْتُمْ﴾: فشلاً شديداً. ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾: بدأتُم تتنازعون مع بعضكم بعضاً، ووقع بينكم خلاف.

انظروا! يجب إجراء رؤية علمية سوسيولوجية على هذه التعبيرات القرآنية. ماذا يحدث حتى يتقدم بلدٌ أو دولةٌ أو حكومةٌ ما؟ وماذا يحدث حتى يتوقف؟ وماذا يحدث حتى يسقط؟ هذه يمكن العثور عليها في هذه الآيات القرآنية.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾^(١): أي عصيتُم وخالفتم الأوامر. كان النبي ﷺ قد قال لكم أن تفعلوا هذا ولم تفعلوا. ثم عندما صار الأمر هكذا، ﴿مَنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾: أي بعدما أعطاكم الله ﷻ ما كنتم تريدونه - ذلك النصر الإلهي - وأظهره لكم، وكنتُم أن تصلوا إلى النصر التام، لكنكم تصرفتم على هذا النحو، حيثُ: ﴿مَنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾. هنا مرة أخرى عمل الله ﷻ بسنته: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾، أي جعل يديكم قصيرة عنهم، أي غلبتم. فهذه سنة إلهية.

هناك كانت السنة الإلهية أن اثبتوا أمام الخوف من العدو وامضوا قدماً. هنا السنة الإلهية هي ألا تدمروا أنفسكم والآخرين مقابل الرغبة في الدنيا وطلبها، وطلب الراحة وترك العمل وتكبّد العناء، والسعي

(١) سورة آل عمران "المباركة، جزء من الآية: (١٥٢).

وراء المطامع، وما شابه. تُبَيِّن آيتان قريبتان من بعضهما بعضاً في سورة آل عمران" المباركة هاتين السنتين.

القرآن الكريم مليءٌ بالسنن الإلهية. لقد قلت: لو ألقِتم نظرةً من أول القرآن الكريم إلى آخره، فإن السنن الإلهية دائماً يجري تبينها وتكرارها.

جاء في مواضع عدة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١). يوجد من هذا القبيل أربعة مواضع أو خمسة أيضاً، يقول الله ﷻ فيها إِنَّ السنن الإلهية غير قابلة للتغيير، وإن القوانين الإلهية قوانين متقنة.

الله ﷻ ليس له قرابةٌ مع أحد. أن نقول إننا مسلمون، وشيعة، وجمهورية إسلامية فنفعل أي فعل نهواه ... كلا! نحن لا نختلف عن الآخرين أبداً. إذا طابقنا أنفسنا مع قضية تلك السنن من الفئة الأولى، فإن نتيجة ذلك هي تلك. وإذا طابقنا أنفسنا مع قضية السنن من الفئة الثانية، فإن نتيجة ذلك هي تلك. المسألة محسومة.

نحن عام ١٩٨١م في مواجهة هذه الأحداث كلها والشدة تمكّنا من الوقوف على قدمينا وأن نحبط العدو، واليوم يمكننا ذلك أيضاً. إنه سنة ١٩٨١م هو نفسه إله هذه السنة. إن إله فترات الصعوبة

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآية: (٢٣).

والفترات المختلفة واحد، والسنن الإلهية كلها لا تزال مكانها أيضاً. فلنسح أن نجعل أنفسنا مصداقاً للسنن الإلهية في طريق التقدم، وليكن هذا سعيًا»^(١).

سُنَّةُ اللَّهِ ﷺ .. انتصار الشعوب المؤمنة العاملة

«كل القوى المادية والتسلحات والضجيج السياسي لا تستطيع الصمود في مواجهة قوة الإرادة والإيمان لدى البشر؛ هذه سنة إلهية. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^(٢). هكذا هي الأمور ... إذا عقدت الشعوب العزم، واتخذت الله ﷻ مقياساً وأساساً لعملها، تستطيع تحقيق المستحيل. لقد كان الأمر دائماً هكذا؛ نقاط ضعفنا هي التي تمكن العدو من النجاح، وإذا تخلصنا من نقاط ضعفنا، لن يتمكن أيّ عدوٍّ من التغلب علينا.

نحن نملك عوامل النصر في داخلنا وفي وجودنا. الله ﷻ وضعها فينا، إلّا أننا نتمسك بجزء منها فقط، براحتنا، بأنفسنا، بمكاسبنا وإمكانياتنا، بهذه المتاع الحقيق الذي وضعه الله ﷻ بين أيدينا، ونغفل

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه رئيس ومسؤولي القوة القضائية في الجمهورية

الإسلامية في إيران، بتاريخ: ١٤٠١/٤/٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٦/٢٨ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٣-٢٢).

عن الجزء الأكبر والأعظم منه.

ونتيجة ذلك، هي ما نراه اليوم من تدهور وضعف وذلة لدى الشعوب الإسلامية، ولكن إذا بذلوا الجهد، وتوكلوا على الله ﷻ، وقللوا من تعلقهم بمتاع الدنيا الحقير هذا، وإذا آمنوا حقاً بأن ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١)، فلن يتمكن أي عامل أو أي قوة وقدره من التغلب على الإنسان المؤمن العامل. هذا مستحيل^(٢).

سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ .. إذا نزلتم إلى الساحة ستنتصرون على عدوكم
«لاحظوا أنه حينما تحرّرت "خرم شهر"، وكان ذلك انتصاراً كبيراً - لمن يتذكّر جيداً عام ١٣٦١ هـ / ش [١٩٨٢م] - وعملاً جبّاراً جداً، وكان إنجازاً على جانب كبير من الأهمية من الناحية السياسية، وكان عملاً معقّداً جداً ومهمّاً من الناحية العسكرية، كما كان إنجازاً مهمّاً ومؤثراً جداً من الناحية الاجتماعية والنظرة العامة، والتأثير في قلوب الجماهير؛ كان عملاً عظيماً على الأصعدة كافة. جاء الجميع من شتى الأماكن - كنتُ حينها رئيساً للجمهورية - حضر رؤساء جمهوريّة عدّة

(١) سورة "التقصص" المباركة، جزء من الآية: (٦٠).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أمين عام حزب الله الشهيد السيّد حسن نصر الله ﷻ، بمناسبة انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان واندحار العدو الإسرائيلي المحتلّ عن أراضيه، بتاريخ: ١٤/٤/١٣٧٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٧/٧/٢٠م.

بلدان - خمسة بلدان أو سبعة بلدان - إلى هنا، والتقوا بنا، وقالوا لنا صراحة: "إنّ وضعكم الآن يختلف عن السابق بعد هذا الفتح الكبير الذي حصل". كانت الأبعاد الداخليّة والخارجيّة لهذا الحدث عظيمة وواسعة إلى هذا الحدّ.

كان الإمام [الخميني] عليه السلام معلّماً حقيقياً. كان الإمام عليه السلام معلّم أخلاق. بمجرد أن حصل هذا الحدث العظيم، بهذه الضخامة والحجم، اتّضحَت تأثيراته على معنويّات الشعب في الشوارع منذ الساعات الأولى. شعر الإمام عليه السلام بالألم على الفور، ووصف الدواء دون تأخير: «الله ﷻ هو الذي حرّر خرّمشهر». هذا معناه أنّ قادة القوّات المسلّحة، الذين تحمّلوا تلك الجهود والآلام والصعاب والمرارات كلّها، وهذا العدد من شهدائنا الصالحين الكبار في فتح «بيت المقدس»؛ هذا، وقد تمّ إنجاز هذا العمل الكبير نتيجة كلّ ذلك الجهاد؛ هؤلاء القادة يجب أن لا يصابوا بالغرور، ويجب أن لا يصاب بالغرور السياسيّون الذين حلّوا على مسند السلطة نتيجة هذه الحادثة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١).

لسنا بشيء، أنا وأنتم؛ إنّها يد القدرة الإلهيّة. أنا وأنتم وسائل، حيث إنّهُ إذا أعملنا عقولنا وإرادتنا واختيارنا، وخضنا الساحة، فسوف

(١) سورة "الأَنْفَال" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٧).

نكون مساهمين في تحقق هذا الهدف، ويبقى لنا فخره وشرفه. ولكن حتى لو لم نكن نحن موجودين، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١). لن تبقى المهمات الإلهية بلا حَمَلَة، بل سوف تُحْمَل وتُتقدَّم إلى الأمام. إنها حركة طبيعية، وهي ناموس الطبيعة، وناموس التاريخ. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

ورد هذا المعنى بتعابير مختلفة في أماكن مختلفة من القرآن: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. إنها سُنَّةُ إلهية. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ...﴾^(٣). هذا مصداق من مصاديقها: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ أي إنكم إذا نزلتم إلى الساحة، فسوف تتصرون على عدوكم؛ وهذا يعني أن هذه سُنَّةُ إلهية. قد لا يكون هذا النصر في يوم واحد، أو سنة واحدة، لكنه نصر في نهاية المطاف. سيتحقق هذا النصر قطعاً وحزماً. لا معنى للهزيمة والخسارة في جبهة الحق، إلا إذا تخلف أهل الحق عن الحضور في الساحة، ولم ينهضوا بالأعمال الواجبة.

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزء من الآية: (٥٤).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٣).

(٣) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٣-٢٢).

إذا، الأمر يعود لله ﷻ، وهو من الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) ^(٢).

سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ .. إذا دخل أهل الدين الميدان، فالنصر لهم حتماً
«في الحقيقة، عندما يكون الدين حاضراً في أي ميدان، لا تستطيع أي قوة أن تصمد أمامه. أمّا عندما ترى أن أهل الدين قد هُزموا؛ فذلك لأنهم لم يأتوا بالدين إلى الميدان، لأنهم دخلوا الميدان "عراة" من المفاهيم الدينية والعمل الديني والإخلاص الديني، وبالطبع عندها سيُهزمون.

لكن، في أي مكان دخل فيه أهل الدين الميدان ومعهم الدين، فإن النصر سيكون لهم حتماً؛ هذه سُنَّةُ إلهية: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣) ^(٤).

(١) سورة 'الأنفال' المباركة، جزء من الآية: (١٧).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه أعضاء حكومة الجمهورية الإسلامية، في لقاء رمضاني، بتاريخ: ١٣٨٨/٦/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٩/٩/٧ م.

(٣) سورة 'الفتح' المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٤) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه المسؤولين والعاملين في بعثة الحج، بتاريخ: ١٣٧٩/١١/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠١/١/٢٩ م.

من السنن الإلهية .. وجود العراقيل والموانع والعقبات

«نعم، تعترض العراقيلُ طريقَ الإنسان. أساساً إنَّ وجود العراقيل هذا هو الذي يسبغ المعنى والحقيقة المعنوية على سعي الإنسان فيسمَّى جهاداً؛ وإلا لو لم يكن ثمة مانع لما كان للجهاد من معنى.

الجهاد معناه: الجدُّ والجهد المصحوب بالعناء وتحدي العقبات.

ما هي العقبات الداخلية؟ إنها تلك الأشياء الموجودة في داخلنا

نحن البشر ... هي الموانع الداخلية.

الموانع الداخلية هي: أشكال الضعف؛ حالات الضعف الفكري،

حالات الضعف العقلاني، والركون إلى الدعة، والنزوع إلى السهولة، والاستسهال ... ينبغي أن يكون تقييم وتخمين العمل ومشكلاته متطابقاً مع الواقع أو على الأقل قريباً من الواقع. الاستسهال أيضاً هو كالتساهل والتلكؤ؛ وهو أيضاً من عقبات الطريق. التهرب من التحدي هو أيضاً أحد أشكال ضعفنا الداخلي.

يصطلحون خطأً على التهرب من التحدي بـ "طلب العافية".

طلب العافية شيءٌ جيّد. العافية من أعظم النعم الإلهية: «يَا وَلِيَّ الْعَافِيَةِ! نَسَأُكَ الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

ليست العافية بمعنى عدم المصارعة؛ هي بمعنى التصرف بشكل صحيح واتخاذ الخطوات الصائبة، وتوجيه الضربة المناسبة،

والانسحاب في الوقت المناسب. العافية من البلاء كما لو قلنا العافية من المعصية. لذا طلب العافية ليس شيئاً سيئاً، لكنهم يصطلحون خطأً على التهرب من التحدي بـ "طلب العافية"؛ أي في الواقع نفس هذا الركون إلى الدعة وتقييح مواجهة المشكلات وعدم تحييدها، وعدم الاستعداد لمواجهتها. هذه حالات ضعفنا الداخلي.

ومن الأشكال الأخرى للضعف الداخلي: أنماط التربية الاجتماعية الموجودة والعادات التاريخية، التي كانت فينا نحن الشعب الإيراني في بداية الثورة. أنتم الشباب قد لا تكون لديكم صورة صحيحة عن أحوالنا النفسية وتربيتنا التاريخية حينما انتصرت الثورة. نرى اليوم أن لدى الجميع شعار «نحن قادرون». وفعلاً، إذا قالوا: هل تستطيعون يا سادة التفوق على أصحاب الصناعات المتقدمين في مجال أدق الصناعات في العالم وأكثرها حساسية؟ ستقولون: نعم، إذا عقدنا الهمم وبذلنا الجهود فسنقدر.

بالفعل، إن العالم الشاب المسلم في الجمهورية الإسلامية يعتبر نفسه قادراً على أي شيء. لم يكن هذا كذلك في بداية الثورة. أنماط التربية السابقة كانت على العكس من هذا تماماً. أي عمل كان يُطرح، كانوا يقولون: نحن يا سادة لا نستطيع! يا سيد! إصنع الشيء الفلاني، فكانوا يقولون: نحن لا نستطيع! فلنتصدّ للشعار الخاطئ الفلاني في

العالم، كانوا يقولون: يا سيّد! نحن قوانا لا تسمح، نحن لا نستطيع! إنّ شعار اليوم «نحن نستطيع» كان ذاك اليوم «نحن لا نستطيع». هذه هي تلك التربية الأخلاقيّة والتاريخيّة المتبقية من العهد الماضي ... هذه هي تلك العقبات الداخليّة، وهذه هي الأمور التي تخلق مانعاً أمام الوصول إلى هدفٍ وغاية سامية.

الغضب، والشهوات الجامحة غير المروّضة، والتعلّق بالعوادات والعقائد الخرافيّة الموروثة، وإساءة فهم أوامر الدين هي من أنماط الضعف الداخليّ ...

لاحظوا الآن هذه الموانع. كلّ هذه الموانع هي من السنن الإلهيّة. ليس وجودها من باب الصدفة. إنّها سنن إلهيّة؛ بمعنى أنّ السعي والحركة يواجهان العقبات، وإلّا لما كان للجهد معنى.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا...﴾^(١). في كلّ دعوات الأنبياء ﷺ كان هناك أعداء - عقبات - من الجنّ والإنس.

وفي آية أخرى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة «الأنعام» المباركة، جزء من الآية: (١١٢).

(٢) سورة «الأنعام» المباركة، الآية: (١٢٣).

في داخل المجتمعات، فإنَّ الطبقات التي وجودها مدعاة الفساد، كانت مدعاة المكر؛ هذه من ضمن السنن؛ بمعنى أنَّ الأنبياء ﷺ لم يقولوا إطلاقاً إنَّنا نخوض الساحة حينما يكون الطريق معبداً، لا، خاضوا ضمن هذه الأجواء والساحة المتأزّمة والصعبة للغاية، كالجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية.

لكن في المقابل، تقضي كذلك السُنَّةُ الإلهية بأنَّ الحركة النبوية والحركة الإلهية ومصادقها الثورة الإسلامية، إذا واصلت مسارها وتابعتها، فسوف تتغلّب على كلّ هذه العقبات. هذه أيضاً سُنَّةٌ إلهية.

جاء في سورة "الفتح" المباركة: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١). إذا صمدتم، وإذا استقمتم، وإذا لم تضيّعوا الهدف، ولم تتوقّفوا عن السعي، فلا شكَّ أنَّ الغلبة ستكون لكم في هذا المضمار^(٢).

هزيمة الأعداء من السنن الإلهية التي لا تتغير

«يمكن لـ "أميركا" أن تخلق مخاطر للدول الأخرى، يمكن أن

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه أساتذة وطلّاب جامعات محافظة "شيراز"،

ترتكب حماقات ... لكننا في مقابل هجوم الأعداء - سواء "أميركا" أو النظام الصهيوني - وفي سبيل الدفاع عن أنفسنا، سوف نهجم على الأعداء بالمستوى نفسه الذي يهجمون به علينا.

لقد بشرنا القرآن الكريم قائلًا: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^(١).

لم يرد في أي مكان في القرآن الكريم أنكم إذا ابتدأتم بالحرب وهجمتم، ستنتصرون حتمًا، قد تنتصرون وقد تهزمون - كما حدث في معارك صدر الإسلام، عندما شن المسلمون الحملات، أحيانًا هُزموا وأحيانًا انتصروا - لكنه وعد أنه إذا ابتدأ الأعداء بالهجوم، فإن هذا العدو حتمًا سينهزم.

لا ينبغي أن تقولوا إن هذا خاصٌّ بصدر الإسلام، لا، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، هذا قانون إلهي^(٢).

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه حشوداً غفيرةً من مجاوري وزائري الحرم الرضوي المبارك في مدينة "مشهد المقدسة"، بمناسبة حلول العام الشمسي الجديد، بتاريخ: ١٣٩١/١/١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/٣/٢٠ م.

الصمود والمقاومة شرطان لتحقيق النصر الإلهية

«اليوم أيضاً هناك من يقول: وهل يمكن الصمود أمام صفوف الأعداء المتراصة المدججة بالسلاح والمال والقوة ووسائل الإعلام والاقتصاد والسياسة وكل شيء؟ وهل يمكن العمل أمام كل هذا؟ اليوم أيضاً يُطلقون نفس الكلام.

هذه تجربة. نعم، وهذا ليس كلامنا، بل كلام القرآن الكريم: إذا خضتم غمار الساحة من أجل الله ﷻ وصمدتم وقاومتهم فإن النصر مُحْتَمٌ. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١). ليست هذه قضية تتعلق بحروب صدر الإسلام حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ...﴾، إنما هي سنة الله ﷻ.

نعم، حينما لا نكون نعلم ما هي قضيتنا ورسالتنا، أو لا نجيد طرحها، أو لا نصبر عليها، أو نتخاذل ونتقاعس وسط الطريق بالوساوس الشيطانية، أو وساوس النفس والكسل، فإنّ الجهاد لن يؤتي ثماره. هذا أمرٌ معلومٌ وواضحٌ. إنّما الكلام عن الحالة التي

يقول ﷺ عنها: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١). ولا يمكن التأكيد على شيء بأشد من هذا التأكيد.

إذا نصرنا الله ﷻ - نصره الله ﷻ بالفكر وباختزان الأفكار الأصيلة، وطرحها بصورة صحيحة في العالم، والصمود عليها، والتدبير لنشرها، وتقبل الأخطار من أجلها - ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾؛ أي إن الله ﷻ سيمن بالنصر حتماً وقطعاً. هذا هو معنى ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ﴾، أي إن الله ﷻ سينصر حتماً وقطعاً، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٢). وقد جرب الشعب الإيراني هذه الأمور على الصعيد العملي^(٣).

سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ .. الصمود والمقاومة طريق النصر

«الشعوب التي لديها فكر، وهوية، ودافع، والمعتمة والمتوكلّة على الله ﷻ، تصمد، والله ﷻ يعينها. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٤). هذه سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ؛ فإذا صمد

(١) سورة "الحج" المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

(٢) سورة "النساء" المباركة، جزء من الآية: (١٢٢).

(٣) من كلمة الإمام الخميني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من أهالي مدينة "قم المقدّسة"، بمناسبة ذكرى انتفاضة "١٩ دي"، بتاريخ: ١٣٩١/١٠/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٣/١/٨ م.

(٤) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

المسلمون وقاوموا، فسوف ينتصرون على كلِّ آلات القوى الطاغوتية والمستكبرة»^(١).

«لقد اخترنا هذا الشيء؛ التراجع مقابل العدوّ يشجّع العدوّ أكثر، والصمود مقابل العدوّ يفرض عليه التراجع. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

هذه سُنَّةُ اللَّهِ ﷺ؛ إذا صمدتم بوجه الظلم والاستبداد والتعسف ومنطق القوة والخبت وجرائم مجرمي العالم، فإنهم سيضطرون للتراجع يقيناً. هذا ما يذكره القرآن الكريم كسُنَّةٍ تاريخية وإلهية أكيدة، وهذه السُنَّةُ سوف تتحقّق، إن شاء الله ﷻ»^(٢).

«نحن بعيدون عن القرآن، والأُمَّة الإسلامية بعيدة عن القرآن. لو اقتربنا من القرآن، فسوف نتصر على العدو بلا شك، أيّاً كان هذا

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من مسؤولي الجمهورية الإسلامية، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة ميلاد نبي الرحمة محمد ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام وأسبوع الوحدة الإسلامية، بتاريخ: ١٣٩٧/٩/٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/١١/٢٥ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من مسؤولي الجمهورية الإسلامية، وسفراء البلدان الإسلامية، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٩٧/١/٢٥ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٤/١٤ م.

العدو، ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجَدَّلِ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. هذا وعدٌ إلهي، ووعدٌ قرآني؛ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾. هذه مفاهيم يجب أن نتعلمها من القرآن، وأن نعمل بها^(١).

انتصار الثورة الإسلامية استجابةً من الله ﷻ لصدق الشعب

«لا أريد سرد أحداث التاريخ، فلدينا قضايا المعاصرة، وعلينا أن نعرف اليوم ما هو واجبنا ليوم غدٍ. لقد انتصرت الثورة الإسلامية، وكان هذا الانتصار أمراً مستحيلاً وفق الحسابات الدارجة في العالم. إذ لم يكن أحدٌ يصدق أن بلداً كـ "إيران"، بما تحمله القوى الاستكبارية من حساسية تجاهه - حيث كان متنزهاً للصهاينة، ومحلاً لحضور المستشارين الأمريكيين، وموطناً يشعر فيه الأجانب بالهدوء والراحة، فقد قال الرئيس الأمريكي في خطاب له بـ "طهران" قبل عشرة أيام تقريباً من "١٩ دي"، بأن "إيران" جزيرة مستقرة؛ هكذا كانوا يحسبون هذا البلد - في مثل هذا المكان، وفي مثل هذا البلد، وفي ظلّ مثل هذه الحكومة القامعة الجائرة التي كانت تواجه الناس

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من قراء القرآن الكريم في المحفل

القرآني الذي يقيمه ﷺ سنوياً مع بداية شهر رمضان المبارك، بتاريخ: ١٣٩٧/٢/٢٧

ه/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٥/١٧ م.

بلا رادع، وتحت وطأة "أمريكا"، كان من المستحيل وفق الحسابات الطبيعية أن تنتصر ثورة قائمة على أساس الدين والمعتقدات الدينية وإيمان الناس، على يد الناس أنفسهم، وبقيادة مرجع تقليد وعالم مبرز؛ هذا ما كان يبدو أمراً متعذراً. ومن هنا لم يتوقع أي جهاز استخباراتي في تقديراته حدوث مثل هذا الأمر؛ لأنه لم يكن ينسجم مع الحسابات الطبيعية على الإطلاق.

في مثل بلد كهذا، تنتصر ثورة بهذه الطريقة من دون أن تشهد إخفاقاً وفشلاً، وتقوم بوضع أسس نظام، وإقامة جمهورية إسلامية، وهكذا تواصل الجمهورية الإسلامية مسيرتها، وتقوى وتتجذر وترسخ يوماً بعد يوم. لم تكن كل القواعد والحسابات المادية تقبل مثل هذا الشيء، ولم تكن تراه أمراً ممكناً، ولكنه تحقق بالفعل. وتحقق ذلك مؤشراً على أن هناك قوانين تحكم عالم الكون وعالم الوجود لا يعرفها الماديون؛ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، وفي مكان آخر: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

وسنة الله ﷻ هي القوانين الإلهية الحاكمة على عالم الوجود وعلى جميع أرجاء هذا الكون العظيم. هذه القوانين مثل القوانين الطبيعية،

(١) سورة "الأحزاب" المباركة، جزء من الآية: (٣٨).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٣).

كقانون الجذب، وقانون الكواكب والشمس والقمر، وجريانهما في الليل والنهار، فإنّ هذه بأسرها قوانين طبيعية.

وكذلك، ثمة قوانين تحكم المجتمعات البشرية لا يتأتّى للماديين إدراكها ورؤيتها بأبصارهم الكليّة، ولكنّها موجودة. فلو عمدنا إلى تمهيد السبيل لهذه القوانين بأيدينا، سيقوم الله ﷻ بإثباتها. فالنار - على سبيل المثال - حارقة، ولكن عليكم تهيئة الأرضيّة، وإضرام النار، ومن ثمّ وضع شيءٍ غير رطب عليها، فإنّها ستشتعل. إن هَيَّئُوا الأرضيّة سيعمل القانون الطبيعيّ عمله. ولذا يجب تمهيد الأرضيّة، وهذا ما نهض به الشعب الإيرانيّ.

وقد ورد هذا المعنى في كلمات الأعلام، وآيات القرآن الكريم، وروايات الأئمة عليهم السلام، وأحاديث رسول الله ﷺ. كما في **نهج البلاغة** عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْر»^(١). وهذا قانونٌ وقاعدة عامّة، وقد تحقّقت هذه القاعدة في الثورة الإسلاميّة أيضاً، حيث نزل الناس إلى الساحة صادقين وصمدوا.

لنستخلص هنا نتيجةً وهي: أنّ ثمة جبهة معادية واسعة تواجهنا، وهذه الجبهة العريضة تتمثّل في زعماء الكيان الصهيونيّ، وساسة

(١) راجع: **نهج البلاغة**، للشريف الرضي عليه السلام، الخطبة: ٥٦، ص: ٩١-٩٢.

الإدارة الأمريكية، وأيادي الاستكبار العالمي، والجماعات التكفيرية، و"داعش". فانظروا كم هذه الجبهة واسعة النطاق وتشكل من ائتلاف عظيم غير متآلف، وهؤلاء بأسرهم يعادون نظام الجمهورية الإسلامية، وبالتالي هناك جبهة موجودة، بإمكانها أن تنجز الكثير من الأعمال والهجمات الإعلامية؛ لأن كل وسائل الإعلام العالمية في قبضتها، ولذلك يُشيعون وينشرون ضد الجمهورية الإسلامية كل ما يحلو لهم. إضافةً إلى أن مقاليد الشؤون الاقتصادية بأيديهم، والقوى السياسية بأيديهم، والأنظمة الأمنية بأيديهم، والأجهزة الاستخباراتية بأيديهم، وهم يواجهون نظام الجمهورية الإسلامية. هناك جماعة إذا ما نظروا إلى هذه الجبهة ارتعدت فرائصهم، والسبب في هذا أنهم غافلون عن ذلك المفهوم الرئيسي الهام المتمثل في السنة الإلهية.

لقد واجهت الثورة حالات العداء نفسها هذه بل أشد منها، ولكنها انتصرت، واليوم أيضاً نواجه هذا العداء نفسه. واليوم أيضاً لو علمتم بلوازمه لحالفكم النصر لا محالة. اليوم أيضاً يصدق هذا القول: «فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْر»^(١).

فلو نزلنا - أنا وأنتم - إلى الساحة بصدق، وعملنا بلوازمها، وصمدنا، وتحلينا بالبصيرة، وقمنا بالعمل في وقته، وتكلمنا بالصواب،

وعملنا بشكل صحيح، وخضنا الميدان بصدق، سوف يصدق علينا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ»، حيث يكون النصر حليفنا، والكبت والقمع حليف الأعداء»^(١).

من السنن الإلهية .. تراجع جبهة الكفر أمام جبهة الإسلام المناضلة والمجاهدة

«لو جاهدنا وتحركنا وأخلصنا نياتنا، سوف ينصرنا الله تعالى، وإن تقاعسنا ولم نؤدِّ الواجب الذي في أعناقنا، لا ينبغي بطبيعة الحال أن نتوقع النصر الإلهي؛ فإن الله تعالى يساعد الذين يعملون ويجتهدون، وينصر الشعوب التي تتحرك وتبذل جهدها، فلنجاهد ولتتحرك؛ لنفوز بنصرة الله تعالى.

وكلي يقين بأن النصر للإسلام، وأن جبهة الكفر بكل ما تنطوي عليه من سعة وبهرجة وعريضة، سوف تُرغم في نهاية المطاف على التراجع أمام الأمة الإسلامية وأمام جبهة الإسلام المناضلة والمجاهدة. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من أهالي مدينة "قم المقدسة"، بمناسبة

ذكرى انتفاضة "١٩ دي"، بتاريخ: ١٣٩٤/١٠/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/١/٩ م.

نَصِيرًا﴾. وهذه هي سنة الله ﷻ التي لا يعترئها شك وريب. والشرط الوحيد فيها أن نتحرك ونبذل مجهودنا، ولو قمنا بذلك، فإن سنة الله ﷻ تقضي بأن العدو يجب أن يتراجع، وهو سيتراجع بالفعل^(١).

الهزيمة الحتمية للاستكبار مرهونة بالجهد والدفاع

«العدو يقوم بتحرك، وسوف نهزمه قطعاً في هذه المرحلة وفي كل المراحل اللاحقة بتوفيق من الله ﷻ». ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * سنة الله التي قد خلت من قبل ولكن تجد لسنة الله تبديلاً^(٢). إذا واجهكم العدو الكافر فسوف يضطر حتماً إلى التراجع، هذا طبعاً عندما تقاتلون وتكافحون، أما عندما تقعدون وتعطلون العمل فلا، أما عندما نتحرك ونعمل فإن العدو سوف ينهزم بالتأكيد. وهذا ما شاهدناه على طول الزمن والحمد لله ﷻ. وكما قلت فإن هذا مشهود حتى على الصعد المعنوية. ولأذكر الآن نموذجاً.

(١) من كلمة الإمام الخامني دام الله خلال لقائه جمعاً كبيراً من قراء القرآن الكريم وحفاظه، وذلك في محفل الأئمة بالقرآن الكريم الذي يعقده دام الله سنوياً بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، في حسينية الإمام الخميني في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٩٥/٢/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/٥/١٨ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، الآيتان: (٢٣-٢٢).

قرأت في الآونة الأخيرة كتاباً^(١) كان لافتاً جداً بالنسبة لي: فتاة وشاب - زوجة وزوجها - من مواليد عقد [التسعينيات من القرن العشرين للميلاد] من أجل أن لا يحصل إثمٌ ومعصيةٌ في حفل زفافهم يندران أن يصوما ثلاثة أيام. أعتقد أن هذا شيء يجب تسجيله في التاريخ أن فتاة وفتى شابين ومن أجل عدم حدوث معصية في حفلة عرسهما، توسلا إلى الله ﷻ أن يصوما ثلاثة أيام!

يتوجّه الشاب للدفاع عن حرم السيدة زينب عليها السلام، لكن البكاء العفويّ التلقائي للفتاة يزلزل قلبه، فيقول لهذه الفتاة - لزوجته - : إن بكاءك يزلزل فؤادي لكنه لا يزلزل إيماني! فتقول له الفتاة: إنني لن أمانع ذهابك، ولا أريد أن أكون من تلك النساء اللواتي يبقين منكسات الرؤوس يوم القيامة أمام فاطمة الزهراء عليها السلام!

لاحظوا! هذه ليست أحداث ما قبل مائة سنة ومائتي سنة، بل هي أحداث عامي [٢٠١٥ و ٢٠١٦ للميلاد] ومن أحداث سنواتنا هذه والأيام التي بين أيدينا. هذا هو الوضع اليوم. ثمة بين جيلنا الشاب مثل هذه العناصر والأفراد، فيهم مثل هذه الحقائق المتألفة. ينبغي تسجيل هذه الوقائع ومشاهدتها وفهمها. والأمر لا يتعلق بهذا النموذج

(١) كتاب: "يادت باشد"، وترجمته: "لا تنس". سيرة قصصية للشهيد المّدافع عن المراقدة المقدّسة "حميد سياهكالي مرادي".

الواحد فقط لتقولوا "يا سيّد! إنّ زهرة واحدة لا تنتج الربيع"، كلّاً، القضية ليست قضية زهرة واحدة، فالنماذج من هذا القبيل كثيرة. لقد كان هذان - الزوجة والزوج اللذان تحدّثت عنهما - طالبين جامعيّين، وذهب الشاب بعدها ونال الشهادة ليكون من الشهداء الأعزّاء في الدفاع عن حرم السيّدّة زينب عليها السلام. هكذا هو الوضع. إنّنا نتقدّم. إنّنا نتقدّم في المادّة والمعنى على حدّ سواء. إنّنا نهزم الاستكبار في المادّة وفي المعنى بتوفيق من الله تعالى، ونفرض عليه التراجع والخضوع، ونثبت أنّ الإسلام إذا كان له أتباع مستعدّون جاهزون للجهاد والدفاع، فإنّه سينتصر حتماً في كلّ مكان، وفي أيّة منطقة من العالم، وسيكون هذا نموذجاً وأسوةً لكلّ المسلمين^(١).



(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه رئيس وأعضاء مجلس خبراء القيادة، بتاريخ:



في رحاب الآية: (٢٦)

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ
حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ
بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١)

استحكام الجاهليّة في العالم قبل بعثة الرسول الأعظم ﷺ

«الجاهليّة في النصوص والثقافة الإسلاميّة هي الحقبة التي سبقت بزوغ نبوّة النبيّ الأكرم ﷺ. ولا يتصور أنّ الجاهليّة كانت مختصة بالجزيرة العربيّة وبالغرب في "مكّة" والحجاز وسائر البقاع، بل كانت عامّة وشاملة. فإنّ إيران في ذلك اليوم والإمبراطوريّة الرومانيّة آنذاك كانتا غارقتين في غياهب الجاهليّة. وقد ظهر الإسلام وجاءت البعثة لتواجه هذه الجاهليّة برمتها»^(١).

«والجبهة التي تواجه المبعث، هي جبهة الجاهليّة. لا ينبغي اعتبار الجاهليّة أمراً مرتبطاً بحقبة تاريخيّة محدّدة ومعيّنة ليتسنى لنا القول إنّ النبيّ ﷺ آنذاك قد تصدّى للجاهليّة ومضى ذلك اليوم، فإنّ الجاهليّة لا تختصّ فقط بذلك اليوم، بل هي مستمرة، كما إنّ البعثة مستمرة كذلك.

[يقول جلال الدين الروميّ ما تعريبه:]

هي سرايين جارية؛ هذا عذبٌ وذاك مالح أجاج

تجري في الخلائق حتّى يوم النفخ في الصّور^(٢)

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة،

بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٩٤/٢/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٥/٥/١٦ م.

(٢) **مثنوى معنوي**، لجلال الدين الروميّ المعروف بـ "مولانا"، الكتاب الأوّل، القسم: (٣٦)،

حكاية الملك اليهوديّ الآخر الذي سعى في هلاك دين عيسى عليه السلام. وأصل البيت بالفارسيّة:

رگ رگست این آب شیرین / وآب شور در خلائق می رود تا نفخ صور.

إنّ هاتين الجبهتين موجودتان في أوساط البشر. إنّ هذه الجاهليّة التي تقف في مواجهة بعثة الأنبياء ﷺ، لا تعني فقدان العلم. والجهل هذا لا يقابل العلم، بل قد يصبّ العلم في خدمة الجاهليّة، كما هي الحال في الزمان الحالي، حيث تقدّم العلم البشريّ في العالم المعاصر، ولكنه مسخّر لخدمة تلك الجاهليّة نفسها التي بُعث الأنبياء ﷺ من أجل القضاء عليها. هذه الجاهليّة تقف في مواجهة العقل الذي تمّت هدايته بواسطة الأنبياء ﷺ والله ﷻ»^(١).

«في الأساس، النبوة هي تلك المرحلة التي تستمدّ فيها البشريّة الطاقة من الإمداد الإلهيّ والهداية الإلهيّة، من أجل بلوغ الغاية من الخلق. إذا أخذنا في الحسبان البشريّة من أول تاريخها حتّى نهايته كقافلة تمضي نحو هدفٍ وتسير بالتدرّج شطر الكمال الإنسانيّ على مرّ التاريخ - الحال هو هذا أيضاً - ففي أثناء هذا الطريق الطويلة والبعيدة والممتدّة، تعرض مراحل لا تعد هذه القافلة قادرةً على التقدّم إلى الأمام، وإنّه ههنا حيث يُبعثُ الأنبياء العظام وأولو العزم ﷺ. لذا، في العصور جميعها التي بُعث فيها الأنبياء العظام ﷺ، إذا جعلنا وضع البشريّة في تلك العصور مدار مُدافّةٍ، فسنرى أنّ أسوأ

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٩٥/٢/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/٥/٥ م.

الأوضاع وأحلك الظروف كانت هي تلك الظروف.

طبعاً نحن ليس لدينا معلومات صحيحة عن أعصار الرسل الذين سبقوا رسول الإسلام ﷺ، ولا يوجد تاريخ مدوّن عن تلك الأزمنة. على سبيل المثال، ليس واضحاً في التاريخ خصائص ذلك العصر الذي بُعث فيه موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام، ونحن ندرك أوضاعهم من القرآن ومن الروايات ومن بعض زوايا التاريخ وحواشيه، ولكننا نعلم بوضوح وجلاء تقريباً أنه كيف كان وضع زمن بعثة الرسول ﷺ.

في الواقع، هذه هي تلك المحطّات أو تلك المراكز التي على حركة الإنسان التاريخيّة هذه أن تستنشق عندها نفساً جديداً، وأن يشمل البشريّة مددٌ جديدٌ وهدايةٌ جديدةٌ من عند الله ﷻ، وأن تثب وثبةً إلى الأمام. غاية الأمر أنّ نبوة الرسول الأكرم ﷺ تمتاز بالنسبة إلى النبوات السابقة بهذه الخاصيّة، وهي أنّه ههنا قد قدّمت للبشريّة مساعدةً بوسيلة رسالة النبي الخاتم ﷺ، إذ لم تعد البشريّة بحاجة مطلقاً إلى نبوّة جديدة بعدها.

وفي الحقيقة، إنّ هذا مكنونٌ في باطن تعاليم الإسلام وفي كيفيّة عرض الهداية الإلهيّة في الإسلام، أي إنّ التعاليم الإسلاميّة وطبيعة التربية الإسلاميّة ووضع البشريّة في عصر بعثة نبي الإسلام ﷺ هو إذ إنّ تاريخ البشريّة لن يعود بحاجة بعدها إلى نبوّة ورسالة جديدتين،

فالإنسان نفسه وصل إلى مستوى من النضج الفكري، فيمكنه أن ينهل من المعارف الإسلامية والأحكام الإسلامية ومن قيادة الإسلام ونبيه ﷺ، وأن يمضي بطريقه قُدماً إلى حيث يسع القدرة البشرية وطاقاتها. ها نحن نبحت الآن بإيجاز هذا الحدث العظيم، حدث بعثة الرسول ﷺ التي تتضمن هذه الخصائص أيضاً.

أولاً: كان العالم من أقصاه إلى أقصاه مشحوناً في العصر الذي بُعث فيه نبي الإسلام ﷺ بالرسالة بجهل هائل جداً، وكانت المعارف الإنسانية في وضعها الأقل والأحط والأضعف، فمن يُراجع تاريخ عصر بعثة النبي ﷺ سيدرك هذا جيداً. في عالم ذاك الزمان، ورغم كون الدول والحكومات كثيرة، ولكن كانت تحكم في ذلك القسم من العالم، الذي كان نور العلم والمعرفة قد أشرق عليه، قوتان عظيمتان، كانت إحدى تلك القوتين إيران والساسانيين، وكانت القوة الأخرى قوة الإمبراطورية الرومانية، التي كانت تحكم مساحة شاسعة من منطقة الشرق الأوسط وأوروبا. بطبيعة الحال، كان في العالم حضارات غير هاتين، فكان هنالك حضارة الهند وكانت حضارة الصين، وهاتان أيضاً لهما تاريخ ممتد، ولكن ما كان يُعدُّ على مستوى العالم وفي ساحته المحور والمركز الأساسيين للحضارة الإنسانية، كان في هاتين المنطقتين اللتين كانتا تسيطران على قسم هائل من العالم.

كان وضع هاتين الحكومتين وهذين النظامين في غاية السوء، وكان نور العلم مُنطفئاً في هاتين الدولتين، مع أنه كان قد جاء علماء في القرون السابقة - قبل بعثة النبي ﷺ - وكان قد جاء حكماء، ولكن ما كان قد بقي لتلك المجتمعات من آثار تعاليم هؤلاء العلماء والحكماء كان شيئاً قليلاً جداً ولا يُذكر، أي لم يكن للروحانيّة وجود في تلك المجتمعات، ولم يكن ثمة صفاء إنسانيّ، ولم تكن العدالة الاجتماعيّة موجودة، ولم يكن هنالك نور العلم والرغبة فيه، وهذه أمور إذا راجع الإنسان الآن تاريخ ذلك العصر - حتى مع أنه مرّت قرون طويلة على ذلك العصر - فسيذكرها بوضوح.

نحن الآن لا نتحدّث أبداً عن أوروبا. كانت أوروبا في تلك العصور منطقة هي بحقّ بقعة يقطنها الوحوش، أي إنّ سكّان أوروبا كانوا من بين أكثر أناس عصرهم وحشيّةً وجهاً، فلم يكن في تلك المناطق نور وعلم وروحانيّة أصلاً. أمّا الإمبراطورية الرومانيّة نفسها مع تلك العظمة، فقد كانت تعيش في ضلالة وانحراف شديدين، فكانت الفروقات الطبقيّة قائمة، وكان الفساد الأخلاقيّ سائداً بشدّة، وكان الظلم والجور قائماً، وكان هنالك السلطة الجامحة للأجهزة الحاكمة. رغم أنه كان يوجد في روما ذلك العصر نوع من الديموقراطيّة، ولكنّ هذه الديموقراطيّة لم تكن ولا بأيّ وجه بمعنى

حاكمة الناس وقدرتهم على تحديد مصيرهم. يمكن أن يفهم جيداً من القصص والتواريخ والآثار التي كانت لذلك العصر ما هو الوضع المضطرب الذي كان يعيش فيه أولئك الناس. كانت طبقات المجتمع الفقيرة والمستضعفة هي الغالبية، وهؤلاء أنفسهم كانوا يعيشون في فقر معنوي وأخلاقي أيضاً بالإضافة إلى الفقر المادي.

لعلكم سمعتم بقصة "سبارتاكوس" تلك التي هي ثورة العبيد على روما. رغم أن قصة "سبارتاكوس" قد اتخذت جانباً أسطورياً نوعاً ما، ولكن الإنسان حينما يقرأ حالة تلك القصة يعي جيداً أي وضع بائس كان يهيمن حينذاك على حياة أولئك الناس من الناحية المعنوية والأخلاقية والعلمية والفكرية والاجتماعية.

إنّ هذه الآيات من سورة "يس" المباركة التي تقول: ﴿وَأَضْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(١)، هي عن وقائع "إنطاكية"، التي كانت من مدن سلطة الإمبراطورية الرومانية، وتشير إلى نمط تفكير الناس في التعامل مع الأنبياء ﷺ. يُرسل الله ﷻ نبيين، وفي مواجهتهما للناس، يلقيان منهم

(١) سورة "يس" المباركة، الآيات: (١٣-١٤-١٥).

التكذيب والسخرية والإهانة وانعدام الاكتراث، ثم يرسل بعد ذلك شخصاً ثالثاً أيضاً، فيناقشون الناس، فيستهزئ الناس بهؤلاء الأنبياء ﷺ بمنتهى القسوة واللامبالاة والجحود، وفي النهاية أيضاً يقولون لهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾^(١)، نحن في الأساس نتشاءم بوجودكم، أنتم أيها الأنبياء، مدعاة شقاء وشؤم لمجتمعنا! أي في مجتمع إنطاكية يومذاك التي كانت ضمن سلطة الإمبراطورية الرومانية، لا يواجه هؤلاء الأنبياء الثلاثة بأي قبول واستجابة.

تحدّد تتمّة الآيات - إنّ من تلك المقاطع التصويريّة الجميلة للقرآن، لهي هذه الآيات من سورة "يس" المباركة - طبيعة مناقشة الأنبياء ﷺ للناس، وأن إلى أيّ مرحلة يتحدّثون بالدليل، وفي أيّ مرحلة ينزَعون إلى الحدة والعنف، وأنّه كيف يتعامل معهم الناس، وهذا دليل على جهل أولئك الناس.

هذا هو وضع الإمبراطورية الرومانية. وضع الرّق جدّ شاقّ وعنيف، وكان الفساد الجنسيّ شائعاً بصوره المخيفة والمدهشة، وهو أساساً لأمرٌ عجيب!

إنّ الصورة التي ترسّم في ذهن الإنسان عن الإمبراطورية الرومانية تجعله يرى مجتمعاً لا يتوافر فيه أيّ بصيص لنور الهداية

(١) سورة "يس" المباركة، جزء من الآية: (١٨).

وأبيّ أمل بالصلاح والصلاح. كانت هذه قسماً كبيراً من العالم، إذ إذا أردنا مقارنتها مع عالم اليوم الفاسد، فإنَّ الفرق في الواقع هو من الأرض إلى السماء، أي رغم أنَّ الفساد الأخلاقيّ موجودٌ في عالم اليوم، وهنالك الماديّة وهنالك الضلال، ففي نهاية المطاف هنالك نور العلم، وهنالك المنطق، وهنالك الاستدلال، وتوجد الحرّيّة هنا وهناك إلى حدٍّ ما، وثمّة أذن صاغية وهنالك قلوب صاحبة، ولكنّ السلطة سلطنة سيّئة. لذا يمكن العثور على أمل بالخير في مثل هذه المجتمعات.

لكن ذلك المجتمع الذي لا يكون فيه أيُّ من هذه الخيرات ولا وجود لعقل ولا لعلم ولا لرشد ولا لصلاح وتكون فيه المفاسد بأنواعها، ولا يوجد حتّى أذن صاغية للفهم - أي أن لا تتمكّن لا الطبقات العليا ولا الطبقات السُفلى من إدراك الحقيقة مطلقاً - فهذا بحقّ ذلك المجتمع الذي لا أمل فيه بصلاح، وهو مصداق هذا الشّعْر: «لا يَلُوحُ على جَبِينِ هَذِهِ الْمُصَارَعَةِ نُورُ الْفَلَاحِ»^(١). هذا عن روما.

(١) گلزار ادبی، "روضه الورود الأدبیّة"، للسید شرف الدین الحسینی، والبيت الكامل بالفارسیّة:

«این حریف تریاکی، پهلوان کاری نیست / در جبین این کشتی، نور رستگاری نیست»

وتعريبه: هذا المنافس المتعاطي للحشيش ما هو ببطلٍ لشيءٍ / لا يلوح على جبين هذه

المصارعة نور الفلاح.

كما أنّ وضع إيران في عصر سلطنة الساسانيين - التي كانت سلطنة واسعة جداً أيضاً - إن لم نقل أنّه كان أسوأ من وضع روما إذ ذاك، فلم يكن أفضل! فهناك أيضاً كان الوضع هو هذا نفسه، حكومة استبدادية مئة بالمئة، وفقر شامل والاختلاف الطبقي، وانعدام إمكانيّة تحصيل العلم بالنسبة إلى الناس العاديين.

لا بد أنّكم قد سمعتم بقصة الإسكافيّ التي ذكرها الفردوسيّ في **الشاهنامه** وقرأتموها. غدا إسكافيّ، صانع أحذية، مستعداً لتقديم مبالغ طائلة من المال مقابل أن يسمحوا لابنه بتحصيل العلم، وعارض كبار ذلك العصر هذا الأمر وقالوا: لا، فلو اكتسب ابنُ هذا العلم، فسيغدو عالماً، وسينضوي غداً ضمن كتاب الديوان وأمناء السرّ، وسيجلس إلى جانب أبنائنا الذين هم كتاب ديوانيّون وأمناء سرّ وعلماء، وإنّ هذا ليمثّل إهانة لهم! هذا هو الوضع الفكريّ لذلك المجتمع، وحقيقةً، مهما قلنا في رسم وجه الفساد والديكتاتورية والتمييز والاختلاف الطبقيّ لعصر الساسانيين، لن نوفيه حقّه! حتّى إنّ بعض الحكومات التي جاءت قبل عصر الساسانيين كانت أفضل منهم، فهؤلاء الأخمينيّون الذين باتوا معروفين في تاريخ إيران بأنهم بدويّون ووحوش وأمور من هذا القبيل، كان كثير من خصالهم وخصائصهم أفضل من الساسانيين. إنّ الساسانيين الذين حكموا

إيران أيضاً لمدة طويلة - حكموا لعددٍ من القرون - كانوا بحقّ تجسيدا للفوضى واضطراب أوضاع معيشة الناس. هذا أيضاً في ما يخصّ إيران. وطبعاً، ثمة كلام كثير جداً في هذه المجالات التي تصوّر جوانب المجتمع. لقد كان مثل هذا العالم.

إنّا نقول: "كانت الجاهليّة سائدةً في عصر الرسول ﷺ"، فإنّ هذه الجاهليّة لم تكن تقتصر على أرض العرب، ولم تكن تقتصر على الجزيرة العربيّة، فقد كان العالم بأسره غارقاً يومذاك في الجاهليّة، أي إن أردنا أن نتحرّى، فعلينا أن نقول: كان النور الناجم عن جهود الأنبياء العظام ﷺ منذ عصر شروع النبوة، أي عصر آدم ﷺ حتّى عصر عيسى ﷺ والأنبياء ﷺ بعده، قد بلغ نهايته تقريباً في ذلك الرّوح من الزمان الذي نتحدّث عنه، وكان الأنبياء ﷺ قاطبةً مع المشقّات التي كانوا قد قاسوها قد استطاعوا أن يبلغوا بالبشريّة في نهاية المطاف إلى هذا الحدّ.

في الواقع، لم يكن في مستطاع البشريّة أن تتقدّم خطوة أبعد من ذلك. إنّ ذلك المقدار من الأخلاق والروحانيّة والنورانيّة الذي كان موجوداً يومذاك في البشريّة على نحو ضعيف في زمن بعثة النبي ﷺ، كان آخر نور بين الناس لمصباح الهداية الإلهيّة، وفيما بعد غرقت البشريّة بالكامل في ظلمة محضة. افترضوا مثل هذا الوضع.

كما قلت، إنَّ قافلة الإنسان هذه التي انطلقت منذ مطلع التاريخ، كانت مسيرتها نحو الكمال ونحو التعالي، وهذا واحد من الأقوال الدقيقة والتأسيسية، وهو أنَّ الإنسان يسير بصورةٍ عامّةٍ نحو الكمال، وأنَّ الأنبياء ﷺ هم الذين يساعدون البشرية موطناً فموطناً ومرحلةً فمرحلة، ويحقنون الهداية فيها لتتمكّن من التقدّم أكثر بضع خطوات نحو الكمال. هناك، حيث لا يمتلك الإنسان التحمّل والقدرة على التقدّم أكثر نحو الكمال، يحين الدور لمجيء النبيّ التالي، وقد كان الإنسان في عصر النبيّ ﷺ قد صار عاجزاً حقيقةً ولم يعد هنالك أيّ خطوة نحو الكمال، وكان يهيمن على العالم ظلمةٌ مُطبقة.

إذا أردت الآن الحديث أيضاً عن الهند والصين وهذه الحضارات النائية، فثمّة موضوعات لتقال. الهند هي الأخرى كانت تتمتع بحضارة قديمة وأديان قديمة، ولكن، مع مرور الزمان وعلى طول القرون، كان دين البراهمة، الذي هو دين يبدو أنَّ لديه حتّى جذور إلهية ويتضمّن عرفاناً عميقاً كذلك، قد عانى من أسوأ الحالات، وأثناء الطريق أيضاً كانت قد ظهر بينهم عدد من النبوءات الجديدة من قبيل الجاينية والبوذية وما شابه، ولكن حتّى هذه كانت قد سارت نحو الأفول، وفي تلك الأماكن أيضاً كان وضع جهالتها وظلمتها وقتامتها وضلالاتها أكثر تخلفاً وخراباً وأسوأ من مراكز العالم الكبرى هذه.

تصوير أمير المؤمنين عليه السلام عصر بعثة النبي ﷺ

كانت هذه ظروف بعثة النبي ﷺ، وقد صورَ أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في عددٍ من المواضع - ربّما أكثر من عشرة - هذه الأوضاع، أوضاع المجتمع الإنساني في عصر بعثة النبي ﷺ.

طبعاً، كثيرٌ ممّن شرحوا نهج البلاغة، ظنّوا أنّ هذا متعلّق بجزيرة العرب، والحال أنّه لا، فلم يكن هنالك فرقٌ بين الجزيرة العربيّة والأماكن الأخرى من هذه الناحية.

الجزيرة العربيّة هي بدورها كانت فاسدةً وكانت مدمّرةً وكان فيها الانحطاط الأخلاقيّ وكان الجهل وفيراً، ولكنّها لم تكن أسوأ من الأماكن الأخرى. كان مستوى معيشة الناس أدنى، ولكن ليس لدينا أيّ دليل على أنّ ضلال الناس إذ ذاك في الجزيرة العربيّة كان أشدّ من ضلال الناس في روما مثلاً، لا، ربّما، من جوانب معيّنة، كان ما يزال هنالك بعض آثار الخير في حياة هؤلاء الناس لم تكن في حياة الآخرين.

يوجد في ذهني الآن إحدى عبارات أمير المؤمنين عليه السلام، وسأقرأ ما سأذكره كلّهُ، وفي ذهني الآن هذا المقطع منها، إذ يقول عليه السلام: «في

فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ... فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَوَطَّئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا^(١).

يصف أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة وفي الخطب الأخرى وضع معيشة الناس على نحو يُشعر الإنسان بالحيرة في ذاته، أن كيف كان في مقدور الناس أن يظلّوا على قيد الحياة في مثل هذه الظروف! سادت الفتنة حياة الناس بأسرها وتكدّرت العقول وسُدَّتْ سُبُلُ اليقين وجداوله في وجه الناس، وحياة الناس مؤلمة على صعيد العيش المادّي، وكان نومهم في حكم اليقظة - أي لم يكونوا يحظون حتّى بالسكينة والراحة الجسديّة - وكانت مآقلهم دامية: «كُحِّلَهُمْ دُمُوعٌ، وَنَوْمُهُمْ سُهُودٌ»^(٢)، على غرار حصانٍ وحشيٍّ يركل أحداً ما بأسفل حوافره، هذه الفتنة تعصف بالناس وتركلهم على هذا النحو.

يصوّر أمير المؤمنين عليه السلام مثل هذا الوضع في خطب متعدّدة، ولا ضير بأن تراجعوا نهج البلاغة وتنظروا في هذه الخطب التي هي بارزة كذلك ... وتنظروا أنّه كيف كان الوضع في عصر بعثة النبي صلى الله عليه وآله.

(١) راجع: نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمته الله، الخطبة الثانية، من خطبة له عليه السلام بعد

انصرافه من صفين وفيها حال الناس قبل البعثة، وصفة آل النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ صفة قوم

آخرين، ص: ٤٦-٤٧.

(٢) المصدر السابق، نفسه.

في مثل هذه الظروف، يسطع نور الإسلام في واحدة من أحلك بقاع العالم - أي في الجزيرة العربية - إلى جانب بيت الله ﷺ وفي "مَكَّة" ^(١).

خصائص أهالي الجزيرة العربية في زمن الجاهلية

«كان لأهالي الجزيرة العربية في زمن الجاهلية، قبل بعثة النبي ﷺ، خصائص، ذُكِرَ بعضها في نهج البلاغة، وبعضها في التاريخ: أناس ضالّون، تائهون، بلا هدف، جاهلون بشدة، مصابون بالفتن الكبيرة، الفتن الناجمة عن العصبية والجهالات الكبيرة ... وفي الوقت نفسه، مع هذه الصفات كلّها التي ذكرناها - فقدان العلم، فقدان المعرفة، الافتقار إلى أقلّ الأخلاق، الافتقار إلى الهدف - هم متكبرون بشدة، عنيفون بشدة، لا يتقبّلون الحقّ، لجوجون. كانت هذه خصائص أهالي الجزيرة العربية. وكان في أهالي "مَكَّة" وسائر المناطق في ذلك الحين، من شيوخهم وأصغرهم ورؤسائهم ومروسيهم، هذه الخصائص» ^(٢).

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من قادة وكوادر حرس الثورة الإسلامية، بمناسبة ذكرى رحيل الرسول الأعظم ﷺ، بتاريخ: ١٣٦٧/٧/١٧ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٨٨/١٠/٩ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه المتلفزة والتي وجّهها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٤٠٠/١٢/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٣/١ م.

تلقي الجاهلية الضربات منذ اللحظات الأولى للبعثة

«لقد كانت بعثة النبي الأكرم ﷺ حركة عملية لإيصال البشرية إلى الكمال الفردي والروحي والمعنوي من جهة، ورقي الحياة الاجتماعية وإصلاح المجتمعات من جهة أخرى، فما وهبه الباري ﷻ في بعثة النبي ﷺ للناس لم تكن بعض المفاهيم الجامدة، أو طريق لا عابر ولا يمسك أحدٌ بزمام أمور الناس فيه، بل تحققت البعثة في وجود النبي العظيم ﷺ، ثم في أرواح ونفوس وأعمال المؤمنين بهذه الرسالة منذ الوهلة الأولى، كما تلقت الجاهلية الضربات منذ اللحظة الأولى»^(١).

«انظروا إلى بركات وعطاءات هذه السنوات القلائل، وهي السنوات المباركة الثلاث والعشرون التي قضاها النبي الأكرم ﷺ في عهد بعثته، كم كانت هذه البركات كثيرة! إذ استطاع أن يشيد خلالها وفي قلب الجاهلية وذروة عصور الجهل في العالم - لا في منطقة فحسب، بل في قرون من جاهلية البشرية، وتراكم ظلمات الجهل - استطاع أن يشيد صرحاً شامخاً، ويبرق جذوره نوراً أضاء له التاريخ سواء السبيل»^(٢).

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٧٥/٩/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٦/١٢/٩ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٧٤/٩/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٥/١٢/٢٠ م.

«جاء الاسلام، وأشرق شمس المعرفة الاسلاميّة على القلوب، والعقول، ورغم وجود الجهل والجاهليّة في العالم، والأوضاع غير المساعدة، تقدّمت قافلة التطوّر والرقّيّ الانسانيّة الاسلاميّة بسرعة كبيرة. لم يمض على البعثة أكثر من نصف قرن، حتّى بات أكثر من نصف المعمورة تحت حاكميّة الاسلام. ليس هذا بالأمر القليل. أينما كان يحلّ الاسلام، كانت جماهير الناس تستقبله بالترحاب، والقوى الضعيفة الممانعة والمعارضة كانت تُنحى جانبا بسهولة»^(١).

«لقد كانت الأشرافيّة والعصبيّات الخرافيّة والأبّهة القبليّة وحالة الانفصال بين مختلف الطبقات أبرز الأمراض التي كانت تعاني منها المجتمعات الجاهليّة العربيّة يوم ذاك؛ والنبي ﷺ بإشاعته للأخوة سحق هذه النعرات تحت قدميه، فلقد آخى بين رئيس القبيلة وبين من هو بمستوى دانيّ أو متوسط، وهؤلاء بدورهم ارتضوا هذه الأخوة طائعين، ووضع السادة والأشراف إلى جانب العبيد من المسلمين والمُعتقّين، وبذلك فقد قضى على العوائق في طريق الوحدة الاجتماعيّة. فعندما أراد ﷺ اتّخاذ مؤذّن لمسجده، كان ذوو الحناجر الجمهوريّة والهندام الجميل والمشاهير من الشخصيّات من الكثرة

(١) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه العاملين في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٧٨/٨/١٥ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٩/١١/٦ م.

بمكان، لكنه اختار من دونهم بلال الحبشي الذي كان يفتقد الجمال والصوت الحسن والشرف العائلي والنسبي، فالمناطق كان الإسلام والإيمان والجهاد والتضحية في سبيل الله ﷺ لا غير. لاحظوا كيف أَنَّهُ ﷺ حدّد القيم على صعيد العمل؛ فقبل أن يترك كلامه بصماته على القلوب، كانت أعماله وسيرته وهديه هي التي تؤثر^(١).

«الرسول ﷺ كان رسول العلم في ذلك المجتمع الخالي من العلم، وكان رسول العدل في ذلك المجتمع الذي لم تكن تفوح فيه للعدالة رائحة، ويهيمن فيه الأقوياء والجبابرة والزعماء المتعجرفون على أرواح الناس وأموالهم. كان رسول الأخلاق والتسامح والصفح والإنصاف والمحبة في مجتمع عانى شحاً وقحطاً حقيقياً في هذه الأمور. كان مجتمعاً عنيفاً، متجبراً، خاضعاً لمنطق القوة، بعيداً عن الأخلاق والمعنوية والعلم، منشداً للأهواء النفسية والعصبيات الجاهلية وأنواع التكبر الفارغ غير المبرر. في مثل هذا المناخ المتحجر الصعب، وفي مثل هذه البيئة الصخرية الخالية من أية مياه أو زروع، نمت هذه الغرسة طوال ثلاث عشرة سنة في تلك الظروف العصبية وانتهت تلك السنوات الثلاثة عشرة إلى تأسيس حكومة وتشكيل

(١) من كلام للإمام الخامنّي دام ظلّه خلال خطبة صلاة الجمعة التي أُقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٨٠/٢/٢٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠١/٥/١٨ م.

مجتمع يقوم على أساس العلم والعدل والتوحيد والمعنوية والأخلاق والكرامة. أبدل بالذلة عزّة، وحول الوحشية إلى أخوة، والعصبية إلى تسامح وتعقل، والجهل إلى علم، وأوجد قاعدةً متينةً ولَبَنَةً محكمةً استطاع المسلمون على أساسها ولقرون طويلة الارتقاء إلى قمة التحضر في العالم والانتقال إلى مراتب ومستويات غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية^(١).

«الجاهلية التي كانت تضغط على حياة الناس ببرائتها يوم ظهر الإسلام كانت جاهلية شمولية، إذ كانت هناك فتن مرهقة للإنسان تعمّ المناطق المحيطة بالجزيرة العربية يومذاك، فكان هنالك عالم وحضارة - بما يتناسب وزمانهم - ونظام ونمط للحكم الوراثي بما فيه من تقاليد، وانضباط تفرزه السلطة المطلقة في تلكم الدول، بيد أن ما كان مفقوداً هو نور الإنسانية والفضيلة، ما كان مفقوداً بالضبط هو ما كانت تحتاجه البشرية حاجة ملحة؛ أي أجواء الفضيلة الإنسانية، أجواء الرحمة والمروءة، أجواء العدالة.

ما كانت تفتقر إليه البشرية يومذاك هو العدالة؛ أن لا يُسحق الضعيف تحت سطوة القوي، أن لا تتمركز الخيرات على وجه

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية،

بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٨٧/٥/٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٨/٧/٣ م.

الأرض بأيدي حفنةٍ من البشر الأقوياء فيما يحرم سائر الناس منها، وهذا ما كان سائداً في ظلّ الحكومة الساسانيّة وكذلك الإمبراطوريّة الرومانيّة، غاية الأمر أنّ لكلّ منهما طبيعته. وفي الحجاز اتخذ الوضع شكلاً آخر حيث الحياة البدويّة يومها.

لقد ظهرت البعثة الإسلاميّة وبزغت مواجهةً لكلّ ذلك، ولم تكن مختصّة بأولئك القوم، بل هي لكلّ البشر؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقد استطاع النبي ﷺ الوقوف بوجه ذلك الواقع المرير وتغييره، وأفلح في إحداث ثغرات عميقة في جدران الظلم والعنجهيّة البشريّة، فدمّر بعضها ومهد لإنهيار البعض الآخر؛ فكان النبي ﷺ قد واجه أشدّ المواقف وأصعبها^(٢).

مواجهة الجاهليّة .. من أهمّ شعارات الرسول ﷺ وتوجيهاته

«من أهمّ شعارات الرسول الأكرم ﷺ وتوجيهاته في البعثة، مواجهة الجاهليّة. لقد قُبِّحَت الجاهليّة في القرآن مراراً. إنّ تعبير الجاهليّة - وسأشرح الآن ما المقصود به - قد قُبِّح في القرآن مراراً.

(١) سورة "ص" المباركة، الآية: (٨٧).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣/٧/١٣٨١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٢/١٠/٥ م.

في سورة "المائدة" المباركة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾^(١)، وفي سورة "الأحزاب" المباركة: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبَرِّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢)، وفي سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٣)، ولقد قُبِحَت الجاهلية في بعض المواضع الأخرى من القرآن أيضاً، لكن لدي الآن هذه الآيات الثلاث في ذهني، ودوتها هنا.

المعنى الواسع للجاهلية

ما هذه الجاهلية؟ المراد منها ليس مجرد الأمية والجهل. طبعاً الأمية ضمنها، لكن هذه الجاهلية لها معنى أوسع. فالخُلُقِيَّات الدنيئة ضمن هذه الجاهلية، ولقد أشرتُ إلى بعضها سابقاً. تصرفات الناس الوحشية: قتلهم البشر، سرقتهم، اعتداؤهم، استباحتهم الحق، استقواؤهم على الضعيف ... كلها كانت رائجةً بين أهالي الجزيرة العربية، وهذه كلها ضمن تلك الجاهلية نفسها. أيضاً الابتذال الجنسي، والهرج والمرج الجنسي، والابتذال الأخلاقي، وانعدام الحياء بين الناس. هذه الأمور كانت موجودة، وضمن تلك الجاهلية. لقد واجهت

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزء من الآية: (٥٠).

(٢) سورة "الأحزاب" المباركة، جزء من الآية: (٣٣).

(٣) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٦).

البعثة هذه الأمور كلها، أي جاهليّة ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١) التي كانت تخاطب أزواج النبي ﷺ في سورة "الأحزاب" المباركة هي شيءٌ من هذا القبيل. الجهل والأمية والجهالة، وأيضاً سوء الخلق والظلم والتمييز والاستقواء على الضعيف، وأيضاً الابتذال الجنسي والإباحية، والهرج والمرج الأخلاقي... كلها ضمن الجاهليّة^(٢).

«معنى الجاهليّة لا يتلخّص في فقدان العلم، بل يفوق معناها ذلك بكثير كما جاء في التعابير والأدبيات الإسلامية. وإنّ فقدان العلم يشكّل جزءاً من الجاهليّة. أمّا الجاهليّة بمعناها الواسع، فهي عبارة عن غلبة القوى الشهويّة والغضبيّة الإنسانيّة وحاكميّتها على بيئة الحياة. وهي تعني أنّ المجتمعات البشريّة التي غالباً ما تتأثّر بالنزعات الشهويّة والغضبيّة لحكّامها، تتبلور بطريقة تتضاءل فيها الفضائل، وتسود فيها الرذائل. هذه هي الجاهليّة.

ولقد ساد نطاق واسع من الضلال والانحراف في حياة شعوب الجاهليّة: فمن جانب جموح الشهوات النفسانيّة والجنسيّة وما إلى

(١) سورة "الأحزاب" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٣).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه المتلفزة والتي وجّهها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف،

بتاريخ: ١٤٠٠/١٢/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٣/١ م.

ذلك. ولكم أن تلاحظوا بيئة الجزيرة العربيّة، وعلى غرارها سائر البيئات أيضاً، حيث كانوا غارقين في بحر الشهوات الجامحة، وكان يلجأ إلى الفجور والمجون كلّ من استطاع إلى ذلك سبيلاً. ومن جانب آخر، فقد بلغ نفس هؤلاء المنقادين لشهواتهم، في مقام القسوة والتدمير وسفك الدماء، حدّاً لا يخطر على قلب بشر، حيث كانوا يقتلون أولادهم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١). وهذا السفه هو تلك الجاهليّة نفسها، إذ قد بلغت القسوة بهم أن لا يرحموا حتّى أولادهم فضلاً عن أولاد الآخرين وقتل الأبرياء من النساء والأطفال الأبرياء! هذه هي الجاهليّة: فالشهوة من جانب والغضب من جانب آخر. وقد وقعت بيئة الحياة أسيرة بيد هاتين القوتين الجامحتين دون رادع. فجاء الإسلام لتغيير ذلك^(٢).

«حسناً، إنّ النبي ﷺ حارب الجاهليّة. النقطة المهمّة الآن، هي أنّ كثيراً من تلك الرذائل الأخلاقيّة نفسها التي كانت سائدة في "مكة" في ذلك الوقت، وشائعة في شبه الجزيرة العربيّة، وقد واجهها النبي ﷺ، يوجد اليوم كثيرٌ منها، أي من تلك الرذائل الأخلاقيّة نفسها، وبصورة

(١) سورة "الأنعام" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٤٠).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٩٤/٢/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٥/٥/١٦ م.

منظمة، وبشدة أكبر، وعلى نطاق أوسع بكثير في ما يسمّى العالم الغربي المتحضّر. توجد تلك الرذائل الأخلاقية نفسها تماماً بمقياس أكبر اليوم، وبأقصى شدة.

فالحياة في الحضارة الغربية اليوم تقوم على أساس الطمع والحرص، وعلى أساس الجشع. أصلاً، أساس الحياة في الحضارة الغربية اليوم هو الحرص والطمع. واليوم، أساس القيم الغربية كلّها هو المال، فكلّ شيء يقاس بالمال؛ الأخلاقيات والروحانيات وكلّ شيء يقاس بالمال! هذه هي المعايير. السياسة الرائجة والسلطات الحاكمة كلّها في خدمة التمييز وتسمين الشركات و"الكارتلات". هذه هي الحال اليوم على هذا النحو.

العلم والتكنولوجيا يُستغلّان في خدمة قتل الناس. تارة يُستخدم العلم - على سبيل المثال - من أجل لقاح أو دواء ينقذ عدداً من الناس، لكن يستخدمون هذا العلم لصنع أسلحة دمار شامل، أسلحة كيميائية وأسلحة نووية، فتقضي على الناس بمئات المرات من ذلك العدد، وتفتك بهم. هذا حدث في العالم، ويحدث الآن أيضاً.

كذلك نهب الدول الضعيفة، الابتذال الأخلاقي، والهرج والمرج الأخلاقي موجودٌ بشدة. قضية المثلية الجنسية وما في حكمها - هي مخزية حقاً، ويخجل المرء من تكرارها وقولها! - والهرج والمرج

الجنسيّ الفظيخ! هذه الأمور موجودة في العالم اليوم. إنها تلك الأشياء نفسها التي كانت في ذلك اليوم، وهي عينها موجودة اليوم أيضاً. لكن في ذلك اليوم، كانت محدودةً، وهي اليوم على نحو واسع ومنظم. وخلف كثير من هذا الفساد والمفاسد، أنشئ منطقٌ مصطنعٌ، أي أنشئوا لها مرتكزات منطقية وفكرية، وينشئون لها أسساً فكرية، ويقدمونها إلى البشرية.

إذاً، هذه الجاهلية موجودة اليوم. ولذلك، إذا وصف أحدُ الحضارة الغربية اليوم بـ «الجاهلية الحديثة» - فعلاً وصفوها بذلك، وكثيرون قالوا: «الجاهلية الحديثة» - فإنه مُحَقِّقٌ فالجاهلية هي تلك الجاهلية نفسها حقاً، لكنها اليوم تظهر نفسها في العالم بشكل مُجَدِّد ومُحَدَّث.

إذاً، ماذا يجب أن نفعل؟ يجب أن نراجع دروس البعثة النبوية. والعمل نفسه الذي أدّاه النبي الأكرم ﷺ في مواجهة تلك الجاهلية، هو على عاتقنا اليوم. لا بدّ من أن نفعل تلك الأعمال في مواجهة هذه الجاهلية؛ هذا واجبنا.

منها في الدرجة الأولى تقوية الإيمان. أحد الأعمال المهمة لنا وللشعر الحريصين جميعاً حول العالم، تقوية الإيمان الديني، وتعزيز الجماعات المؤمنة والمقاومة في أنحاء العالم كافة. فليعمل الذين

لديهم دوافع دينية وإيمان وأهل المقاومة، وليبذلوا الجهد؛ ينبغي تعزيز هذه الأمور. كما ينبغي تعزيز قوة النظام الإسلامي ومتانته. الآن، بحمد الله ﷻ، شكّل نظامٌ في جمهوريّة إيران الإسلامية براية الإسلام وتحت رايته. فلنعمل على تقوية هذا واستحكامه، ولنجعل أسسه أكثر إحكاماً قدر الإمكان، ولنوسع ثماره وآثاره قدر الإمكان. وكذلك البرامج الحكيمة.

هذا الميدان ليس من تلك الميادين التي يخفض فيها الإنسان رأسه ويهاجم. فالتخطيط مطلوب، والدراسة مطلوبة، ولا بدّ من إعداد برامج حكيمة، ومواجهة هذه القضية بالحكمة. ينبغي أن يقوم هذا البرنامج على معرفة واسعة بخصائص هذه الجاهليّة. إذا كنّا لا نعرف سمات هذه الجاهليّة بصورة صحيحة، فلا يمكننا مواجهتها ولا محاربتها.

بالطبع، لا يمكننا ادّعاء أنّنا حقّقنا أهدافنا وغاياتنا في هذه الأعمال العظيمة. كلّاً، نحن في منتصف الطريق في هذه الخطوات الكبيرة كلّها. ليس هناك شكّ في ذلك. طبعاً، هناك أعمال قد أنجزت، وأحرزنا تقدماً - بحمد الله ﷻ - لكن في هذا كلّ، لا نزال في منتصف الطريق، وما زلنا بعيدين جداً عن الوصول إلى الهدف. مع ذلك، وعلى الرغم من أنّنا في منتصف الطريق، وأماننا مسافة كبيرة

إلى الهدف، فإنّ نموذج الثورة الإسلاميّة ونموذج الجمهوريّة الإسلاميّة نموذج جذّاب لشعوب العالم أو لمسلمي العالم على الأقلّ.

أميركا هي المثال الواضح والكامل على الجاهليّة الحديثة

... نحن نواجه مثل هذه الجاهليّة. بالطبع، هذه الجاهلية الحديثة ليست نفسها في كلّ مكان في العالم. في اعتقادي، أميركا هي المثال الواضح والكامل على الجاهليّة الحديثة. إنّ هذه الجاهلية هناك، أكثر شدةً وهولاً من أيّ مكان آخر في العالم. الأمر كذلك بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. أميركا نظام يروّج للأخلاقيّات السيئة داخله، والتميز يتزايد يوماً بعد يوم، كما تتّجه الثروة الوطنيّة بصورة متزايدة نحو الأغنياء والأثرياء. في دولة غنيّة مثل أميركا، يموت بعض الناس في الشوارع حين تزداد البرودة، وعند ارتفاع الحرّ يموت آخرون في الشوارع أيضاً. لماذا؟ ماذا يعني هذا؟ أميركا اليوم هي مظهر الجاهليّة الحديثة، ومظهرٌ للتمييز والظلم وصنع الأزمات في العالم. في الأساس، النظام الأميركيّ صانعٌ للأزمات، ويعيش عليها، ويرتق من الأزمات المختلفة حول العالم، وهناك وجود لمثل هذا الأمر^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه المتلفزة والتي وجّهها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف،

بتاريخ: ١٤٠٠/١٢/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٣/١ م.

«انظروا اليوم إلى العالم، القوى المهيمنة والمستكبرة فيه تُصنع الأسلحة مهددة البشرية لا من أجل بسط العدل، إنما تفعل ذلك للمزيد من الظلم، لا لأجل تقديم الأمن للبشرية، بل لتسلب الأمن من أولئك الذين لا يخضعون لها. فالقضية اليوم في عالمنا هي هذه. واليوم عندما نطلق على جاهلية العصر في العالم اسم الجاهلية الحديثة فإنما نفعل ذلك من أجل ما ذكرناه. فعصر الجاهلية لم ينته. الجاهلية هي الوقوف مقابل الحق، وضد التوحيد وضد حقوق الإنسان، وفي مقابل السبيل الذي فتحه الله ﷺ للبشرية؛ من أجل السعادة. فهذه الجاهلية موجودة اليوم بشكلها المعاصر، مستفيدة من العلم والتكنولوجيا المتطورة والأسلحة النووية وغيرها من الأسلحة المختلفة، لكي تملأ جيوب أصحاب الصناعات المخربة والمدمرة للحياة البشرية»^(١).

«إنهم يقتلون مئات الآلاف ويبيدونهم في مدينة أو مدينتين بقنبلة واحدة، وبعد مضي سنوات طويلة، يرفضون تقديم أيّ اعتذار، حيث طالبوهم بأن يعتذروا بسبب حادثة هيروشيما، ولكنهم رفضوا

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من مسؤولي النظام، وحشداً كبيراً من مختلف

طبقات الشعب، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٨٩/٤/١٩ هـ/ش، الموافق لـ

الاعتذار. ويدمرون البنى التحتية لبلد كأفغانستان والعراق وسائر بلدان المنطقة، إمّا بأيديهم مباشرةً أو بأيدي عملائهم، من دون أن يرفّ لهم جفن أو يستحوا من أفعالهم، بل ويواصلون الطريق، وهذا هو قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(١). هذا التيار وهذه الجبهة جبهة الجاهليّة.

الجاهليّة المعاصرة في الروح والمعنى، هي الجاهليّة نفسها التي كانت في عهد بعثة النبي ﷺ، ولكن بأدوات وشاكلة وتدابير جديدة»^(٢).

ترويج أجهزة الغرب السياسيّة والاستكباريّة للجاهليّة

«ما تقوم الأجهزة السياسيّة الاستكباريّة للغرب بترويجه هذه الأيام هو تلك الجاهليّة التي كانت بعثة النبي ﷺ من أجل القضاء عليها في بيئة حياة الإنسان. ونحن نشاهد اليوم، في هذا العالم، علائم تلك الجاهليّة في الحضارة الغربيّة الفاسدة: كلّ ما يتعلّق بما ينافي العدالة، وما يرتبط بالتمييز، وإغفال كرامة الإنسان، وتضخيم القضايا والحاجات الجنسيّة.

(١) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (٢٠٥).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٩٥/٢/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/٥/٥ م.

يخاطب القرآن الكريم زوجات النبي ﷺ المكرّمات قائلًا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١)، فمن علائم الجاهليّة الأولى هو تبرّج النساء. ونشاهد اليوم، أنّ من أهمّ معالم الحضارة الغربيّة هو هذا التبرّج، هذه هي الجاهليّة. غاية الأمر أنّها جاهليّة تمكّنت من إخفاء الحقائق عن أعين الناس بواسطة ما تزوّدت به من أسلحة الإعلام المتطوّرة. يجب علينا نحن المسلمين أن نفهم هذه الأمور ونتعرّف عليها^(٢).

«الجاهليّة لها وجودها في العالم المعاصر. وما علينا إلّا أن نفتح أعيننا لنعرف الجاهليّة. فهذا المعنى نفسه موجود اليوم؛ الانغماس دون حدود في الشهوات دون أيّ رادع وأيّ منطق.

المنطق السائد اليوم في العالم الغربي هو "الرغبة". فإن سألّتهم: لماذا تروّجون للمثليّة الجنسيّة والشذوذ الجنسيّ؟ لأجابوا: هذه ميول بشريّة. هذا هو منطقهم! هؤلاء هم الذين لا يراعون ويمضون قُدماً في الانغماس في الشهوات، ولا يقفون عند حدّ في ممارسة الشهوات الجنسيّة والنزوات البشريّة المختلفة. عندما يصل الأمر إلى قسوة

(١) سورة "الأحزاب" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٣).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٩٣/٣/٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٧/٥/٢٠١٤ م.

القلب تراهم يتصرّفون بنفس الطريقة، حيث يقتلون الناس، ويريقون دماء الأبرياء، ويقمعون الشعوب دون أيّ ذنب.

الفرق بين الجاهليّة العصريّة والجاهليّة الأولى

هذه هي الجاهليّة الموجودة اليوم؛ الجاهليّة العصريّة. والفرق بينها وبين الجاهليّة في الصدر الأوّل والجاهليّة الأولى على حدّ التعبير القرآنيّ، هو أنّ الجاهليّة المعاصرة مسلّحة ومزوّدة بسلاح العلم والمعرفة. فهذا العلم الذي يسوق الإنسان إلى الفلاح والنجاح، أصبح أداة لشقاء الإنسان وشقاء المجتمعات البشريّة. وإنّ الذين يفرضون منطق القوّة على العالم، إنّما يفعلون ذلك مستندين إلى منجزات علومهم؛ فسلّاحهم وأدواتهم الاستخباراتيّة والأمنيّة وأدواتهم الإعلاميّة الهائلة، إنّما هي منتجات العلم، وقد وظّفوها بتمامها في خدمة الشهوة والغضب.

جاهليّة اليوم تفوق الجاهليّة الأولى بآلاف المرّات

هذه هي الأوضاع السائدة في العالم المعاصر، والمجتمع الإسلاميّ يواجه واقعاً من هذا النوع، وعلى العالم الإسلاميّ أن يتلمّسه ويدركه. لقد أُعيد اليوم إنتاج الجاهليّة بقدره هائلة وخطر يفوق الجاهليّة الأولى في صدر الإسلام مئات بل آلاف المرّات ...

هذه هي الأمور التي تنطوي عليها سياسات الأعداء، ولا بدّ من مواجهتها. والوقوف في وجه مثل هذه السياسات إنّما هو وقوف في وجه الجاهليّة. فإنّ الجاهليّة الحديثة المعاصرة جاهليّة شرسة متحرّرة قاسية ومزوّدة بصنوف الإمكانيّات، ولا بدّ من مواجهتها مواجهة واعية^(١).

«يقول الله ﷻ في مواجهة عصبيّات الأعداء - تلك العصبيّات العجيبة - : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٢)، تلك الحميّة الجاهليّة التي يرى الإنسان اليوم نظائرها بوضوح في الالتزامات الثقافيّة للغرب، إذ إنّها لا تزال موجودة اليوم أيضاً؛ فهم أيضاً يعانون من الحميّة، حميّة الجاهليّة ولكن بلباس حديث ومظهر عصريّ منمّق، إلّا أنّها تبقى ذاتها تلك الحميّة الجاهليّة. يقول الله ﷻ: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٣)»^(٤).

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة،

بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٩٤/٢/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٥/٥/١٦ م.

(٢) سورة «الفتح» المباركة، جزء من الآية: (٢٦).

(٣) الآية السابقة، نفسها.

(٤) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة، بتاريخ: ١٣٧٩/٦/٩

هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٠/٨/٣٠ م.

العالم الإسلامي اليوم يروح تحت وطأة الأنظمة الجاهليّة

«يجب علينا الحؤول دون أن تفرض الجاهليّة نفسها على مجتمعاتنا وعلى حياتنا؛ وقد فعلت ذلك. فإنّ العالم الإسلاميّ اليوم يروح تحت وطأة الأنظمة الجاهليّة ويتجرّع العلقم. يعاني العالم الإسلاميّ في العصر الحاضر من الضعف والفقر والشقاق والحروب الداخليّة، وينفق ثرواته وقدراته وطاقاته الداخليّة العظيمة بخلاف مصالحه. وهذا ما فرضوه على العالم الإسلاميّ»^(١).

علّة معاداة نظام الجاهليّة الحديثة لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة

«الجمهوريّة الإسلاميّة نظامٌ وَقَفَ وقاوم، على مرّ هذه السنين الطويلة، بوجه نظام الجاهليّة الحديثة؛ لذلك تقوم الجاهليّة الحديثة بمعاداته بكلّ أدواتها ووسائلها؛ بالأسلحة العسكريّة، والأسلحة الثقافيّة، والوسائل الحديثة والجديدة، بالحظر الاقتصاديّ. لقد استخدمت هذه الجاهليّة الحديثة نفسُها - هذا الباطل المستقرّ، والذي يعمّ العالم كلّهُ للأسف - مختلفَ أنواع الأدوات والوسائل ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة. فلقد قام الجميع ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة، ولم يستطيعوا هزيمتها

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من المشاركين في مسابقات حفظ وتلاوة

القرآن، بتاريخ: ١٣٩٤/٣/٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٥/٥/٢٣ م.

وإجبارها على التراجع، ولم يستطيعوا ثنيها عن كل أقوالها، بحيث تقول مثلاً: "إنني تراجع عن كلامي هذا، وتراجعت عن إرادتي هذه". لم يستطيعوا. لماذا لم يستطيعوا؟ لأن الجمهورية الإسلامية قوية جداً. ما هو سبب قوتها؟ إنها قوة الإيمان والصمود. إن الشيء الذي أدى إلى أن تحافظ هذه الجمهورية الإسلامية والحمد لله على هيبتها وعظمتها في العالم - بل وتتجلى أكثر في العالم، يوماً بعد يوم، فلا تستطيع كل هذه المؤامرات أن تؤثر عليها - هو تضحيات الناس. السبب هو هذا الإيمان الراسخ الذي يتجلى مظهره الكامل الرفيع في الشهداء»^(١).

في نظر الإسلام .. لا قيمة للقيم الجاهلية

«في ما يتعلق بالقيم الجاهلية، صرح [النبي ﷺ] بكلام واضح أن هذه القيم في نظر الإسلام لا شيء ولا قيمة لها: «أَلَا إِنَّ كُلَّ مَالٍ وَمَأْثَرَةٍ وَدَمٍ يُدْعَى تَحْتَ قَدَمَي هَاتَيْنِ»^(٢)، فقد تبرأ ﷺ من القيم الجاهلية بالكامل. والخلافات المالية كلها التي كانت بين المسلمين من أيام الجاهلية، كأن يكون أحدهم أقرض آخر وله عليه ربا، صارت

(١) من كلمة الإمام الخميني دام ظلته خلال لقائه أعضاء لجنة إقامة المؤتمر الوطني لإحياء ذكرى

شهداء سيستان وبلوشستان، بتاريخ: ١٣٩٦/١١/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٢/٥ م.

(٢) راجع: بحار الأنوار، للعلامة المجلسي رحمه الله، ج ٢١، ص ١٠٥.

منسوخة: «أَلَا وَكُلُّ رِبًّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ مَوْضُوعٍ مِنْهُ رَبُّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(١) الذي كان قد أقرض في الجاهلية كثيرين وله عليهم ربا، فقد أعلن النبي ﷺ أنه رفعه ونسخه»^(٢).

«[وقد جاء في الرواية] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ سِتِّ خِصَالٍ: مِنَ الشَّكِّ وَالشَّرِّ وَالْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ وَالْبَغْيِ وَالْحَسَدِ»^(٣).

إنَّ التقوى تعني أن يعيش الإنسان حالة الانتباه، والمراقبة للنفس، بأن يجلس كل يوم ويحصي المنزقات التي تقف على طريق هدايته، ويلقن نفسه الحذر منها. كان النبي ﷺ يراقب نفسه إلى هذا الحد، مع ما له من مقام العصمة! فأنواع المراقبة هذه، هي من توجد تلك العصمة. هذه الخصال الست التي كان يعوذ النبي ﷺ بالله ﷻ منها هي: - أولاً: الشك: إنَّ الشكَّ لا ينشأ دائماً من الجهل، كأن يكون أحد أصول الدين غير واضح للإنسان، فيتتابه الشك، لا ليس بالضرورة، فأحياناً، تكون الأصول واضحة للإنسان ومع هذا يصيبه

(١) راجع: بحار الأنوار، للعلامة المجلسي رحمه الله، ج ٣٧، ص ١١٣.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي دام ظلّه خلال خطبة صلاة الجمعة التي أقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٦٦/٥/٢٣ هـ/ش، الموافق لـ ١٤/٨/١٩٨٧ م.

(٣) راجع: الخصال، للشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ٣٢٩.

الشك. إنّ الشكّ والترديد النفسانيّ، ينشأ في كثير من الأوقات من الوسواس، فالواردات الشيطانيّة على نفس الإنسان — والتي بدورها تنشأ من مشاكل الدنيا وبلائها — تُوجد الشكّ.

— ثانياً: الشرك: يعوذ النبي ﷺ كلّ يوم بالله ﷻ من الشرك. من الواضح أنّ المراد بالشرك هنا، ليس الشرك الجليّ، فمن المستبعد بالنسبة لنا أن نسجد مثلاً في قبال أحد الأصنام، وإنّما المقصود هنا، الشرك الخفيّ، بأن يُدخل الإنسان غير الله ﷻ في الأعمال التي يجب أن يؤدّيها خالصةً لله ﷻ. لذا على الإنسان أن يعوذ بالله ﷻ دائماً من هذا الشرك الذي قد يرد عليه من حيث لا يشعر.

— ثالثاً: الحميّة: الحميّة تعني التحيّز غير المنطقيّ، إلى أحد الأشخاص، أو الأحزاب، أو الأفكار، أو الطرق، أو المناهج، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١). كانت الحميّة من خصال المشركين زمن الرسول ﷺ، حيث كانوا ينبرون للدفاع عن أقاربهم، أو قبيلتهم، أو رفاقهم ومن ينسجم مع أفكارهم، مهما اقتربت يداهم من مظالم.

من الحميّة الجاهليّة أن ننبري من دون أيّ مسوّغ منطقيّ، للدفاع عن الأشخاص، فقط لأنهم زملاؤنا، أو من حزبنا وأمثالها من العناوين!

فالحميّة، والتحيز، والدفاع المحموم، وتقديم الحماية كلّها تستقي من جذر واحدٍ. هي الدفاع بحرارة عن شخص ما بلا مسوّغ منطقيّ.

– **رابعاً: الغضب:** إنّ الغضب يسلب الإنسان الاختيار؛ لأنّه يؤثّر على عقله. لذا حقيق على الإنسان أن يعوذ بالله ﷻ منه! فالإنسان عندما يغضب، تغلق أمامه سبل الفهم والبصيرة، فلا يعود يعي ما يفعل، تماماً مثل الإنسان الثمل.

– **خامساً: البغي:** ويعني أن نكنّ العداوة لشخص أو جماعةٍ بغير حقّ. كأن يضمر لهم العداوة نتيجة مشاعر نفسيّة لا معنى لها.

– **سادساً: الحسد:** علينا أن نعوذ بالله ﷻ من الحسد؛ لأنّه يجلب المعاناة لصاحبه وللآخرين.

يقول سعدي الشيرازي [ما تعريبه]: "ما أفعل بالحسود، ونفسه منه في تعب" ^(١). رغم أنّكم لم توجّهوا للحسود أيّ إساءة، مع هذا يشعر بالغيظ. يرى عليكم إحدى النعم أو الفضائل أو الامتيازات، فيكتوي من الداخل بنار حسده. رغم أنّكم لم تؤذوه، مع هذا يستاء منكم بلا سبب، إنّّه الحسد! وهو من الأمور الخطيرة جدّاً ^(٢).

(١) گلستان، "روضۃ الورود"، لسعدي الشيرازي، الباب الأول.

(٢) من كلام للإمام الخامنّي دام ظلّه خلال شرحه لحديث أخلاقيّ في مستهلّ درس بحث الخارج،

بتاريخ: ۱۳۸۳/۳/۱۰ هـ/ش، الموافق لـ ۲۰۰۴/۵/۳۰ م.

التحذير من كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

«ومن المواضيع الأخرى التي تكرر ذكرها في نهج البلاغة، التكبر، والذي هو المحور الأساسي للخطبة "القاصعة". وبالطبع لم يرد فقط في هذه الخطبة، بل تكرر في مواضع كثيرة.

قضية التكبر التي تعني اعتبار النفس أفضل من الآخرين، هي تلك الآفة التي أدت إلى تحريف الإسلام والنظام السياسي الإسلامي، وأبدلت الخلافة إلى سلطنة، وقضت تقريباً على جميع إنجازات النبي ﷺ في برهة قصيرة من الزمان. ولهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يولي هذا الموضوع اهتماماً كبيراً كما نرى في نهج البلاغة.

ففي هذه الخطبة "القاصعة" التي تعرفونها، ما أجمل وأروع ما يبينه الإمام عليه السلام حول هذا الأمر محذراً منه بشدة. أنقل لكم الآن جزءاً منه: «فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَأَ الشَّنَانِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةَ حَتَّى أَغْنَوْا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ سُلْسَاءً فِي قِيَادِهِ ... أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ»^(١).

(١) راجع: نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، من خطبة له عليه السلام تسمى "القاصعة"، ص:

هذا هو تحذير أمير المؤمنين عليه السلام. إنه يحذّر أفراد المجتمع بشدّة من شيئين:
الأوّل: التكبر والاستعلاء.

والثاني: قبول هذا التوجّه الخاطئ من الآخرين.
فلا ينبغي أن تعتبروا أنفسكم أفضل من الآخرين، ولا ينبغي أن تتقبّلوا مثل هذا التصوّر الخاطئ من غيركم. فأمر المؤمنين عليهم السلام يؤكّد على عدم قبول التكبر من الآخرين، وهو عليه السلام لا يتكبر ولا يقبل ذلك من أحد. فهذان ضامنان لتطبيق الأخلاق الإسلامية بين الناس وبين مسؤولي المجتمع الإسلامي. وهذا يحكي عن وجود هذا المرض أو هذين المرضين. وإذا أردتم المزيد من التأكّد اذهبوا وطالعوا التاريخ. وأولئك الذين لهم اطلاع على ذلك العصر يعلمون أنّ أسوأ الأمراض في ذلك الوقت أمران:

الأوّل: أنّ مجموعة من الناس كانت تعتبر نفسها أفضل من الآخرين، قريش من غير قريش، وأتباع هذه القبيلة من أتباع هذه القبيلة. وللأسف، فإنّنا نلاحظ أنّ هذا المرض قد انتشر بسرعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «فَإِنَّهُ مَلَأَ قُحُ الشَّئَانِ»، أي أنّه محلّ بروز وتولّد الاختلاف والنزاع. وعندما تتأملون في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ستلاحظون هذه النقاط التي ذكرت.

[الثاني]: كان مرض قبول المتكبر، حيث تقبل تلك الجماعة المستحقرة هذا الواقع. والآن اذهبوا وطالعوا في تاريخ ذلك العصر، فستلاحظون علائم قبول الظلم والتكبر والعنصرية في حياة الناس بشكل يبعث على الأسى. وأولئك الذين كانوا يرفعون رؤوسهم ولا يقبلون بهذا الواقع، كانوا دائماً يتعرضون للمضايقة^(١).

التفاوت بين الأصولية والتجبر والتحرر والتحلل

«للأسف يخلط البعض بين الأصولية والتجبر، ويتوهم أنّ الأصولية تعني التجبر! والحال أنّ الأصولية لا تعني التجبر. معنى الأصولية: هو قبول الأصول المنطقية المبرهن عليها، والالتزام بها، وتنسيق السلوك بمقتضاها. كالعلامات التي توجه الإنسان في الطريق. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾^(٢). هذه الاستقامة هي الأصولية.

ومعنى التجبر: هو الدفاع من منطلق التعصب واللا دليل عن كلّ ما يدخل ذهن الإنسان على شكل قناعة ومعتقد، من دون أن تكون له ركائز استدلالية وتوثيقية رصينة.

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه التي ألقاها في مؤتمر نهج البلاغة الخامس الدولي، بتاريخ:

١٣٦٤/١/١٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٨٥/٤/٨ م.

(٢) سورة "فصلت" المباركة، جزء من الآية: (٣٠).

[يقول ﷺ]: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾^(١): "حمية الجاهلية"، تطال البعض فيدافعون عن شيء معين من منطلق الجهل.

ينبغي عدم الخلط بين الأصولية وهذا الدفاع الجاهلي الناجم عن الحمية العصبية المتحجرة. ما إن يقال: "تحجّر" حتى ينصرف ذهن البعض إلى تحجّر التيارات الدينية، والحال أنّ التيارات التي تسمّى "مستيرة" و"حدائية" لا تقلّ تحجراً عن المتحجرين الدينيين، بل قد تفوقهم بدرجات أحياناً.

لا أنسى أيام ما قبل الثورة والجلسات التي كانت تعقد مع الطلبة الجامعيين وبعض الناشطين السياسيين اليساريين، حيث لو قال أحدٌ شيئاً يمسّ أسس الماركسيّة أبسط المساس، لما كانت هناك حاجة للاستدلال والبرهنة في مقابله، إنّما يقولون: هذا كلامٌ باطلٌ خاطئٌ! وهو ما يقول عنه القرآن الكريم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٢)؛ لأنّهم سمعوا الشيءَ فهم يصرون عليه، ويعتبرون كلّ ما خلاّه باطلاً مهما كان منطقياً. التحجّر هناك أكثر.

(١) سورة الفتح المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

(٢) سورة الزخرف المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٢).

إذاً، الأصولية شيء والتحرر شيء آخر. كما أن التحرر الفكري غير اللاأبالية والتحلل. التحرر الفكري شيء والتحلل شيء آخر.

التحرر الفكري: هو أن تتركوا أنفسكم أحراراً في المسيرة نحو المساحات المعرفية المجهولة، فتقتحموها وتوظفوا طاقاتكم وتحركوا.

أما معنى التحلل: فهو أن لا تبالوا أبداً للطريق الذي تسلكونه في مسيرتكم نحو قمة الجبل. وستكون النتيجة أن تسلكوا طريقاً يأخذكم لموقف لا يكون لكم فيه طريق عودة ولا طريق تقدم للأمام، بل طريق سقوط فقط! الذين يمارسون رياضة تسلق الجبال يعرفون هذا جيداً وقد جربوه.

من أجل أن يصل الإنسان للقمة هناك طريق ينبغي معرفته. لا مانع أبداً من أن تكون لدينا خارطة دالة نقول في ضوئها إن هذه هي الطرق المؤدية إلى القمة، ثم نضع الخارطة في جيوبنا ونحافظ عليها. هذا ليس معناه أننا متحجرون، بل معناه أننا عقلاء نعلم أن السير من دون تفكير ومن دون هذه الخارطة الدالة سيتهي بنا إلى السقوط^(١).

(١) كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء اتحاد "أصحاب القلم"، بتاريخ: ١٣٨١/١١/٧

السكينة الإلهية نعمة كبرى

«يقول الله ﷻ في سورة "الفتح" من القرآن الكريم - حيث يعرف الفتح الذي حققه المسلمون كنعمة كبرى للنبي ﷺ والناس: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(١).

هكذا يعدّ نزول السكينة الإلهية على المجتمع الإسلامي نعمة كبرى، فالسكينة هي الهدوء والطمأنينة»^(٢).

«ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم حول مبايعة النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

إنّ هذه البيعة التي كانت نابعة عن صدق وإخلاص، استوجبت أن يُنزل الله ﷻ السكينة والطمأنينة على القلوب. وحينما تحلّ السكينة في القلوب، تذهب الهواجس وحالات القلق واليأس.

إنّ من أهمّ الأعمال التي يمارسها الأعداء في الظرف الراهن، هي

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٦).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أهالي منطقة "شبروان" في محافظة "خراسان الشمالية"، بتاريخ: ١٣٩١/٧/٢٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/١٠/١٥ م.

(٣) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (١٨).

بثّ اليأس وحقنه في النفوس. ففي شتّى المجالات يبثون اليأس في قلب الشابّ والشيخ والثوريّ السابق. وهذه الطمأنينة والسكينة الإلهية تبعث الأمل في قلب الإنسان، وهي من ثمار البيعة للنبي ﷺ.

عندما تعاهدون الإمام ﷺ وتبايعون الثورة فقد بايعتم النبي ﷺ إنكم اليوم حين تقطعون العهد وتجددون البيعة للثورة، فقد بايعتم النبي ﷺ، وكلّ من يهبّ اليوم لمبايعة الإمام الخميني ﷺ، كمن بايع النبي ﷺ. وعندما تحافظون على نهج الإمام ﷺ الثوري، وتحولون دون اندراسه وبلائه، فإنكم تبايعون النبي ﷺ في حقيقة الأمر، ومن يبايع النبي ﷺ يكون مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، كما جاء في آية أخرى، وفي الآية المذكورة أعلاه: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وإذا ما نزلت عليكم السكينة، واطمأنت قلوبكم، فلن تُصابوا بالتيه والحيرة واليأس والتزلزل في ساحة مواجهة العدو... وبلاستناد إلى هذه السكينة والطمأنينة يستطيع الإنسان اليوم أن يقطع بأنّ الشعب الإيراني، سوف يتغلّب على أمريكا ودسائسها لا محالة.

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٦).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (١٨).

نسأل الله ﷻ أن يمنّ عليكم جميعاً بالتوفيق، وأن يثبت أقدامنا جميعاً في هذا الطريق، وأن يجعلنا من الجنود الذين يبذلون جهودهم في سبيل الحفاظ على هذه الثورة وبقائها والذين لا يدّخرون شيئاً في بذل النفس والنفيس في هذا الدرب»^(١).

السكينة وأثرها في النفس

«السكينة: معناها الطمأنينة والاستقرار بعيداً عن الاضطراب، ويتجسّد أثرها لدى المسؤولين في اتّخاذ القرار الصائب بكلّ هدوء وروية عند حدوث أيّة مشكلة، وعدم الوقوع في ارتباك واضطراب وضياح في حالة حصول أيّ أمر طارئ. «وَقُورٌ عِنْدَ الْهَزَاهِرِ»^(٢)، والوقوف أمام الأحداث الصعبة والعسيرة كالصخرة بل كالجبل، وإذا لاقى من الدنيا رخاءً ورغداً لا يلفّه الضياح. وهذا خطرٌ آخر يقع فيه الإنسان؛ وذلك أنّه بمجرد أن تنبسط يده، ويرى أمامه المجال مفتوحاً، واستشعرت نفسه الراحة والسعة، يلفّه الضياح، ويسارع إلى اتّخاذ قرارات عاجلة، ولا يتورّع عن الاستهانة بالآخرين، وتتسع نوازعه الأنانيّة، فيرخي لها الزمام، أمّا إذا اتّصف بالسكينة - بما تعنيه

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من أهالي مدينة "قم المقدّسة"، بمناسبة

ذكرى انتفاضة ١٩ ذي "، بتاريخ: ١٩/١٠/١٣٩٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/١/٩ م.

(٢) راجع: الكافي، للشيخ الكليني رحمه الله، ج ٢، ص ٢٣١، بابُ الْمُؤْمِنِ وَعَلَمَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، ح ٢.

من وقار وطمأنينة ربّانية - فهي كفيلةٌ بلجم تلك النوازع، ومنع الإنسان من الإتيان بأعمال تنمّ عن ضآلته وتفاهة قدره، أو تظهره وكأنّه ريشة في مهبّ الريح تميل حيثما مالت.

أما ذو السكينة: فهو - في هذا التشبيه - كبحرٍ بعيد الغور لا يمكن لأية نسائم أو أية رياح أن تثير أمواجه.

والسكينة: تنفع الإنسان عند الفقر وفي الغنى، وفي حالة الوحدة أو عند الكثرة.

تحدّث القرآن الكريم في مواضع متعدّدة عن السكينة ... وهنا يبرز عنصر آخر... له علاقة بـ "السكينة"، وذلك هو "التّقوى"...

أيّها الأعزّة! أيّها الإخوة والأخوات! متى يمكننا أن نوّدي دوراً فاعلاً؟ يمكننا ذلك في وقت: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(١)، أي عندما نتخذ التّقوى كلمةً ثابتةً، وكلمة حقّ، وتكليفاً دائماً.

يجب أن نضع التّقوى نصب أعيننا في القول والفعل، في عملنا مع زملائنا، وعند اتّخاذ القرارات، ومع العاملين تحت إمرتنا؛ لأنّ التزامنا التّقوى درس لهم، وسلوكهم درسٌ لأبناء الشعب.

... الجمهورية الإسلامية تريد للمواطن بالدرجة الأولى الخلاص والانعقاد - بما في ذلك الانعقاد المعنويّ، والانعقاد الاجتماعيّ،

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

والانعتاق الفردي، والانعتاق السياسي — وأن يتخلص من العبودية ومن الأغلال التي تعيق حركته وانطلاقه، وتضع في مقابل تلك الأغلال قوانين وقيوداً تُعينه على الحركة والانطلاق، وتساعد على الالتزام والتعبّد؛ فالصلاة هي الأخرى قيداً أيضاً، إلّا أنّها "معراج المؤمن"؛ أي أنّ هذا التقيد وهذا الالتزام يعرج بالإنسان ويسمو به وينقيّه من الدنس والآثام ...

وعلى كلّ حال، فإنّ ما نستخلصه من هذه الآية ومن آيات كثيرة أخرى هو: أنّ التقوى هي وسيلة، وهي أسلوب للعلاج أيضاً، وهي ليست مجرد تكليف وواجب. يعني أنّ الله ﷻ سيسألنا عن التقوى وحدها يوم الحساب، فلو أدركناها كان أمراً عظيماً؛ فنحن بصفتنا مسؤولين، غافلون عن الحساب الإلهي، وعن صعوبته، وعن فزع يوم الحساب، وكلّما كبرت مسؤوليتنا، يزداد معها هذا الخطر فداحةً.

يجب أن ندرك أنّ الباري ﷻ إذا لم يعاملنا بلطفه وفضله ورحمته فسنكون في موقف عسير؛ فلكلّ واحدة من تفاصيل نفقاتنا ومصاريفنا وتعاملنا وسلوكنا مع الناس حساب عند الله ﷻ.

وفضلاً عن وجوب التفكير في الحساب الإلهي، يجب أن ندرك أيضاً أنّ التقوى تفتح أمامنا السبل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجاً^(١)، ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢). فالتقوى تساعد على التخلص من جميع الطرق المسدودة أمام الإنسان وخاصة في المجال الاجتماعي. وفي المعضلات الكبرى تفتح التقوى أمام المسؤولين سبل الخلاص: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. إن حساباتنا وحساباتكم لا تأتي على الدوام دقيقة ومتقنة؛ إذاً فأساس القضية هو التقوى، ونحن أيضاً نوصي بالتقوى^(٣).

«قد يقع الاضطراب وسط شعب ما، ويفقد الطمأنينة، ويصبح الجميع سيئي الظن ببعضهم بعضاً، ويواجهون بعضهم بعضاً بالعداء والنزاع، وتصبح الأجهزة الحاكمة في مواجهة الناس، والناس في مقابل هذه الأجهزة الحاكمة، فمثل هذه الدولة الفاقدة للأمن لا يمكنها أن تتقدم على صعيد العلم والاقتصاد والصناعة والعزة الوطنية. لكن عندما يكون هناك استقرار وأمن وثبات في أية دولة، فإن شعبها سيجد الفرصة لإظهار استعداداته وطاقاته الكامنة. وهكذا ترون أنه بالرغم من تهديد الأعداء وحظرهم وحصارهم وخبثهم، استطاع

(١) سورة "الطلاق" المباركة، جزء من الآية: (٢).

(٢) سورة "الطلاق" المباركة، جزء من الآية: (٣).

(٣) كلمة الإمام الخامنئي عليه السلام في لقاء رمضاني مع كبار مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية

الإيرانية، بتاريخ: ١٣٧٨/١٠/٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٩/١٢/٢٥ م.

شعب إيران وشبابنا الأعزاء أن يبرزوا في الميادين المختلفة، وأن يظهروا للعالم عظمتهم وطاقاتهم واستعداداتهم في مختلف المجالات، كل هذا ببركة الثبات.

لقد سعى أعداؤنا مرّاتٍ ومرّاتٍ للقضاء على هذا الثبات السياسيّ بالأساليب المختلفة. ففي بداية الثورة، سعوا لئلا تصل الثورة الإسلاميّة إلى الاستقرار، ولئلا تخرج الدولة من مخاض الثورة، وذلك من خلال إيجاد النزاعات القوميّة في شرقيّ البلد وغربيّه وفي الشمال والجنوب، لكنّهم لم يفلحوا.

بعد ذلك سعوا للقضاء على أمن البلد من خلال هجوم جار مجنون - فقد كان صدام وحشيّاً ومجنوناً ومنفلتَ العقال وخطراً بكلّ ما للكلمة من معنى - أعانته جماعات من الداخل، تلك الجماعات التي التجأت إلى أحضانه فيما بعد^(١).

ولعلّكم شاهدتم كيف أنّ الأمور التي أرادوها انتهت خلافاً لرغبتهم بـ ١٨٠ درجة. فالحرب المفروضة وهجوم العدو لا أنّه لم

(١) المقصود جماعة بني صدر الرئيس السابق للجمهورية الإسلاميّة والذي عزله الشعب بعد خيانتة، وجماعة من أتباعه الذين تعاملوا مع أعداء إيران، فحدثت مجازر واغتيالات وإخفاقات في الحرب المفروضة نتيجة تواطئهم مع الغرب ونظام صدام. وكذلك منظّمة "منافقي خلق" وغيرهم الذين آذوا الثورة من الداخل. وبعد انكشافهم لجؤوا علناً إلى فرنسا والعراق.

يقض على ثبات واستقرار البلد فحسب، بل زاد من اتحاد الشعب ...
لقد أراد العدو أن يقضي على استقرار البلد وثباته، وأن يسلب
شعب إيران هذا الاستقرار، لكن الله ﷻ وفي مقابل كيد الأعداء هذا،
كان له تقديرٌ معاكس تماماً، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ﴾^(١)، وتقدم الشعب ببركة الدفاع المقدس من حيث كان،
وازدادت استعداداته. وهكذا لم تؤثر في شعب إيران مؤامرة الأعداء
المستكبرين والذئاب التي تقتات على الدماء^(٢).

عوامل تحقيق السكينة الإلهية في قلوب المؤمنين

«إنَّ المعيار الذي نتبعه في حركتنا نحو السمو المعنوي، والتقرب
إلى الله ﷻ هو التقوى والزَّهْة والورع. فشبابنا - سواء بناتنا أم أبناءنا -
لو كانوا منزَّهين وأتقياء وسعوا للابتعاد عن المعصية، وأدَّوا الصَّلَاةَ
بتوجَّهٍ واهتمام وفي وقتها، ولم يقطعوا أنسهم بالقرآن الكريم، فإنَّهم
لن يصبحوا أسرى العرفان الكاذب.

إنَّني أوصي شبابنا في الغالب بشأن القرآن الكريم. فاسعوا أن لا
تقطعوا رابطتكم بالقرآن الكريم، اقرأوا كلَّ يوم ولو نصف صفحة،

(١) سورة آل عمران "المباركة، الآية: (٥٤).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه أهالي منطقة "شيران" في محافظة "خراسان
الشمالية"، بتاريخ: ١٣٩١/٧/٢٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/١٠/١٥ م.

فكلّ ذلك مُقَرَّبٌ للإنسان، ويوجد الصفاء الروحيّ والفتوحات المعنويّة، وتلك الطمأنينة والصبر والسكينة التي يحتاجها الإنسان، حيث: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(١).

إنّ هذه النعمة التي يفتحها الله ﷻ على المؤمنين، إنّما تحصل بما ذكرنا، فيجب السعي بالدرجة الأولى لأجل الابتعاد عن المعاصي. وعندما نقول الابتعاد عن المعاصي، لا يعني أنّ علينا في البداية أن نترك جميع المعاصي بشكل تامّ حتّى نتمكّن من الانتقال إلى المرحلة الثانية، كلّاً، فإنّ هذه الأمور متلازمة فيما بينها. يجب أن نبذل الهمم والمسااعي حتّى لا تصدر عنّا المعاصي، والتقوى هي بهذا المعنى.

الالتزام بالتوجّه في الصلاة، وفي تلاوة القرآن الكريم وأمثالها، هي الأمور التي تمنحنا المعنويّات والروحانيّات وصفاء الروح. هي التي تمنحنا الطمأنينة والسكينة المطلوبة. ولا حاجة للذهاب إلى بيوت العرفان الكاذب والمادّيّ والمتوهّم والتخيّل الذي لا يوجد وراءه أيّة واقعيّة^(٢).

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

(٢) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه المعلّمين وأساتذة الجامعات في محافظة "خراسان الشماليّة"، بتاريخ: ١٣٩١/٧/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/١٠/١١ م.

زيادة السكينة والطمأنينة تزيد التقوى والإيمان بالله ﷻ

«اعلموا يا أعزائي! بأنّ العالم اليوم بحاجة إلى القرآن الكريم؛ سواء قبل واعترف بذلك أم لم يعترف. فالعالم اليوم يعيش فراغاً في هويّته، فراغاً فكرياً، فراغاً إيمانياً. الإنسان من دون الإيمان كالفأكة الخاوية الفارغة في داخلها.

ما تشاهدونه من ازدياد القتل والجريمة في البلدان الغربيّة يوماً بعد آخر، يعود أحد أسبابه إلى ذلك. ما ترونه من تصاعد حالات الانتحار، يعود أحد أسبابه إلى ذلك.

البشريّة لم يعد عندها بضاعة تعرضها لإقناع أذهان الناس وقلوبهم وأرواحهم. فإنّهم يقولون وينسجون الأقاويل، ولكن لا تنفذ أقوالهم إلى القلوب. على خلاف القرآن الكريم، إن انتشرت رشحة من رشحات القرآن - لا القرآن كلّ بل رشحة منه - بالبيان الذي يتناسب ولغة العصر، فستنجد القلوب إليه، وهذا ما نجربّه ونراه ونلمسه بأنفسنا. البشريّة اليوم محتاجة إلى القرآن الكريم.

يمكن للقرآن في العالم المعاصر أن يكون "فعّالاً لما يشاء!" يمكنه أن يحقّق الإنجازات، وأن يمضي قدماً إلى الأمام. ولا تستطيع القوى العالميّة، والقوى الكبرى، والقنبلة الذريّة، والكيان الصهيونيّ وأمثالهم ارتكاب أيّ حماقة. المهمّ أن نقوّي الأسس الإيمانيّة

والقرآنيّة في أنفسنا يوماً بعد يوم، وأن نتعلّم لغة نشر القرآن الكريم، وأن نعلن وننشر مفاهيم القرآن، كالدواء المقوّي الذي تضع قطرةً منه في كوب، ليتناوله المريض ويشفى به، ولكن إن وضعت فيه خمس قطرات، قد تلحق به الضرر، ولا يستطيع هضمه. فلا بدّ من البحث وإيجاد اللغة المناسبة، ولكن ينبغي لنا أولاً إشباع أنفسنا وقلوبنا وأرواحنا وملؤها بالمعارف القرآنيّة، فنحن أيضاً بأمرٍ الحاجة إليها.

إنّ بركات القرآن الكريم لا تقتصر على هذه الأمور التي ذكرتها بلساني القاصر، وإنّما هي بركات لا نهاية لها. ففي القرآن وبالقرآن توجد العزّة، والقوّة، والتقدّم، والرفاه المادّي، والتعالّي المعنوي، ونشر الفكر والعقيدة، والفرح وسكينة الروح، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(١). وحين تحلّ الطمأنينة والهدوء والسكينة الدينيّة، تزداد التقوى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(٢)، فإنّ السكينة تؤدّي إلى ازدياد الإيمان يوماً بعد آخر، ولكن الإيمان بماذا؟ إنّهُ الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بالقدرة الإلهيّة.

ثمّ يقول ﷺ بعد ذلك: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. كلّ

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤).

شيء بيد الله ﷻ، كل شيء جندٌ لله ﷻ. ويقول في مكان آخر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

هذا هو القرآن؛ قدرة فائقة لا متناهية، والواجب علينا أن نستفيد منها بمقدار طاقتنا ووسعنا إن شاء الله ﷻ^(٢).

القرآن والإسلام يمنحان العلم والرفاه والعزة والسكينة

«لقد أثبتت المدارس الفلسفية والعلمية المعاصرة في العالم عجزها عن إدراك شؤون البشرية، وأيقنوا أنّ المذاهب الاجتماعية في العالم عاجزة عن تدبير شؤون الإنسان، إنّهم لا يهتدون إلى سبيل؛ فتلك الماركسية ذقت طعم الهزيمة والفناء، وهكذا الأمر بالنسبة للمدارس الغربية.

والدليل على عجزهم: ما يتمتع به الغرب من علم وثروة وقوة عسكرية، غير أنّه لا وجود للسعادة والسكينة والاطمئنان والاستقرار المعنوي. إذاً تلك وصفة فاشلة عاجزة؛ أمّا القرآن والإسلام فهما

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزء من الآية: (٣١).

(٢) من كلمة الإمام الخميني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً كبيراً من قراء القرآن الكريم وحفّاظه، وذلك في محفل الأُنس بالقرآن الكريم الذي يعقده دام ظلّه سنوياً بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، في حسينيّة الإمام الخميني ﷺ في العاصمة الإيرانيّة "طهران"، بتاريخ: ١٣٩٥/٣/١٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/٦/٧ م.

يمنحان الإنسان العلمَ والرفاهَ والعزّة، والسكينة، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(١)، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(٢). فبالإضافة إلى ما فيه من لذة دنيوية ورفاه ماديّ وقدره علميّة، فهو يضيفي السكينة والإطمئنان والاستقرار، وهذا ما تمّت تجربته على مرّ التاريخ، وهو قابل للتجربة في عصرنا الراهن؛ ففي إيران الإسلام تقدّمتنا خطوة صغيرة فلمسنا آثارها وشاهدنا بركاتها، وهي تزداد كلّما تقدّمتنا إلى الإمام. هذا هو سبيل الفلاح اليوم للأمة الإسلاميّة، والقرآن هو المقدّمة وبمثابة الصراط المستقيم لها.

اللَّهُمَّ! مُنِّ عَلَيْنَا جَمِيعاً؛ مَنْ عَلَى الشَّعْبِ الْإِيرَانِيَّ وَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَمْعَاءَ بِالْأَنْسِ بِالْقُرْآنِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْقُرْآنِ. **اللَّهُمَّ!** اْمَلَأْ قُلُوبَنَا بِمَعَارِفِ الْقُرْآنِ مِثْلَمَا مِلْتُمُتْ مُحَبَّةً لِلْقُرْآنِ»^(٣).



(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٦).

(٣) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال مراسم اختتام المسابقات الدوليّة لقراءة وحفظ وتفسير القرآن الكريم، بتاريخ: ١٣٧٩/٨/٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٠/١٠/٣٠ م.

في رحاب الآية: (٢٧)

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ
مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١)



عداوة أحزاب الشرك والنفاق للإسلام والنبى ﷺ

«عندما انطلقت حركة الإسلام من "مكة"، وفعلت تلك الحماسة فعلها، وكذلك النشاط الإسلامي المترافق مع مظلومية المؤمنين واستقامتهم ... كان جهاد الرسول ﷺ وصحابته في "مكة" جهاداً صعباً جداً، كانوا يذكرون اسم الله ﷻ، وكانوا يدعون إلى التوحيد والتعقل، وفي المقابل كانوا يتعرضون للضرب، وكانوا يُقتلون ويُعذَّبون. كانت تُمارَس بحقهم شتى أشكال الضغط، وأخيراً كانت هناك قضية شعب أبي طالب التي كانت من أشدّ الضغوط على الرسول ﷺ والمسلمين ... كان هناك أيضاً خوف ورعب وأشكال من الحرمان المختلفة والطرْد من المنازل، وكان هناك أيضاً حرمان أبناء النبلاء من الميراث، وتلقّي العبيد والجواري الضرب على أيدي السادة»^(١).

«لاحظوا الإسلام الذي ظهر في "مكة" آية عداوة وخبائة قد واجهه، لقد اصطفّى كلّ الناس السيئين وأصحاب الصفات الحيوانية والشرسة في مقابل الإسلام والرسول الأكرم ﷺ، واستمرّ التآمر الدمويّ الخبيث ضدّ النبي ﷺ حتّى بعد هجرته إلى المدينة من قبل أولئك الأشرار الأقدار، وتحولّ الصراع إلى صراع دمويّ. وتوجد في القرآن سورة باسم "الأحزاب" تشرح تلك الحوادث، حيث وقفت الأحزاب بمختلف أجنحتها لتشكّل جبهةً واحدةً ضدّ الإسلام وقائده العظيم،

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء الحرس الثوريّ والتعبويّين من فرقة سيّد

الشهداء عليه السلام العاشر، بتاريخ: ١٣٧٧/٧/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٨/١٠/١٨ م.

وأتحد المشركون من قريش وثقيف واليهود والنصارى وأهل الكتاب البعيدون عن الكتاب والمنافقون للقضاء على رسالة الإسلام»^(١).

الإسلام.. من نهضة "مكة" إلى نظام المدينة السياسي

«إنَّ نهضة الإسلام بما تمثله من الفكر الإسلامي والأمانة التي تحمل عنوان الإسلام وقد أرسلها الله ﷺ إلى العالمين كانت في عهدها الأوّل نهضةً واحدةً وتحركاً واحداً جاءت في إطار حركة جهاديّة ونهضة ثوريّة عملاقة، وما إن أعلن رسول الله ﷺ عن هذا الفكر في "مكة" حتّى حشد أعداء الفكر التوحيديّ صفوفهم للوقوف بوجهه للحيلولة دون أن يشقّ هذا الفكر طريقه؛ فعمد النبي ﷺ إلى تنظيم هذه النهضة بتعبئة قواه من العناصر المؤمنة، صانعاً كفاحاً جهادياً في غاية الفطنة والقوّة والتقدّم داخل "مكة" استمرّ ثلاث عشرة سنة، فكانت تلك المرحلة الأولى. وبعد ثلاث عشرة سنة ومن خلال تعاليم النبي ﷺ والشعارات التي رفعها، والتنظيم الذي اعتمده والتضحيات التي بُذلت، وعبر ما تجمّع من عناصر على اختلافها، تحوّل الفكر هنا إلى حكومة ونظام؛ وتبدّل إلى نظام سياسيّ ونظام

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه شرائع شعبيّة مختلفة جاءت لمبايعته عليه السلام بعد انتخابه لقيادة الثورة والجمهوريّة الإسلاميّة المباركة بعد رحيل مؤسّسها ومفجّر ثورتها الإمام الخمينيّ العظيم عليه السلام، بتاريخ: ١٣٦٨/٤/٢١ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٨٩/٧/١٢ م.

حياة لأمة بأكملها، وكان ذلك عندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة وجعل منها قاعدة له وبسط فيها الحكومة الإسلامية؛ فتحول الإسلام من نهضة إلى حكومة، وهذه هي المرحلة الثانية^(١).

أسس الحكومة الإسلامية: نموذج حضاري إنساني

«السنوات العشر التي قضاها النبي ﷺ في المدينة تمثل سيني إرساء قواعد النظام الإسلامي وبناء أنموذج الحكم الإسلامي لجميع أبناء البشرية على مر التاريخ الإنساني في مختلف الأعصار والأمصار، وهذا الأنموذج كامل لا نجد له نظيراً في أي حقبة أخرى، وبمقدورنا من خلال إلقاء نظرة على هذا الأنموذج الكامل تحديد المعالم التي بها ينبغي لبني البشر ومنهم المسلمون الحكم على الأنظمة وعلى الخلق؛ فلقد كانت غاية النبي ﷺ من هجرته إلى المدينة مقارعة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي بظلمه وطاغوتيته وفساده الذي كان سائداً على الدنيا وقتها، ولم يكن الهدف مكافحة كفار "مكة" وحسب، بل القضية ذات بعد عالمي أيضاً.

كان النبي الأكرم ﷺ يتعقب ذلك الهدف، فكان يغرس بذور

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه شرائح شعبية مختلفة في اليوم الخامس عشر من

شهر رمضان المبارك، بتاريخ: ١٣٦٩/١/٢٢ هـ/ش، الموافق لـ ١١/٤/١٩٩٠ م.

الفكر والعقيدة أينما وجد الأرضية مناسبةً لذلك، على أمل أن تخضّر تلك البذور في الوقت المناسب، وغايته من ذلك كانت إيصال رسالة الحرية والنهوض وسعادة الإنسان إلى كافة القلوب، وذلك ما يتعدّر إلّا عن طريق إقامة النظام النموذجي القدوة، لذلك فقد جاء النبي ﷺ إلى المدينة لإقامة مثل هذا النظام النموذجي، أمّا ما هو القدر الذي يسع الأجيال اللاحقة مواصلته والاقتراب من هذا النموذج فذلك منوطٌ بهم؛ فالنبي ﷺ يبني النموذج ويقدمه للبشرية والتاريخ ...

لقد قدّم النبي ﷺ إلى المدينة ليقم هذا النظام ويعمل على تكامله ويجعله أنموذجاً إلى أبد الدهر، ليقّدي به اللاحقون على امتداد التاريخ ممّن تتوفّر لديهم القدرة على إقامة نظام مماثل له، ليزرعوا الاندفاع في القلوب؛ كي يجدّ بنو البشر السير نحو إيجاد مثل هذا المجتمع. وبديهيّ أن تحتاج إقامة مثل هذا النظام إلى دعائم عقائدية وإنسانية، فلا بدّ أولاً من وجود معتقدات وأفكار سليمة كي يقام هذا النظام على أساسها؛ وقد بيّن النبي ﷺ هذه الأفكار والرؤى في إطار كلمة التوحيد والعزة الإنسانية وسائر المعارف الإسلامية خلال فترة السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها في "مكة"، ثمّ علّمها وفهمها الآخرين بشكل متواصل وعلى مدى لحظات حياته حتّى وافاه الأجل في المدينة ...

كانت "مَكَّة" بمثابة المحور، وبالرغم من عدم وجود حكومة بالمعنى المتعارف عليه فيها، بيد أن ثمة مجموعة من الأشراف المتكبرين العتاة المتنفذين كانت تحكم "مَكَّة"، وهم على اختلافهم كانوا متّحدين بوجه هذا المولود اليافع الجديد. وكان النبي ﷺ على علم بأنّ الخطر الجسيم إنّما ينطلق منهم، وقد حصل ذلك عملياً ...

معركة الخندق ... انكسار الأحزاب وتبشير الفتح

كانت معركة "الخندق" آخر المعارك التي شنّها ضدّ النبي ﷺ، وهي واحدة من أهمّها، حيث استجمعوا قواهم واستعانوا بالآخرين أيضاً للقضاء على النبي ﷺ وعدّة مئات من أصحابه المقربين حسب زعمهم، ونهب المدينة، ثمّ يعودون وقد ارتاحت خواطرم حيث لا أثر للنبي ﷺ وأصحابه. وقبل قدومهم نحو المدينة كان النبي ﷺ قد علم بالأمر فبادر إلى حفر خندق عرضه أربعين متراً تقريباً من الجهة التي يسهل اختراقها. كان ذلك في شهر رمضان والمناخ قارص البرودة كما تنقل الروايات، ولم يهطل المطر في ذلك العام، من هنا فقد عمّ الجذب وعانى الناس من المصاعب.

كان النبي ﷺ أكثر الناس عملاً في حفر الخندق؛ فحيث وقعت عيناه على مَنْ أعياه العمل وأصيب بالإرهاق أو عجز عن المواصلة،

كان ﷺ يتناول معوله ويمارس العمل والبناء بدلاً عنه؛ فلم يسجل حضوره بإصدار الايعازات فقط، بل كان يشارك المسلمين بكيانه ووجوده أيضاً. ولمّا رأى الكفار الخندق ولمسوا عجزهم أصيبوا بالإحباط والهزيمة وافتضح أمرهم، وأخيراً اضطروا للانسحاب، إذ ذاك نادى النبي ﷺ بأن الأمر قد انتهى، وهذه كانت آخر المعارك التي يشنها كفّار "مَكَّة" ضد المسلمين، وقد جاء دور المسلمين للتوجّه نحو "مَكَّة".

فتح "مَكَّة" .. اقتدار النبي ﷺ وانتصار النبوة

بعد عامٍ من [واقعة الخندق] أراد النبي ﷺ التوجّه إلى "مَكَّة"؛ لأداء العمرة، وأثناء ذلك وقع "صُلْحُ الْحُدَيْيَّة" الغني بالمعاني والأهداف.

كان مسيرُ النبي ﷺ إلى "مَكَّة" في شهر محرّم الحرام، وقد كان المشركون يحترمون هذا الشهر ويحرّمون فيه القتال، فأصبحوا في حيرةٍ من أمرهم ما عساهم صانعين؟ أيسمحون له بالتقدّم في مسيره؟ وماذا سيفعلون إزاء نجاحه هذا؟ وكيف يواجهونه؟

أيقاتلونه وهم في شهر محرّم؟ وكيف يقاتلونه؟ في النهاية، قرّروا وقالوا: "سنذهب ولن نسمح له بدخول "مَكَّة"، وإذا وجدنا ذريعةً، سنقوم بقتلهم جميعاً".

تميّز تصرف النبي ﷺ بأسمى درجات التدبير، حيث قام بما دفعهم لأن يجلسوا معه، ويبرموا معه صلحاً؛ لكي يعود إلى المدينة المنورة على أن يأتي في العام القادم؛ لأداء العمرة، وقد انفتحت الأجواء جميعها أمام النبي ﷺ من أجل التبليغ.

يُطلق على هذه الاتفاقية تسمية "الصلح"، بيد أن الباري ﷻ يصرّح في كتابه بالقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١). ومن يراجع مصادر التاريخ المتقدمة والصحيحة يجد العجب في واقعة "صلح الحديبية".

في العام التالي توجه النبي ﷺ لأداء العمرة، ورغماً عن هؤلاء [المشركين] أخذت شوكتُهُ تزداد قوةً يوماً بعد يوم. ولما نقض الكفار العهد في العام اللاحق - أي العام الثامن للهجرة - تقدم النبي ﷺ نحوهم وفتح "مكة"، فكان فتحاً عظيماً يُنبئُ عن اقتدار النبي ﷺ وتمكّنه^(٢).

«من الاختبارات المُرّة والصعبة التي تعرّض لها المسلمون كانت هذه القضية المتّصلة بسورة "الفتح" المباركة، حيث قرّر النبي

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآية: (١).

(٢) من كلام للإمام الخامني دام ظلّه في خطبتي صلاة الجمعة التي أُقيمت في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٨٠/٢/٢٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠١/٥/١٨ م.

الأكرم ﷺ - وفي ضوء سياسة سليمة وإلهية - التوجّه نحو "مكة" التي كان أهلها - وقبل سنتين من هذه الواقعة - قد حاصروا المدينة محاولين الفتك بأهلها، ووقعت "معركة الأحزاب" بظروفها الصعبة، حيث كانوا متعطّشين لدماء النبي ﷺ وأصحابه.

قال النبي ﷺ: إننا نريد العمرة، وخاطب المسلمين داعياً إياهم للذهاب، فخاف البعض وقالوا: إن النبي ﷺ لن يعود للمدينة، وهو محكومٌ بالفناء والإبادة، وبهذه الواقعة تتعلّق قضية "إنزال السكينة"، إذ إن الله ﷻ قد بعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين بحيث ذهبوا وواجهوا العدو، ثم عادوا مكّللين بنصر مؤزّر، وتحقّق ما كان يبتغيه النبي ﷺ^(١). «يقول الله ﷻ: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا﴾^(٢)، وهذا في سياق حادثة "الحديبية". أي إنكم تصوّرتُم أن النبي ﷺ وأصحابه بعدما غادروا، لن يعودوا أبداً، بل سيتمّ القضاء عليهم بالكامل، وسيقتلون.

﴿وظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾: أي أنهم نظروا إلى ظاهر الأمور، ورأوا أن النبي ﷺ يسير نحو الخطر، دون سلاح،

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي في

الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بتاريخ: ١٣٨٢/٣/٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٨/٥/٢٠٠٣ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (١٢).

ويذهب باتجاه المكيين الذين كانوا أشدَّ أعدائه، فقالوا إنه هالكٌ لا محالة. لكنَّ الله ﷻ وفى بوعده، وحقَّق ما أخبر به: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

هكذا تكون الأمور؛ أي إنَّ الأحداث في المسيرة العامَّة لحياة البشر تخضع لقوانين ثابتة، وهذا القانون ينطبق هنا أيضاً كما كان في السابق»^(٢).

«من ذا الذي كان يتصوَّر أيام بزوغ الإسلام أن تفلح ثلَّة قليلة من المظلومين قليلي المتاع في إحدى زوايا "مَكَّة" أن تؤسَّس أعظم حضارة في وقتها؛ بفضل هذه الآيات الإلهيَّة، وتعمل على رُقْي الحضارة البشريَّة وازدهارها، وبناء هذه الدولة الكبرى المترامية الأطراف، وتبقى يكلِّها العزَّ والفخار على مرَّ الزمان؟ كان البعض يتصوَّر سرعان ما ينتهي كلُّ شيء، ﴿الظَّالِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾، فقد كانوا يظنُّون عدم نجاح النبي ﷺ في أيِّ من الوقائع التي ستواجهه، ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾، ﴿وظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾. إنَّ الذين يُسيئون الظنَّ

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٧).

(٢) من رسالة الإمام الخامنئي دام ظلُّه خلال لقائه وفداً من مسؤولي حزب الله لبنان على رأسه الأمين العام الشهيد السيّد حسن نصر الله ﷻ، بتاريخ: ١٣٨٠/٢/١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠١/٥/١٩ م.

بالله ﷻ، ويجهلون أهميّة قيمة جوهرة الدّين النفيسة هم "القوم البور"، ولا ينبغي لنا نحن المسلمين الانحدار إلى هذا المستوى^(١).

«لقد هاجر النبي ﷺ إلى يثرب، وأنشأ الحكومة الإسلاميّة هناك، وقد كانت هذه نقطة الذروة لنهضة النبي ﷺ. ولم يكتفِ بهذا؛ أي أن يشكّل الآن حكومة الناس وإدارتهم فقط. لا، لقد بدأ مواجهة الأعداء على الأصعدة كافّة؛ لأنّ الأعداء لم يكونوا ليركوا المسلمين وشأنهم. فشكّل جيشاً، وجّهز معدّات الحرب، وهاجم الأعداء، وفي بعض الحالات دافع، وفي بعض الحالات هاجم؛ كلا النوعين موجود. إنّ بعض الأشخاص الآن يقولون إنّ حروب الرسول ﷺ دفاعيّة بحتة. كلّاً، بعضها كانت دفاعيّة، وبعضها هجوميّة. كانت الظروف مختلفة. ثمّ فتح معسكر الشرك، إذ كان معسكر الشرك في "مكّة". فتحها وصار بيت الله ﷻ في تصرّف الإسلام والمسلمين»^(٢).

«دخل الرسول ﷺ "مكّة" فاتحاً، والتقى أولئك الذين آذوه وكذبوه على مدى ثلاثة عشر عاماً وجروا عليه كافّة أنواع الويلات،

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه القائمين على شؤون الحجّ في الجمهوريّة الإسلاميّة، بتاريخ: ١٣٨١/١٠/٢٥ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٣/١/١٥ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه المتلفزة والتي وجّهها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٤٠٠/١٢/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٣/١ م.

ولكنه خاطبهم قائلاً: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، ولم ينتقم منهم. وفي نفس الوقت ذكر ﷺ جماعةً بالإسم وقال: "اقتلوهم حيث ثقتموهم" وكان من بينهم أربع نساء وأربعة رجال، فها هنا كان يلزم العنف، وأما هنالك فالرفق واللين»^(١).

«[لقد] حقق الله العليّ القدير وعده وتغيّر مجرى التاريخ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾^(٢)، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤)، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٥)»^(٦).

«وإن شاء الله ﷻ سيتحقق وعد الله ﷻ لرسوله ﷺ بكم أيضاً، أنتم الأبناء المخلصون للإمام [الخميني] وأنصار الإسلام المضحون،

(١) من كلمة الإمام الخامني دام الله خلال خطبة الجمعة التي ألقاها في العاصمة الإيرانية طهران،

بتاريخ: ١٣٧٩/١/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ١٤/٤/٢٠٠٠ م.

(٢) سورة البقرة "المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

(٣) سورة محمد ﷺ "المباركة، جزء من الآية: (٧).

(٤) سورة الحج "المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

(٥) سورة غافر "المباركة، الآية: (٥١).

(٦) من نداء الإمام الخامني دام الله لمؤتمر الحج، بتاريخ: ١٣٨٧/٩/١٧ هـ/ش، الموافق لـ

حيث قال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا
تَخَافُونَ﴾^(١) ^(٢).



(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٧).

(٢) من رسالة الإمام الخامنئي دام ظله إلى مؤتمر الحج العظيم، بتاريخ: ١٤/٤/١٣٦٨ هـ/ش، الموافق

في رحاب الآية: (٢٨)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١)



«[كانت] ولادة الرسول الأكرم ﷺ، الشمس الوضّاءة التي أشرقت في زمن الجهل والخداع الجاهليّ، وأنارت العالم، وعلى حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ»^(١). وهذه هي حقيقة القضية، فقد كان العالم غارقاً في ظلمة الجهل والسوء، في ذلك الزمن الذي أهدى ووهب فيه ربُّ العالمين هذا النور للبشريّة.

اتباع الهداية الإلهيّة ودين الحقّ سبيل الفلاح والخلاص

إنّ جسد الرسول ﷺ المبارك غير موجود بيننا اليوم، ولكن: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(٢)، دينه وهدايته مرافقة لنا، وموجودة بيننا. إذا اتّبعنا هذا النور، وإذا كنّا مشمولين بهذا التعبير القرآني: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾^(٣)، فستكون النتيجة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

اتباع هذه الهداية الإلهيّة، وهذا النور الذي جاء به - وهذا النور هو القرآن الكريم، والقرآن كتاب هداية ونور - واتباع هذه الهدية

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، من خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم ﷺ وبلاغ

الإمام عليه السلام عنه، الخطبة: (٨٩)، ص: ١٢٢.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٨).

(٣) سورة "الأعراف" المباركة، جزء من الآية: (١٥٧).

(٤) تتمّة الآية السابقة.

الإلهية التي مُنحت للبشرية عن طريق الرسول الأكرم ﷺ، سيؤدي البشرية إلى الفلاح والخلاص.

أسباب مشكلات البشرية ومعاناتها

إن البشرية تصبو إلى الفلاح. ومشكلة البشرية، منذ انطلاقتها، إلى اليوم، تتمثل في انعدام العدالة، وانعدام الرحمة، وانعدام الهداية. الضلالات المتنوعة التي تعاني منها البشرية، جعلت الحياة عسيرة عليها. وهي اليوم بحاجة إلى ينبوع النور ذاك، وكذلك محتاجة إلى الاستجابة لدعوة النبي الأكرم ﷺ، وهي دعوة الحق والصدق والرحمة. إذا بلغت البشرية هذه المرحلة من النضج الفكري، بأن تستجيب لدعوة نبي الإسلام المكرم ﷺ، فسوف تزول مشكلاتها.

واليوم أيضاً، إن وجود القوى الكبرى، والظلم الناجم عن تعسفها في ممارسة الأعمال الإجرامية، أدى إلى أن يكون العالم مثل ذلك اليوم «كاسفة النور» و«ظاهرة الغرور».

فالبشرية اليوم، وللأسف، تعاني أيضاً. وهذه المعاناة لا تختص بالعالم الإسلامي الذي ابتعد عن الإسلام، إنما بالبشرية كلها. وتلك البلدان التي تتمتع - في الظاهر - بالتقدم الحضاري والبهارج الدنيوية، تعاني هي الأخرى بشدة؛ وهذه المعاناة ناتجة عن الجهل والخداع،

وعن انعدام العدالة. والإسلام لديه الحل لهذه الأمور كلها، ويضمن الفلاح والسعادة للشعوب. وعلينا نحن المسلمين أن نتعلم هذا الدرس، ونتقنه»^(١).

«يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الأوضاع في تلك الأيام وما آلت إليه البشرية في ذلك الزمان: «وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ»^(٢). فإن نور الإنسانية قد انمحق من قلوب الناس والمجتمعات، ليس في الجزيرة العربية فحسب، بل في عمق الامبراطوريات العظمى والحكومات المتمدنة في ذلك الزمان، أي حكومة إيران القديمة وروما. فالغرور والخطأ في فهم الحقيقة كانا واضحين في جميع نواحي حياة البشرية. ولم يكن الناس يعرفون الطريق أو الهدف. ولا شك أن بعض المؤمنين كانوا موجودين في ذلك الزمان ويسلكون الطريق الصحيح. فلا نعني أن جميع أفراد البشرية كانوا عصاة ومذنبين في ذلك الزمان، ولكن الوضع العام للدنيا

(١) من كلمة الإمام الخامني دام الله خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى "طهران"، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بتاريخ: ١٣٩٧/٩/٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٥/١١/٢٠١٨ م.

(٢) نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، من خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الإمام عليه السلام عنه، الخطبة: (٨٩)، ص: ١٢٢.

كان على هذه الشاكلة. فالصورة العامة للعالم كانت صورة ظلمانية، وكانت مظهراً للظلم وضياح جميع علائم الإنسانية. ففي مثل تلك الأوضاع سطع نور وجود النبي ﷺ بإرادة الحق العزيز المتعال. إن مثل هذا اليوم يعدّ يوماً لا ينسى في تاريخ البشرية. وليس تذكره بمعنى أننا نريد أن نجدد أثره في العالم. سواء شئنا أم أبينا فإن هذه الحادثة وهذه الظاهرة المدهشة والعظيمة قد طبعت تاريخ البشرية بآثارها. فإذا كان هناك في العالم ذكرٌ للقيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية والمعالي في وجود الناس فبسبب وجوده ﷺ المبارك وبسبب تلك البعثة التي جمعت كمال جميع البعثات وكل فضائل الأنبياء عليهم السلام^(١).

يوم البعثة أعظم أيام السنة وأهمها

«لو كانت عظمة الأيام وأهميتها بكونها زمناً أنزل الله ﷻ فيه لطفه على البشر، فباليقين أنّ يوم البعثة هو أعظم أيام السنة وأهمها؛ لأنّ نعمة بعثة النبي الأعظم ﷺ على البشرية هي أعظم من جميع النعم

(١) من كلمة الإمام الخامني دام الله تعالىه خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى "طهران"، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بتاريخ: ١٣/١٢/١٣٨٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٠/٣/٤ م.

الإلهية على مرّ التاريخ. لهذا يمكن القول بكلّ جرأة إنّ يوم المبعث هو أسمى وأعظم أيّام السنة كلّها وأكثرها بركة. يجب علينا تقدير ذكرى هذا اليوم وتجسيم عظمة تلك الحادثة أمام الأعين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينٍ فَتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ»^(١). فالبعثة وقعت بعدما كانت البشرية محرومة ولعصور طويلة من حضور الأنبياء الإلهيين عليهم السلام. فقد مرّ على ظهور النبيّ عيسى عليه السلام حوالي ستمائة سنة، فلمئات السنين والبشر لم يروا سفيراً إلهياً بينهم. وماذا كانت النتيجة؟ «وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةَ الْغُرُورِ»، كانت الدنيا مظلمة والمعنويات فيها ضامرة والناس يسيرون في متاهات الجهالة والضلالة والغرور. ففي مثل تلك الظروف أرسل الله ﷻ النبيّ ﷺ.

النبيّ الأكرم ﷺ صانع الحضارة الإسلامية

لقد أعدّ الله ﷻ النبيّ المكرم ﷺ، هذا العنصر اللائق، من أجل مثل هذه الحركة العظيمة على مرّ تاريخ البشرية. لهذا تمكّن وعبر ثلاثة وعشرين سنة أن يوجد تياراً استطاع أن يتفوّق على جميع

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمته الله، من خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم ﷺ وبلاغ

الإمام عليه السلام عنه، الخطبة: (٨٩)، ص: ١٢١.

الموانع والمشكلات، ويتقدّم بالتاريخ إلى يومنا هذا. ثلاثة وعشرون سنة زمنٌ قصير. وفيها ثلاثة عشر سنة من الجهاد في غربة، وفي "مَكَّة" بدأ مع خمسة أشخاص ثم عشرة ثم خمسين، وتمكّنت فئة قليلة من مقاومة الضغوط الهائلة للأعداء المتعصّبين والجهلة.

تمكّن ﷺ من بناء أركانٍ محكمةٍ لإشادة مجتمعٍ وحضارةٍ إسلاميّة. ولاحقاً هياً الله ﷻ ظروفاً تمكّن النبي ﷺ معها من الهجرة إلى المدينة ليوجد هذا النظام وهذا المجتمع، وليخطّط لهذه المدينة. وكلّ المدّة التي تطلّبت من النبي الأكرم ﷺ تشييد هذا النظام الجديد وبناءه وتهيئته والتقدّم به كانت عبارة عن عشر سنوات، أي أنّها كانت مدّة قصيرة. ومثل هذه الأحداث تضع في العادة وسط طوفان أمواج حوادث الدنيا وتزول وتُنسى. فعشر سنوات هي مدّة قصيرة جداً؛ لكنّ النبي الأكرم ﷺ استطاع في هذه المدّة أن يغرس هذه الغرسة ويسقيها ويهيئ لها أسباب النمو. لقد أوجد ﷺ حركةً أدّت إلى هذه الحضارة التي بلغت قمّة التمدّن البشريّ في عصرها، أي في القرن الثالث والرابع الهجريّ. لم يشاهد في كلّ عالم ذلك اليوم مع كلّ السوابق الحضاريّة والحكومات المقتدرة والتراث التاريخيّ المتنوّع أيّة حضارة بعظمة ورونق الحضارة الإسلاميّة وهذا هو فنّ الإسلام...

الإسلام سفينة نجاة البشرية

لو أنّ البشر فكّروا وراعوا الإنصاف لصدّقوا بأنّ نجاة البشرية وسيرها نحو الكمال سيكون ممكناً ببركة الإسلام ولا غير. نحن المسلمين لم نقدّر تلك النعمة، فأكلنا من الوعاء وكسرناه ولم نعرف قدر الإسلام. نحن لم نحافظ على تلك الأسس والأركان التي شادها النبي الأكرم ﷺ من أجل بناء المجتمعات الإنسانية الراقية والمتكاملة؛ لم نكن شاكرين، وقد لقينا نصيبنا من جرّاء ذلك.

كان للإسلام مثل هذه القدرة وما زال في إيصال البشرية إلى السعادة والكمال والتكامل على الصعيدين المادّي والمعنويّ.

إنّ تلك الأسس والأركان التي وضعها النبي ﷺ - أركان الإيمان والعقلانيّة والجهاد والعزّة - هي الأركان الأساسيّة للمجتمع الإسلاميّ. فلنعرّز إيماننا في قلوبنا وفي عملنا؛ فلنستفد من العقل البشريّ الذي هو هديّة إلهيّة كبرى للبشر، فلنستمرّ في جهادنا في سبيل الله ﷻ سواء في ميادين الجهاد العسكريّ حيث يلزم، أم في الميادين الأخرى كالميدان السياسيّ والاقتصاديّ وغيرهما، ولنغتنم شعور العزّة والكرامة الإنسانية والإسلاميّة ونحفظها لأنفسنا.

عندما يتمّ إحياء هذه الأمور في المجتمع فبالأكيد تجعله يسير

وفق الحركة الإسلامية التي هي خطّ نبيّ الإسلام المعظم ﷺ^(١).

العلامات الرمزيّة على إرادة الله ﷻ في تحرير البشر من القيود
«[لقد] جاء بشأن آيات ولادة النبي ﷺ أنه لما ولد ذلك العظيم،
تهدّمت شرفات إيوان "كسرى"، وخمدت نيران "أذرگُشَسب" التي
كانت مشتعلةً لقرون؛ وجفّت بحيرة "ساوه" التي كانت تُعتبر مقدّسةً
في نظر بعض أهل ذلك الزمان، وسقطت الأصنام التي كانت معلّقةً
حول الكعبة.

هذه العلامات - التي هي رمزيّة وظاهريّة بالكامل - تُظهر اتّجاه
الإرادة والسنة الإلهيّة في إسباغ خلعة الوجود على هذا الموجود
العظيم، وهذه الشخصيّة الفريدة والرفيعة.

المغزى من هذه الأحداث الرمزيّة، هو أنّ بقدوم هذا المولود
المبارك، يجب أن يُقتلع بساط الذلّ عن البشريّة - سواء كان ذلك
بسبب تسلّط الجبابرة والمستبدّين من الحكام، من قبيل ما كان قائماً
يومذاك في إيران وروما القديمتين، أو بسبب عبادة غير الله ﷻ - .

لابدّ أن ينعق البشرُ على يدي هذا المولود المبارك، سواء من

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة،

بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٩٠/٤/١٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١١/٦/٣٠ م.

قيود الظلم والاستبداد الذي فرضه حكام الجور على المظلومين من البشر على مر التاريخ، ومن قيود الخرافات والعقائد الباطلة المهينة التي تجعل من الإنسان خاضعاً وخاشعاً وذليلاً أمام مخلوقات هي أدنى منه، أو أمام بشر مثله.

لذلك تقول الآية القرآنية في شأن بعثة النبي الأعظم ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾^(١).

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليس لهذا الأمر زمن محدد؛ هو لم يحدد بزمن. إنه يُظهر الاتجاه؛ اتجاه هذا الدين، اتجاه هذه الولادة، اتجاه هذا الحدث، وهو أن البشرية يجب أن تتحرك من خلال هذا الحدث وهذه الواقعة نحو الحرية المعنوية، والحرية الاجتماعية، والحرية الحقيقية والعقلانية؛ وهذا ما كان قد انطلق وهو بأيدينا نحن البشر؛ وهذه سُنَّةٌ أخرى في عالم الخلقة.

الإرادة البشرية وسبل الوصول إلى الأهداف الإلهية

لو ضاعف البشر من سعيهم وجهودهم وهمّتهم فسرعان ما يبلغون الأهداف الإلهية المحددة في الرسالة الإلهية؛ أمّا إذا تقاعسوا

(١) سورة "الفتح" المباركة، الآية: (٢٨).

وبدا عليهم الضعف فإنهم سيراوحون في هذا المسير سنوات طوال، كما في التيه الذي أصاب بني إسرائيل: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، إذ إن بني إسرائيل إنما أصابهم التيه والضياع في الصحراء بما كسبت أيديهم، ولقد كان بمقدورهم الحيلولة دون وقوع تلك الشدة والمرارة، أو تقليص مدتها، وكذلك كان بوسعهم إطالة مدتها بضعفهم، وهكذا هو مآلنا؛ ولقد بين الباري ﷻ وحدد للمسلمين العلة من خلق البشر، والفلسفة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، والبشر هم الذين بإمكانهم إطالة هذا الطريق أو اختصاره، بالإسراع أو الإبطاء في بلوغ الهدف^(٢).

مولد النور: بداية رحلة تحرر الإنسانية وانعقاد البشرية

«إنّ اليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ وازدهرت الدنيا الحالكة بنور هذا الوجود المقدس، هو باليقين مبدأ للتاريخ البشري. وكما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته، يومها كان نور السعادة قد أفل من بين

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزء من الآية: (٢٦).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى "طهران"، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بتاريخ:

١٣٨١/٣/٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٢/٥/٣٠ م.

المجتمعات البشرية؛ نتيجة لسيادة القوانين والدول الجائرة: «والدُّنيا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ»^(١)، فانبجج النور النبوي لِيُفْصَحَ عن معالم حاكمية الحق وتجليات البراهين الربانية في أوساط الإنسانية. والمعجزات التي رافقت ولادة النبي الأكرم ﷺ، هي بالحقائق نواقيس إنذار للبشرية والتاريخ؛ فالتصدع الذي حلّ ببلاط كسرى وانطفاء نيران المعابد تحمل في طياتها جلي المعاني، والمعنى الواضح الذي تحمله هذه الوقائع والأحداث يُنبئ عن انفتاح طريق أمام البشرية مع ظهور هذا الوليد المبارك، ولابد أن تنعق البشرية من حنادس الأوهام ونير الأنظمة الظالمة. أمّا من هم الذين يختارون هذا الطريق ويسلكونه بكل اقتدار؟ ومن هم الذين يُعرضون عنه ولا ينالون مواهبه؟ فذلك منوط بإرادة بني الإنسان ورغبتهم، فهم الذين يختارون مستقبلهم ويقرّرون مصيرهم بأنفسهم، غاية الأمر أن الطريق مفتوح أمامهم.

البشرية بحاجة اليوم إلى تعاليم نبي الإسلام ﷺ الوضّاءة وبالإضافة إلى ما قرّرت السنن الإلهية من أن تتخذ الحركة العامة

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمه الله، من خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم ﷺ وبلاغ

الإمام عليه السلام عنه، الخطبة: (٨٩)، ص: ١٢٢.

للبرية مسيرها باتجاه هذه الأهداف، وأن هذه الأهداف هي المقاصد التي يسير المجتمع نحوها بشكل طبيعي وقهري، فإن وقائع التاريخ أثبتت أن الرقي العلمي الذي تنشده البرية، والتطور المعرفي الذي يصبو إليه الإنسان، إنما يكمن في السير باتجاه تعاليم النبي الأكرم ﷺ وغذ السير^(١) صوب نهاية هذا الطريق.

إن البرية تشعر اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجتها لتعاليم نبي الإسلام ﷺ الوضاعة ...

لم يأت الإسلام ليخلق معتقداً في ثنايا قلوب بني الإنسان وعقولهم، وإن كان هذا الاعتقاد غير ذي أثر في أفعالهم وحياتهم، بل إنه جاء لإحداث التغيير في الحياة وتصحيح مسار البرية؛ والإيمان بالإسلام هو مصدر عمل للبرية، والأحكام والقوانين الإسلامية تتميز بشموليتها لكافة مجالات الحياة الإنسانية، اجتماعية كانت أم فردية، سياسية أم اقتصادية، فللإسلام برامجه وتوجيهاته التي تطرق هذه الجوانب بأسرها^(٢).

(١) غذ السير: من الإغذاء، وهو الإسراع في السير بحيث لا يكون فيه تباطؤ وفتر.

(٢) من كلمة الإمام الخامنه دام الله خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى "طهران"، وضيف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام،

بتاريخ: ١٣٨٠/٣/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠١/٦/١٠ م.

«أعزائي! إنَّ هذا هو المشعل الذي أوقده النبي الأكرم ﷺ، وقد أضاء آنذاك عالماً بأكمله. لم يشيّد آنذاك حضارة، بل حضارات، ويمكنه اليوم أيضاً.

أيضاً في ذاك العصر، كان العالم يتوفّر على أشياء جديدة: كان لديه العلم، كان يملك التقدّم، كان عنده أنطاكيا، كان عنده روما، كان عنده اليونان، كان عنده إيران، كان عنده همدان^(١)، كان عنده تخت جمشيد^(٢)، وكان لديه كذا وكذا. وأيضاً لم يكن العالم خالياً بالكامل في ذاك العصر، لكن حينما أضيء هذا المشعل، حينما اتّقدت هذه الشمس، فقدت كلّ الشموع نورها، وفاق هذا المشعل الجميع: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

هذا الإظهار والغلبة بمعنى الغلبة المعنويّة والطبيعيّة، أنّ يُظهره بنحو طبيعيّ. حينما تطلع الشمس، فإذا وضعت وسط نور الشمس ولو نور ألف شمعة، فلن يكون لها نور أبداً، رغم أنّكم حتّى لم تُخفّتوا نورها. إظهارٌ وغلبةٌ بهذا الشكل. إنّ هذه نفس تلك الشموع،

(١) أو كما ذكرها سماحته دام ظلّه باسمها القديم: "هگمتانه"، وقد كانت عاصمة الميديّين في العهد الميديّ، وهي اليوم إحدى محافظات إيران.

(٢) أو كما ذكرها سماحته دام ظلّه باسمها القديم: "پرسپولیس"، وقد كانت عاصمة الدولة الأخمينيّة، وتقع اليوم في محافظة شیراز.

هذا نفس ذاك المصباح، هذا نفس ذاك المشعل، هذا نفس تلك الشمس، فعليكم أن تعرفوا قدرها»^(١).

«[يقول ﷺ]: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾»^(٢):

هذا الحق الذي أرسل الله ﷻ رسوله ﷺ به هو الإسلام وما يحتويه من شرائع وأحكام وإخبارات عن العقاب والثواب، وكل ما سوى الدين المرسل من الله ﷻ باطلٌ بعيد عن الحق يستحق أتباعه العذاب.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: أي ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لها، حتى لا يبقى على وجه الأرض دينٌ إلّا مغلوباً، ولا يغلب أحدٌ أهل الإسلام بالحجة، وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجة^(٣).

معنى غلبة الإسلام الأديانَ وزمان هذه الغلبة

مفاد هذه الآية عميقٌ ومؤثرٌ في معرفة الدين وأحكامه.

قد تقولون: إذا كان الله ﷻ يريد لدينه الغلبة والتفوق على سائر

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه فئات شعبية مختلفة وكبار مسؤولي النظام، بمناسبة

عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٧٢/١٠/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٤/١٠/١٠ م.

(٢) سورة «التوبة» المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٣).

(٣) راجع: مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن

الطبرسي رحمه الله، ج ٥، ص ٣٨.

الأديان، فلماذا لم يحصل هذا الأمر حتّى هذه اللحظة؟ فعلى الرغم من السعي في نشر الإسلام، ومع ذلك بقيت سائر الأديان حتّى عصرنا هذا؛ بل إنّ الإسلام دخل إلى بعض البلاد ثمّ استؤصل وأُخرج منها كما حصل في الأندلس، وغيرها من المناطق في بلاد أفريقيا حيث بعض المسلمين متأثرون إلى درجة كبيرة بالمسيحيّة والمسيحيّين.

وقد تقولون أيضاً: إنّ هذه الغلبة المقدّرة مؤجّلة إلى آخر الزمان، في عهد دولة الإمام المهديّ عليه السلام، وإذا كان الأمر كهذا، فلماذا هذه المسافة الزمانيّة الطويلة التي تفصل بين ظهور الإسلام وانتشاره وغلبته في آخر الزمان؟

في الجواب عن هذه الأسئلة ينبغي أن نقول: إنّ الله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وآله بهذا الدين وزوّده بالحجج والبراهين التي تمكّنه من التغلّب على سائر الأديان، وبهذه الحجج والبرامج تزول كلّ الألوان وتبهت ويبقى لون دين الله تعالى ثابتاً لا يتغيّر.

والآن نسأل: ما هو الدين؟ الدين هو مجموعة التعاليم التي يدير الناس حياتهم وفقها. شكل الحياة يُسمّى ديناً وشرعةً. والدين والشرعة لهما معنى واحد، فحتّى أولئك الذين يعيشون في مجاهل الأمازون يخضعون في حياتهم لمجموعة من التعاليم التي يمكن تسميتها بالدين.

هذا، والدين الصادر عن الله ﷻ هو "دينٌ إلهيٌّ"، والدين الذي اخترعه الناس ولم يستندوا فيه إلى الله ﷻ هو "دينٌ بشريٌّ"، وإذا كان صادراً عن الطاغوت فهو "دينٌ طاغوتيٌّ". وبناءً على هذا الفهم لمصطلح الدين لا يمكن العثور على جماعة بشرية من دون دينٍ.

وقد أتى الدين الإلهيٌّ لتحرير الناس من ألوان التدين التي يخضعون لها، ليحصروا الخضوع والطاعة بهذا الدين الإلهيَّ الجديد. وحاصل دعوة النبي ﷺ هي: اتركوا أنماط الحياة التي تعيشونها، وألقوا تقاليدكم القديمة جانباً، وأحلّوا هذا البرنامج الجديد للحياة محلَّ تلك البرامج القديمة.

وكلَّ كلامٍ جديدٍ قاله الإسلام يهدف إلى تغيير القوالب التي كان الناس يصوغون حياتهم على أساسها، وإعادة صياغة حياتهم من جديد على ضوء القلب الجديد الذي أتى به النبي ﷺ. وهذه هي القاعدة في الأديان الإلهية، كلُّ دينٍ جديدٍ يأتي يدعو الناس إلى إعادة برمجة أمورهم على ضوئه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

الدين البشريُّ والطاغوتيُّ لا دوام لهما. أمّا دين الحقِّ فإنّه يتطابق مع طبائع بني آدم وطبيعة العالم، وهذا الدين هو الذي من شأنه البقاء والدوام، وإذا قبله الناس يمكنه إدارة حياتهم بالطريقة المثلى وبأحسن الوجوه. وهذا هو الفرق بين الحقِّ والباطل.

والمجتمع المتدين هو المجتمع الذي يحكم فيه الدين حياة الناس، ويمثل برنامجاً لها. فعندما يكون الدين برنامجاً للحياة يمكن أن نصف المجتمع بأنه متدين. يجب علينا أن نعرف دين الحق، لنميز المشرك عن غير المشرك، فالحق مصدره الله ﷻ وحده، والبرنامج هو البرنامج الإلهي فحسب. وعليه، فإن من يتبع دين الحق هو الموحد الحقيقي، أما من يميل أو يرغب في إدارة حياته وفق الأهواء والرغبات الجامحة، فهو مشرك. من يعارض الدين مشرك. فقد بعث الله ﷻ الأنبياء ﷺ بالاديان لتحل محل سائر أنماط الحياة وأشكالها. وهذه الآية تثير في النفوس الاطمئنان والأمل بمستقبل البشرية^(١).

فشل سعي الأعداء في إطفاء نور الإيمان

«يقول ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ﴾^(٢). إن أولئك الذين لم يقبلوا دعوة النبي ﷺ يسعون لإطفاء نور الله ﷻ بأفواههم؛ عبر نفخهم على هذا النور الإلهي. هذا تعبير كنائي يشبه فيه القرآن الهداية الإلهية بنور عظيم يسطع على كل المجتمع - كنور الشمس أو نور فانوس عظيم جداً - ويريد شخص أن ينفخ عليه بغمه ليطفئه!

(١) تفسير سورة براءة، للإمام الخامنئي دام ظلّه، الجلسة الحادية عشرة، تفسير الآيتين: (٣٢-٣٣)،

ص ١٢٦-١٢٨.

(٢) سورة «الصف» المباركة، جزء من الآية: (٨).

ومن الواضح أنه بلا فائدة، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. والكافر يعني: الساتر والمغطي، وحيث إن الحديث في هذه الآية عن أصل الاعتقاد بالله ﷻ، وأصل الالتزام بالدين، يقول ﷺ إن هذا النور سيستمر حتى لو كان الكافرون المخالفون لا يريدون ذلك؛ لأن الكافر هو ذلك الذي لا يعتقد بأصل دين الله ﷻ. لكن في الآية التالية يقول: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)؛ وحيث إن الحديث في هذه الآية عن الإسلام لا عن مطلق دين الله ﷻ، فالإسلام فيها هو المقصود، أشار ﷺ إلى أنه لا بد أن يسيطر الإسلام على جميع الأديان المختلفة والمذاهب المتعددة، والله ﷻ هو الذي سوف يحقق هذه السيطرة ولو أن المشركين - وهم أولئك الذين اختاروا ديناً آخر غير الإسلام، ومعبوداً آخر غير الله ﷻ - كارهون لذلك الأمر.

الوعد الإلهي بعالمية الإسلام

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ فالله ﷻ الذي نعتقد به ونعتمد على معونته وهدايته وتأييده والنصر الذي يمنحه، هو الإله نفسه الذي أرسل لنا رسوله النبي الخاتم ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾.

(١) سورة "الصف" المباركة، جزء من الآية: (٩).

والدين والمذهب الحقّ يعني: ذلك الدين الذي يستطيع أن يدير حياة الناس طبقاً لنظام العالم ووفق القوانين الإلهيّة في العالم، هذا معنى الحقّ.

فالحقّ هو: انسجام ومطابقة تلك الترتيبات والأنظمة مع نظام العالم التكوينيّ، هذا هو الحقّ وما عداه باطل.

ولماذا جاء الله ﷻ بهذه الهداية ودين الحقّ وأرسله مع نبيّه ﷺ؟ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؟ فقد أرسل الله ﷻ هذا الدين لكي ينتصر على جميع الأديان وعلى جميع المدارس والقوانين، فالإسلام من الأساس جاء لأجل هذا الأمر، ولم يأت الإسلام لمنطقة جغرافيّة محدّدة من هذا العالم ليهدي فئة خاصّة من الناس ويدير شؤونهم، بل لينظّم كلّ العالم الإنسانيّ، فهو قانونٌ ونظامٌ لكلّ هذا المنزل، منزل جميع البشر، لا ليملأ زاويةً ويدير زاويةً من هذا المنزل. ولو أعطي الإسلام أن يدير زاويةً من هذا المنزل فلن يفعل ذلك بنفس الإتيقان الذي سيؤدّيه فيما لو كان كلّ المنزل تحت إدارته.

لو كان هناك قسم من هذا العالم العظيم والكبير تحت سيطرة غير الله ﷻ، وقسمٌ آخر تحت سيطرة دين الله ﷻ، فلن يكون بالإمكان إدارة هذا القسم بنفس مستوى الإتيقان الذي سيظهره فيما لو كان كلّ العالم باختيار دين الله ﷻ.

إذاً، فليعلم أهل العالم وجميع المؤمنين وكلّ أصدقاء الإسلام، وكذلك ليعلم أعداء الإسلام أنّ الله ﷻ أرسل دين الإسلام ليحكم كلّ العالم ويديره، وليسيطر ويظهر ويتغلّب على جميع الأديان والمدارس والقوانين. نعني بالأديان تلك النظم الاجتماعية الحياتية، فكلّ نظام حياة يعتبر ديناً، والدين يعني قوانين الحياة وأسلوب الحياة، فلا بدّ للإسلام أن يتغلّب على جميع أنماط الحياة، وقد كان الإسلام من الأساس لأجل هذا الأمر؛ لا لكي يدير الاعتقاد الموجود في قلبي وقلبك، أو ليدير حياة مجتمع خاصّ على أكثر تقدير.

إنّ الذين لا يعجبهم الإسلام وحده، ويريدون أن يحكموا دينهم الخاصّ وأسلوبهم الخاصّ في مجتمعهم وفق مصالحهم - ونقصد مصالحهم المادية والشخصية - وأن يكون الإسلام في زاوية أخرى، كيف حال هؤلاء؟ يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، إنّهم مشركون، والمشركون هم الذين يعتقدون بوجود دين آخر مع الإسلام، ومعبود آخر مع الله ﷻ، فيقول لهم الله ﷻ في هذه الآية: إنّ ديننا سوف يحكم البشرية، وسوف يتغلّب على كلّ الأديان حتّى لو أنّ هؤلاء كانوا كارهين وغير مسرورين ومستائين من ذلك.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ رسالة هذه السورة هي: يا أيّها المجاهدون في طريق الحقّ! يا أيّها المجاهدون في سبيل الله ﷻ!

يا من قدّموا أرواحهم وأموالهم ووضعوها في جبهات حرب الحقّ والباطل - سواء في ذلك الزمان أم في هذا الزمان - ! اعلّموا أنّ هذا الدين الذي أنتم عليه، وهذا الإسلام الذي أنتم تعتقدون به، إنّما هو لأجل هداية وإدارة حياة جميع البشريّة، وسوف يتغلّب ويظهر على جميع قوانين الحياة؛ كونوا على أمل كبير أنّ هذه هي عاقبة البشريّة. نأمل إن شاء الله ﷻ أن يكون هذا اليوم قريباً مع ظهور خاتم الأوصياء الإمام المهديّ ﷺ^(١).

وعد الله ﷻ بحفظ دينه وإظهاره على مرّ الزمن

«ولقد وعد الله ﷻ مكرراً في القرآن الكريم، أنّ ظهور هذه الحقيقة هو من أجل أن تصبح سائدة على حياة البشر وأن تصبغ حياة البشر بلونها وشكلها، إنّ هذه الحقيقة سوف تتحقّق، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٢).

«الله ﷻ وعد في الكثير من آياته بحفظ دينه من آثار حقّد وكرهيّة وضغينة الأعداء على مرّ الزمن. والآية الشريفة من سورة

(١) تفسير سورة الصفّ، للإمام الخامنّي دام ظلّه، الجلسة الثانية، تفسير الآيات: (٥-٩)، ص ٥٢-٥٤.

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من قراء القرآن الكريم، بمناسبة عيد المبعث

النبيّ الشريف، بتاريخ: ١٣٦٨/١٢/٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٠/٢/٢٣ م.

"الصف" المباركة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ﴾^(١) شَبَّهَتْ صراط الله ﷻ ودين الله ﷻ بالنور، ونور الله ﷻ بما أنه منسوب إلى الله ﷻ فهو أقوى بمراتب غير متناهية من جميع الأنوار التي يستوعبها العقل الإنساني، كنور الشمس وضوء النجوم والأنوار الأقوى منها. أما حقد الأعداء فشَبَّهَتْه الآية بنفخة من الفم، كالتي تطفئ ضوء شمعة أو مصباح، ونور الله ﷻ طبعاً أقوى من كل نور يدركه ذهن الإنسان. ولو قيل إنَّ أحداً يريد إطفاء نور الشمس بنفخة من فمه، لثارت سخرية الآخرين على مثل هذا العمل الصبياني، فما بالك إذا كان النور نور الله ﷻ.

يشبّه القرآن الكريم دين الحق بهذا النور، ويشبّه مساعي الأعداء إن كانت عسكرية أو إعلامية، أو سياسية، أو إقتصادية، وكل ما يفعله الأعداء وفعلوه ضدّ دين الله ﷻ - أمس واليوم وغداً - بهذه النفخة الباهتة التي تخرج من الفم. فما أضعف كيد الأعداء هذا أزاء الإرادة الإلهية المقدسة.

﴿وَاللَّهُ مِتُّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢): هذا وعد قطعه الله ﷻ، أي أن الله ﷻ قد قضى وأمضى أن أيّ جهدٍ وعملٍ وبناءٍ قائم على

(١) سورة "الصف" المباركة، جزء من الآية: (٨).

(٢) تتمّة الآية السابقة.

دين الله ﷻ نصيبه الثبات، وليس بمستطاع كيد الأعداء النيل منه أو القضاء عليه، إلّا أنّ لهذا شروطه أيضاً، وقد تضمّنتها دائرة معارف الدين، أمّا أصل وجوهر الموضوع فهو هذا. وإذا نظرنا إلى التاريخ ندرك هذه الحقيقة.

ويقول ﷻ في إكمال هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)، أي أنّ دين الله ﷻ ستكون له الغلبة على كلّ الأديان، سواءً التي كانت منها باطلة من الأساس، أم التي كانت حقّاً في يوم ما ثمّ أصبحت منسوخة، بمعنى أنّ جميع الثقافات البشريّة وجميع النظم الإقتصاديّة، وكلّ الأنماط الحكوميّة، وكافة أساليب الحياة الخاطئة ستدين يوماً لحاكميّة دين الله ﷻ. دعهم يصلولوا ويجولوا عدّة أيام بقدر جهودهم وبقدر ضعف أصحاب الحقّ، لكن دين الله ﷻ سيُسود في نهاية المطاف كلّ الأرض، وسيعمّ خيرُهُ جميعَ أبناء البشر، وهذا هو مضمون الآية الشريفة.

كيف سيسود دينُ الله ﷻ المعمورة؟

والسؤال الذي يعرض هنا هو: كيف سيسود دينُ الله ﷻ

(١) سورة "الصف" المباركة، الآية: (٩).

المعمورة؟ هل سيسود بالقهر وبالقوة السياسيّة والعسكريّة؟ من المتيقّن أنّه لا يمكن أن يكون ذلك؛ فليس من الصحيح أن يفرض أصحاب عقيدة ما عقيدتهم بقوة السلاح على الشعوب الخاضعة لسلطتهم، وإرغام الناس على السير وفقاً لعقيدتهم، فالدين الباطل له مثل هذه الخاصيّة أيضاً، أي أنّ شخصاً واحداً يستطيع إرغام الناس بقوة السيف على اعتناق معتقد فاسد، مثلما فعل الفكر الماركسيّ ونمط الحياة الشيوعيّ؛ إذ تسلّطوا بالقهر على البلدان والشعوب على مدى سنوات من هذا القرن؛ فعاش الناس على أثر ذلك أسلوب الحياة الشيوعيّة. لكن دين الله ﷻ يأبى التغلب على الدول والشعوب والأديان بهذه الطريقة. دين الله ﷻ يستولي على القلوب، والقلب لا يمكن الاستيلاء عليه بالسيف والقهر، القلب يجب أن يفهم وينصاع ويؤمن بالعقيدة رغبةً وطمعاً، وسيستفح عند ذاك من مزايا هذا الإيمان والعقيدة الدينيّة، وهذا ما لا يمكن تحقيقه بقوة السلاح، والإسلام لا يجيز مثل هذا الأسلوب.

لقد تحدّث أعداء الله ﷻ وأعداء الإسلام على مرّ الزمن بكلام كثير في هذا الصدد - ولا شأن لنا بما قالوه - وقد حاول البعض الإيحاء بأنّ الإسلام قد انتشر بقوة السيف، ومن جهة أخرى تظاهر البعض بالمسكنة وقالوا: إنّ الإسلام لا يؤمن بالسيف أساساً.

وهذان الرأيان كلاهما خاطئ، ولكلٍّ منهما بحثٌ طويلٌ، ولا أُريدُ هنا التحدّثُ بشأنهما، بل إنّ كلامي يدور حول موضوع آخر، له أهمّيّته اليوم بالنسبة لشعبنا وبلدنا وللمسؤولين فيه.

إذاً، لو ادّعى دين الله ﷻ - وهو الإسلام - بأنّه سيظهر على جميع أساليب الحياة، وعلى جميع النظم الحكوميّة، والصيغ الاجتماعيّة، والثقافات البشريّة، فلا يعني ذلك أنّه سيظهر عليها بقوة السيف، فإذا لم يكن بالسيف فبأيّ شيءٍ إذاً؟ والجواب على هذا السؤال يشكّل النقطة الأساسيّة في هذا الموضوع.

أسلوبان لغلبة الدين واستقطاب القلوب

للإسلام أسلوبان آخران يستطيع بواسطتهما التغلّب على الأديان الأخرى، واستقطاب جميع القلوب، وهزيمة المعتقدات الأخرى ذات المنطق الخاوي، فما هما الأسلوبان؟

أحدهما: المنطق القويّ والاستدلال المتين والبراهين المتقنة التي يتميّز بها الإسلام.

وثانيهما: العدالة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة وبصورتها المطلقة.

هذان هما الأسلوبان اللذان يساعدان على تقدّم الإسلام.

للمنطق القويّ والاستدلال المتين تأثيرهما الفاعل في اجتذاب

أفكار الناس، أي أنكم إذا نظرتם ستلاحظون أن المعتقدات الإسلامية وعلى الرغم من كثرة الشبهات التي أثّرت ضدها على مدى الزمن بغية توهينها، إلا أن متانة منطقتها وقوة استدلالها - ولا ينحصر هذا في حقل العقيدة الإسلامية فقط، بل حتى الأحكام الإسلامية على هذه الشاكلة أيضاً - تجعل كل عقل سليم يخضع لمنطق الإسلام. وهذا هو السبب في انتشار الإسلام يوماً بعد آخر.

انتشار الإسلام رغم التحديات والمعارضة والعداء

قارنوا الإسلام اليوم مع ما كان عليه قبل خمسين سنة. ففي البلدان التي تُحارب أنظمتها الإسلام بكل ما يتوفّر لديها من وسائل، كالنظام الأمريكي الذي يحارب الإسلام بجميع الأساليب المتاحة أمامه، مع التستر على الظاهر طبعاً؛ حيث يدّعي عدم معارضته الإسلام وعدم عدائه للمسلمين، إلا أن هذا ظاهرٌ منافقٌ؛ لكي يموّه على المسلمين ويصرف أنظارهم عما يجري، ولكن في نفس هذا البلد الذي يعادي نظامه الإسلام - ولو وجد إسلاماً صحيحاً وأصيلاً لانبى لمحاربتة بكل وسيلة - تشير الإحصائيات إلى أن الإسلام هو الدين الثاني فيه. بمعنى أن عدد المسلمين في هذا البلد كبير جداً، والمواطنون فيه - ليس السود منهم فقط، بل وحتى البيض منهم، أي

الأمريكيين الأصليين الذين سكنوا هذه الأرض وولدوا فيها جيلاً عن جيل - أخذوا يميلون للإسلام يوماً بعد آخر، وهكذا الحال في أوروبا أيضاً، وفي أفريقيا، وفي الشرق الأقصى. ومع المعارضة الشديدة من أولئك الذين يعارضون الإسلام إلّا أنّه أخذ بالانتشار؛ بسبب ما يتسم به من قوّة الاستدلال والمنطق، وليس استدلاله استدلالاً علمياً بحثاً حتّى يقال: إنّ شريحة العلماء فقط تفهمه، أبداً، بل إنّ الإسلام بذاته يتضمّن أحكاماً ومعتقدات تجتذب كلّ إنسان سليم العقل وتجعله يؤمن به.

والإسلام لا يقتصر في براهينه على الأدلة الفلسفية المعقّدة، وهي موجودة فيه طبعاً، إلّا أنّ النمط الذي تحدث عنه هو ذلك النمط من البراهين المفهومة لعامة الناس، وهذه من جملة الأدوات التي يملكها الإسلام.

خطر الخرافات على الإسلام

أريد أن أوضح هنا لجميع الحريصين والمهتمين بنشر الإسلام، أنّ النقطة المضادة لهذا الانتصار هي ما يعرضه البعض من خرافات باسم الإسلام، والعداء الأكبر الذي يواجهه الإسلام في هذا المجال هو أن يشيع البعض الخرافات باسم الإسلام، وباسم دين الله ﷻ، وباسم

محبة أهل البيت عليهم السلام، فتؤدي بمن يطلع عليها إلى رفض الإسلام، وفي هذا ضرر كبير على الدين.

عرضت قبل سنتين أو ثلاث رأياً في موضوع التطير، وقد استقبله شعبنا العزيز برحابة صدر والتزم به. وفي الآونة الأخيرة ذكر لي أحد الأشخاص أمراً غريباً ومثيراً للدهشة، وهذا الشخص له معرفة بشؤون الاتحاد السوفيتي السابق، وبالأقاليم التي يقطنها الشيعة - جمهورية أذربيجان - ذكر أن الشيوعيين حينما كان زمام الأمور بأيديهم في منطقة أذربيجان أزالوا جميع مظاهر الإسلام هناك؛ فأحالوا المساجد إلى مخازن، والحسينيات والأماكن الدينية الأخرى حولوها إلى استخدامات أخرى، ولم يبقوا أثراً للإسلام والتشيع، وسمحوا بشيء واحد فقط وهو التطير! وكانت أوامر الزعماء الشيوعيين إلى المسؤولين تقضي بمنع المسلمين من أداء الصلاة، وصلاة الجماعة، وقراءة القرآن، وإقامة شعائر العزاء، ومنعهم من ممارسة أي نشاط ديني، مع السماح لهم بالتطير! ويعود سبب ذلك إلى أن التطير كان وسيلة دعائية بأيديهم يستخدمونها ضد الإسلام وضد التشيع، ومعنى هذا أن العدو يستثمر أمثال هذه الممارسات أحياناً ضد الدين. والخرافات حيثما كانت، تشوه الصورة الناصعة للدين.

دعوة لتحسين الدين من الخرافة برصانة المنطق وقوة البرهان
 على العلماء، والمبلّغين، والمفكرين، والحريصين على نشر الإسلام، ومحبي الإسلام وأهل البيت عليهم السلام أن يلتفتوا إلى أن الإسلام والقرآن يتميز بقوة المنطق والبرهان، وأنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام مذهب الاستدلال ورصانة المنطق. ولو حذف منه البرهان المنطقيّ، وحلّ محله - لا سمح الله - شيء آخر بعيد عن البرهان المنطقيّ، ويتسم بصبغة خرافية، فسيكون له فعل مضادّ تماماً لفعل البرهان المنطقيّ.

إذاً، فالأداة الأساسية لسيادة الإسلام وغلبته على الأديان والشعوب والبلدان هو عبارة عن البرهان المنطقيّ، إضافة إلى العدالة الاجتماعية.

حاکمیة الإسلام شرط تحقق العدالة الاجتماعية

تختلف العدالة الاجتماعية عن المنطق في أنه - أي المنطق - يمكن عرضه من قبل كافة المسلمين حتى وإن كانوا أقلية، على مَنْ تُساوَرهم الشكوك بشأن الإسلام، فإذا كان أحد العلماء المسلمين يعيش في بلد يشكّل المسلمون أقلية فيه، فبإمكانه أن يعرض المعتقدات الإسلامية على سائر أبناء ذلك البلد مدعومة بالبرهان

والاستدلال المنطقي. ولكن هل يمكن ذلك في العدالة الاجتماعية؟
العدالة الاجتماعية في الإسلام لا يمكن تحقيقها وعرضها على
الآخرين إلّا في ظلّ قيام حكومة إسلامية، والعدل إنّما يكون عندما
تكون ثمة حكومة إسلامية في البلد؛ وإلّا فكيف يمكن تطبيقه؟

حاکمیة الإسلام الحقّة استمالت القلوب بالعدالة

إنّ حاکمیة الإسلام الحقّة حينما طبّقت في بعض المقاطع
الزمنيّة، كعهد أمير المؤمنين عليه السلام، أو بعض المراحل الأخرى في صدر
الإسلام، استمالت إليها القلوب. لاحظوا كم من الكتاب والعلماء غير
المسلمين ألفوا كتباً عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهم قد عرفوه بعدالته
وصارت قلوبهم تهفوا إليه. أجل هكذا تكون العدالة.

فإذا قام مجتمع ما على أساس الإسلام، وطبّقت فيه العدالة
الاجتماعية، والمساواة في الحقوق، وفي القضاء، وفي الشؤون
التنفيذية، وتمّ توزيع الثروات بين الناس بشكل عادل وصحيح،
سيكون هذا بحدّ ذاته سبباً في اجتذاب قلوب الشعوب - في شتّى
أرجاء العالم - إلى الإسلام؛ لأنّها تعاني من فقدان العدالة.

فقدان العدالة واقعٌ يحفّز على التوجّه نحو الإسلام

تعاني بلدان العالم اليوم - وحتى ذات الثروة الماديّة والعلميّة

الضخمة - من فقدان العدالة، ولا تطبّق فيها العدالة بمعناها الحقيقي، وهذا ما يجعل أكثرية الناس هناك تكابد العناء؛ بسبب فقدان العدالة. وحينما يلاحظون وجودَ حكومةٍ - في بقعة من العالم - قائمة على أساس الإسلام؛ ولها منهج في العدالة التي تعود على جميع الناس بالمنفعة، ولا موضع فيها للقهر والجور وتسلّط الأشخاص على بعضهم الآخر، ولا يسمح لأحد بالتجاوز على حقوق الآخرين، ولا وجود فيه لمظلوم لا تصل يده إلى القضاء والعدالة، فمن الطبيعي أنّ مثل هذه الظاهرة تنعكس في مختلف بقاع العالم، وتستميل إليها القلوب، وهذا يعتبر بحدّ ذاته من عوامل انتشار الإسلام.

إذاً، فالعنصر الثاني في اتّساع نطاق الإسلام هو العدالة، وهو ما تصبو إليه الجمهوريّة الإسلاميّة اليوم ...

عدالة النظام الإسلاميّ ضمان للحقوق وجاذبٌ صوب الإسلام
النظام الإسلاميّ هو نظام العدالة، ولهذا تؤكّد الآية الشريفة: ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١) إنّ الأنبياء ﷺ قد أرسلوا، والكتب السماويّة قد أنزلت بغية إقامة القسط، وليسير المجتمع بالقسط، فحينما تسود العدالة المجتمع، ويرى أصحاب الهمة والعمل والنشاط

(١) سورة "الحديد" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٥).

أنهم قادرون على ممارسة نشاطهم في المجتمع، وإذا لاحظ أبناء الشعب أن القانون وحماة القانون يتصدّون للانتهازيين والنفعيين والمتجاوزين على حقوق الآخرين، حينما يصبح المجتمع على هذا المنوال، تنجذب حينذاك أفئدة الشعوب والبلدان وجميع التائقين للعدالة في العالم، صوب الإسلام ...

الشعوب اليوم متعطشة للعدالة، وحينما تكون هناك عدالة في ظلّ حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة سوف تشرّب إليها الأعناق من جميع أرجاء العالم، وتنشّد الأنظار إلى هذه الحقيقة الباهرة، معبرة عن إعجابها بها وميلها إليها، وعند ذاك يتجسّد معنى الآية الشريفة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ...

المنطق والعدالة مفتاحا سيطرة الإسلام على العالم

أودّ أن أُبين لكم أيّها الأعزّاء أنّ هاتين الآيتين تصبّان في مجرى واحد؛ هذه الآية تقول: إنكم في ظلّ العوامل الذاتية، وهو ما لخصّته في المنطق والاستدلال من جهة، والعدالة الاجتماعيّة من جهة أخرى، ستتاح لكم السيطرة على العالم، وليس عن طريق التآمر أو عن طريق القهر، أو عن طريق الاساليب التي كان أعداء الله ﷻ يتبعونها في أماكن

أخرى، أو الأساليب التي يمارسها أعداء الجمهورية الإسلامية اليوم، بل إن ذلك متاح لكم عبر أسلوب المنطق وعبر تطبيق العدالة، وهذا هو مدلول الآية. أمّا الآية السابقة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فقد عرفت مفادها. إذاً، وبعد هذا فليصرخ الأعداء بتهديداتهم مهما استطاعوا.

ضعف كيد أعداء الإسلام وفشل دسائسهم ومؤامراتهم

إن قول الله ﷻ أن كيد الأعداء ضد الإسلام ضعيف، لا ينحصر في كيد كفار قريش على عهد الرسول ﷺ، بل يعني أيضاً جميع مؤامرات الأعداء ضد الجمهورية الإسلامية، ويعني الحصار الاقتصادي، ويعني المؤامرة الإعلامية الشاملة في كل مكان، ويعني الضغوط السياسية، ويعني الاجتماعات المتواصلة التي يعقدها الصهاينة الخبثاء مع القوى الأخرى، وجهودهم التي يبذلونها ليل نهار ضد الجمهورية الإسلامية.

والقرآن يؤكد على حقيقة مفادها: إن الشعب إذا تمسك بالإسلام والنهج الإلهي، ووحدته وتلاحمه، والحافز الذي دفعه منذ اليوم الأوّل للسير على طريق الله ﷻ والقرآن، إن تمسك بالصبر والصمود والحكمة والوعي الذي أبداه هذا الشعب، فإنه سيكون بإزاء

ذلك كله فشل المكائد والدسائس والمؤامرات والتحالفات المعادية»^(١).

وعد القرآن الكريم .. انتصار الإسلام على القيم الزائفة
«لقد وعد القرآن صراحةً بأن: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾»^(٢). لقد
قال القرآن بصيغ مختلفة أن هذه الحقيقة وهذه السلسلة من القيم
الموجودة في تاريخ البشرية ستنتصر على القيم الزائفة والقيم المضادة
كلها. وقد نص القرآن صراحةً على أن ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)؛ عاقبة
العمل ستكون للمؤمنين والمتقين.

الإسلام في مواجهة التحديات

كيف يمكن للإسلام - وهو في زاوية العزلة والانعزالية - أن
يتغلب على الأفكار الزائفة والمفروضة والقيم المضادة للقيم
والمفروضة على البشرية المظلومة؟

(١) من كلمة الإمام الخميني دام ظلّه خلال لقائه جموعاً من مجاوري وزوّار حرم الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة "مشهد المقدّسة"، بمناسبة حلول السنة الشمسيّة الجديدة، بتاريخ: ١٣٧٦/١/١ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٧/٣/٢١ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٨).

(٣) سورة "الأعراف" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢٨).

كان الإسلام موجوداً منذ سنواتٍ، ولكن ليس في مسرح
 الفعاليّات الأساسيّة في العالم. لفترةٍ طويلةٍ، كان الإسلام منزوياً في
 أنظمة الحكومات الإسلاميّة اسماً والجاهلة بالإسلام حقيقةً. على
 امتداد الممالك الواسعة في إيران والبلاد العثمانيّة والهند، والذين كانوا
 مسلمين ظاهريّاً، لم يكن الإسلام بالمعنى الحقيقيّ للكلمة موجوداً
 في نظامهم. كان الإسلام منزوياً. ثمّ بعد ذلك، منذ قرنين أو ثلاثة إلى
 الآن حدث عصر تقدّم الغرب وأوروبا، وحكمت القيم الماديّة العالم
 بأشكال مختلفة، وسقط الإسلام والمسلمون بشكلٍ كاملٍ في الغرب
 والانزواء. حتّى إنّهم كانوا يسعون إلى محو اسم الإسلام. كانوا
 يسعون حتّى إلى فصل الدول الإسلاميّة عن الإسلام ولو شكليّاً من
 خلال الأفكار العلمانيّة وغير الإسلاميّة. كان قول «بسم الله» في بداية
 الكلام يعدّ عاراً. كانت الصلاة عاراً. كان من المستحيل عيش المرء
 مسلماً بالمعنى الحقيقيّ. كانت المظاهرات الإسلاميّة شكليّة أكثر من
 كونها حقيقةً. لم يكن هناك وجودٌ لروحانيّة الإسلام وجهاد الإسلام
 وتفوّق الإسلام في مقابل الخصوم الماديّين. في تلك الظروف، كيف
 كان من الممكن أن يتحقّق عمليّاً وعد: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ﴾^(١)؟

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٨).

الإمام الخميني عليه السلام رائد نهضة الإسلام في عصر الغربة

من أجل أن يتحقق وعدُّ الله ﷻ - أي انتصار الإسلام على الكفر والإلحاد كلّ، وانتصار القيم الإلهية على جميع القيم المادية قصيرة النظر - كان على الإسلام أن يطرح نفسه في ميدان الحياة. وقد قدّر الله المتعالي أن يتحقق هذا العمل عملياً على يد أكثر عباده جدارة وأفضلهم، ولقد تحقّق.

لقد نال ذلك العبد الصالح - [الإمام الخميني عليه السلام]، ذلك الخليفة الحقّ للأنبياء وأولياء الدين عليهم السلام، ذلك الإنسان المتحرّر من الماديات في وجوده وفي حياته وفي أفكاره، ذلك الرجل المنصهر في الإسلام والفاني في الله ﷻ - هذا التوفيق، وهذا النجاح، وهذه النعمة، وهذا اللطف العظيم من الله المتعالي؛ ليكون رائد هذا الطريق والمبشّر به، واليد المقتدرة للإسلام والقرآن في عصر الغربة والانزواء هذا.

تقدّم الإسلام إلى وسط المشهد، وغدا على مستوى العالم. في البداية، لم يأخذه على محمل الجدّ، لكن بعد أن أدركوا خطره، بدأوا المؤامرات بأشدّ وجهٍ ممكن ...

في سنوات الامتحان الصعبة هذه، أنجز عملٌ جعل الإسلام الذي من المفترض أن يأتي إلى مركز مسرح الأحداث للتغلب على القيم المعادية لله ﷻ والإنسانية، يتقدّم أكثر فأكثر إلى وسط مسرح

الأحداث. قدّم نفسه على مستوى العالم، وأظهر قيمته وقوّته وعمق وجوده.

عوامل تحقّق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

اليوم، وبعد انتهاء تحالفات الغطرسة الثنائيّة في العالم، وبعد أن صارت القوى الماديّة والمتغترسة ظاهريّاً ذات اتّجاهٍ واحدٍ، تتّجه الأنظار نحو هذا البطل الذي يبلغ من العمر ألف وأربعمئة عامٍ - أي الإسلام، وحامل لوائه المجيد، شعب إيران العظيم الشأن - الذي انبعث اليوم، ونفض عن نفسه غبار الزمان، وجاء إلى وسط مسرح الأحداث، وقد أعلن مهامّه للعالم، ووقف بكلّ قوّة في مواجهة القوى الماديّة كلّها. الجميع يوجّه انتباهه إليكم، سواءً القوى العالميّة الغازية والمفترسة للعالم، أو مظلومو العالم، أو أولئك الذين ينتظرون على مسرح الأحداث ليروا إلى أيّ طرفٍ ستميل الكفّة. الشعب الفلسطينيّ اليوم يتطلّع إليكم، الشعوب المظلومة والمفكّرون المسلمون يتطلّعون إليكم، حتّى أولئك الذين لم يعرفوا الإسلام، ففي قلوبهم شعاع أملٍ من طرفكم. إنّ هذه الحالة يجب أن تكون بمثابة منصّة لينطلق منها الشّعب الإيرانيّ المسلم، ومن خلفه بقيّة الشّعوب تجاه تحقّق

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١). هذا عملٌ عظيمٌ. يتطلب هذا العمل قوة الإيمان، وقوة الإرادة، والتوكل على الله ﷻ، والجهوزية الروحية والمادية^(٢).

رسالة الثورة الإسلامية إلى الأمة الإسلامية

«إنّ الرسالة الكبرى للثورة الإسلامية إلى الأمة الإسلامية هي الحفاظ على الهوية الإسلامية والعودة إلى الإسلام ورفد الصحوة الإسلامية. وقد أدّت الثورة هذه الرسالة بجميع مفرداتها ببركة القيادة الربّانية للإمام الخمينيؑ، فهو الذي اختطّ هذه المسيرة، وهو المعلم الأوّل والمرشد الأكبر. فلقد استطاع الأعداء قبل الثورة أن يسلخوا المسلمين عن هويّتهم الإسلامية وأن يبعدهم عن تراثهم ودينهم، فكان المسلم يخجل من قول: "أنا مسلم"، كما عملت الحكومات والدول غير الإسلامية والدول المناهضة للإسلام على خلق أجواء وظروف خاصّة جعلت جيل الشباب يجهلون الإسلام ويعتبرونه ديناً يخصّ الأجيال السابقة فقط، فلا يعدو أن يكون تراثاً ليس أكثر، فكانوا يقولون: إنّ الإسلام قد مات وانتهى دوره.

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٨).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه بعد زيارة مقرّ قيادة القوة البريّة لحرس الثورة الإسلامية،

بتاريخ: ١٣٧٠/٧/٢٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٦/١٠/١٩٩١ م.

وفي الدول التي يُصطلح عليها بـ "المتحضرة" أيضاً، لا يجرأ المسلمون على التصريح بهويّتهم الإسلامية؛ بسبب الأجواء والظروف المشحونة بالعداء للإسلام التي يعيشونها هناك، فتراهم إما أن يتركوا الإسلام بالمرّة، أو أنّهم يعملون خفية بتعاليم الإسلام وأوامره.

وأما الدول الإسلاميّة فهي الأخرى لم تكن بأحسن حال من غيرها. ففي إحدى المؤتمرات العالميّة كان رئيس إحدى البلدان الإسلاميّة يخجل من أن يبدأ كلمته بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»! إنهم يعدّون ذلك عيباً ورجعيّة، ويستحون من الإسلام ومن المظاهر الإسلاميّة، كلّ هذه الأمور إنّما حدثت بفعل المستكبرين الذين كانوا قد تلقّوا صفةً قويّة من الإسلام في بدايات وأواسط عهد الإستعمار، ولذلك أخذوا يثّون روح التهاون واللامبالاة والإهمال بين الناس تجاه الإسلام، وفي إيران أيضاً كان الوضع على هذا المنوال.

من منكم كان يجرأ - آنذاك - أن يقيم صلاة الجماعة خارج المساجد؟ ومن يصليّ في المطار كان يواجه بالسخرية والإستهزاء، وكذا الحال لمن يريد أن يصليّ في إحدى ساحات المدينة أو يريد أن يؤدّن هناك، فإنّه يواجه بالسخرية أيضاً.

لقد حظروا على الناس آنذاك الإسلام، جعلوا الإسلام ضمن قائمة المحظورات التي لا يجوز تداولها، وفي بعض البلدان كان الأمر

بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين أسوأ بكثير ممّا هو عليه في إيران. إنّ الرسالة الكبرى التي حملتها ثورتنا، هي إحياء الهوية الإسلاميّة للشعوب المسلمة، واليوم فإنّ المسلمين في كلّ من أوروبا وآسيا وأمريكا يفتخرون بانتمائهم إلى الإسلام وبحملهم الهوية الإسلاميّة. ففي قلب أوروبا تعلن بنت محجّبة في المرحلة الابتدائيّة عن اعتزازها بهويّتها الإسلاميّة وعن فخرها لكونها مسلمة، وتعلن عن إصرارها على دخول المدرسة بحجابها الإسلاميّ.

وفي قلب أوروبا أيضاً تطالعنا قصّة صمود واستقامة شعب البوسنة والهرسك، ذلك الشعب الذي ظلّ وفياً لدينه وإسلامه رغم كلّ الضغوط التي يلاقيها، وها هو الآن يدفع - غالباً - ضريبة إسلامه ولكن بكلّ إصرار وعزم وثبات.

اليوم نرى أنّ رؤساء الدول الإسلاميّة أخذوا يتظاهرون بالإسلام؛ نتيجة الإقبال الشديد لشعوبهم على الإسلام، فهم مضطرونّ للتظاهر بالإسلام والتشدد به.

وإنّنا اليوم نجد أيضاً رؤساء الدول الاستكباريّة ومن أجل كسب ودّ المسلمين يقولون: "نحن لسنا في خلاف مع الإسلام، بل نحن نتفق مع الإسلام". وبالطّبع لا يخفى كذبهم على أحد.

إنّ السبب في تظاهرهم بالتودّد إلى الإسلام، يعود إلى أنّ

الإسلام في الوقت الراهن بدأ حياةً جديدةً كلّها اقتدار وعظمة وعزّة، ولأنّ الحركات الإسلاميّة في تنامٍ مطّردٍ، ولأنّ الفكر الإسلاميّ في الدول الإسلاميّة أخذ يتطوّر، حتّى يتحقّق قوله ﷺ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) إن شاء الله ﷻ، وحينئذٍ ستحبط كلّ الخطط والمؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام وسيكون مصيرهم الفشل والخسران»^(٢).

النصر موقوفٌ على الجهاد والصبر والصمود

«طبعاً لا يمكن الانتصار من دون جهاد وتحركٍ وتقبّل للأخطار. لم يعد الله ﷻ أحداً بالنصر من دون تحركٍ. ولا يكفي لذلك مجرد أن يكون المرء مؤمناً متديّناً، بل لا بدّ من الجهاد والصبر، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا﴾^(٣)، هذا كلام الأنبياء ﷺ لمعارضيههم.

إنّنا نصمد ونقاوم، لقد صمد الأنبياء والرسل ﷺ، ومنطق الأنبياء ﷺ اليوم رغم كلّ ما تعرّضوا له من القمع هو المنطق الشائع في العالم. لقد انتشر كلام الأنبياء ﷺ ولم ينتشر منطق الفراعنة. وهذه

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٨).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال إحياء الذكرى السنويّة السادسة لرحيل الإمام الخميني رحمه الله، بتاريخ: ١٣٧٤/٣/١٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٥/٦/٤ م.

(٣) سورة "إبراهيم" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢).

المسيرة وهذه التوجّهات سوف تزداد يوماً بعد يوم. لا بدّ من الصبر والصمود ...

الدرس الذي استلهمناه من القرآن ومن الإسلام هو درس الصمود والجهاد والوحدة والاتّحاد. اتّحاد القلوب والأيدي ... سبيل الغلبة على الأعداء هو التفكير والاتّحاد وتقريب القلوب وتعاضد الأيدي. وبهذه الطريقة يتحقّق قوله ﷺ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)، وينصر الله ﷻ بفضلِهِ ولطفِهِ أهداف البعثة ودرساتها وبرامجها على كلّ مؤامرات الأعداء^(٢).

تعلّق الإرادة الإلهيّة بإظهار الإسلام رغم التآمر والتحدّيات

«هناك كثيرٌ من السعي والتآمر ضدّ هذه الحادثة [تحقّق الإسلام] في كلّ مكانٍ في العالم. ولم ينقص منذ البداية حتّى الآن أيضاً، لكن لم يكن له تأثيرٌ منذ البداية حتّى الآن. نحن ندرك جيّداً أنّ هناك يداً تدفع الإسلام للارتقاء. العدوّ يلطم بشدّةٍ على رأسه، لكنّه لا يستطيع فعل أيّ شيءٍ.

كان شعارنا «لا شرقيّة لا غربيّة» في البداية موجّهاً إلينا نحن

(١) سورة «الفتح» المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٨).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلاميّة، بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٩١/٣/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٢/٦/١٨ م.

أنفسنا - أي الثورة وخط الإسلام الصحيح - . ولكن الآن يُلاحظ كأن هذا الشعار يتحقق في العالم. أي إنه تحقق جزء «لا شرقية»؛ الشرق غير موجود، لقد ذهب. الآن أين هو الشرق لنقول «لا شرقية لا غربية»؟ الغرب كذلك، لكن دوره سيأتي متأخراً قليلاً. لا أشك في أن العالم الغربي وامبراطورية الغطرسة العظيمة هذه سوف تندثر. لكن هل سأكون أنا أو أنتم أو هؤلاء الأشخاص من يستطيع أن يحل الإسلام الخالص محلها أم لا؟ لا أعلم هذا، لكن فيما يرتبط بإرادة الله ﷻ إظهار كلمته: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) فأنا لا أشك في هذا ...

القوى الماديّة كلّها في العالم احتشدت حتى استطاعت على مدى عشرات السنين أن تقود البشريّة إلى فقدان الإيمان، ولكن فجأةً سقط كل شيء! لا يمكن لهذا أن يكون ناشئاً من قوّة عاديّة وطبيعيّة؛ هذه هي الإرادة الإلهيّة. هذا هو ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذاتها.

ها هو الاتحاد السوفياتي؛ لاحظوا! على امتداد سبعين عاماً في القوقاز^(٢) لم يُذكر اسم الإسلام. كان لدينا علماء من يريفان، وناختشيفان، وباكو، ولنكران، وغيرها، كانوا أصدقاء لنا، أصدقاء

(١) سورة «الفتح» المباركة، جزء من الآية: (٢٨).

(٢) الجزء الجنوبي من بلاد القوقاز والذي يشمل ثلاث جمهوريات: أذربيجان وجورجيا وأرمينيا.

والذي، كنّا نعرف أشخاصاً إمّا هم أنفسهم وإمّا عائلاتهم كانوا قد هربوا خوفاً على حياتهم في عهد لينين وستالين. وقتل كثيرٌ من أمثالهم هناك. اليوم أنتم ترون أنّ الإسلام قد رفع رأسه بهذه العظمة وبهذا الوضوح. إنني أرى حقاً يد قوة إلهية ترسخ الإسلام في العالم، ونحمد الله ﷻ على أنه عرفنا ذلك»^(١).

انتصار الثورة الإسلامية خروجٌ للإسلام من غربته ومظلوميته

«لا شكّ في أنّ العالم صار عالماً آخر. ذاك اليوم الذي انتصرت فيه هذه الثورة، لم يكن وضع الإسلام في العالم بالنحو الذي هو عليه اليوم. كان مختلفاً جداً. ذاك اليوم الذي بدأت فيه هذه النهضة لم يكن وضع الإسلام والدين والتدين حتّى داخل هذا البلد بهذا النحو الذي تشاهدونه اليوم. كان الدين غريباً ومظلوماً ومنزويّاً. كانوا يتبرأون من الدين. حتّى المتدينون كانوا يخجلون من التدين. حال الثقافة غير الدينية - بل المخالفة للدين - كان قد وصل إلى حدّ صار أكبر مدح ديني لشابّ ما، أن تقول فيه: إنّ الشابّ الفلاني يصلّي. كلّ شيء كان يسير نحو الابتعاد عن الإسلام والابتعاد عن الله ﷻ. كانت

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام الله خلال لقائه الشيخ سعيد شعبان، أمير حركة التوحيد الإسلامي

في لبنان، بتاريخ: ١٣٦٨/١١/١١ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٠/١/٣١ م.

هذه البلاد ملوثة بالمعصية من بابها إلى محرابها. بعض المظاهر كانت محفوظة. ولكن لم يكن هناك أثر لبواطن الدين، لروح الدين، لحركة عامة نحو أهداف الدين. وقد كان هذا في إيران التي كان شعبها واحداً من أكثر الشعوب المسلمة تديناً في مختلف البلاد. في بعض البلاد الإسلامية الأخرى، كان الوضع كما هنا. وفي بعض البلاد كان الوضع أكثر سوءاً. مسؤولو البلاد الإسلامية كانوا ينسون أنهم مسلمون. في المحافل الإسلامية السياسية والرمزية، الشيء الذي لم يكن ليخطر على بال أحد قط، هو حصول حركة ومظاهرة إسلامية، أو أن يجري الوقوف في وجه مظاهرة معادية للإسلام. أصلاً، لم يكن هناك شيء مطروحاً باسم الإسلام»^(١).

رأية التوحيد والإسلام والإيمان أمل جميع المستضعفين

«لقد أوفى الله ﷻ بوعده الإلهي الأول لأننا نصرناه، لكن لا يزال الوعد الثاني باقياً. الوعد الثاني هو هذا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾»^(٢).

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من علماء الدين، بتاريخ: ١٣٧٠/١٢/١ هـ/ش،

الموافق لـ ١٩٩٢/٢/٢٠ م.

(٢) سورة «الأنبياء» المباركة، الآية: (١٠٥).

عِبَادِهِ»^(١). وفي آيةٍ أخرى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(٢)، أي يجب أن تهتزَّ في جميع أنحاء العالم رايةُ التوحيد والإسلام والإيمان، رايةُ الصمود في وجه الظلم والجور الذي يصدر من أيِّ شخص ومن أيِّ مكان في العالم، رايةُ استقلال الشعوب في وجه قوى العالم المستبدَّة، بمثابة أنها محور أمل جميع مستضعفي العالم. لقد عقدت الشعوب الآمال واستيقظت.

إنَّ المسلمين يفتخرون اليوم بإسلامهم ويشعرون بالعزة. إنَّ خشية مستبدي العالم وأقويائه اليوم هي فقط من الإسلام والقرآن والمسلمين الحقيقيين. واليوم فإنَّ خوف الرجعيين وأتباع الإسلام الأميركيِّ وحاملي رايته، هو من الإسلام المحمَّديِّ الأصيل.

لقد أدرك الجميع وعلموا أنَّ الإسلام قام وبدأ يتحرَّك، وأنَّ فتح ذراعيه وهو يهب المسلمين الأمل والمستضعفين البشارة، وسيتحقِّق هذا الوعد الثاني أيضاً إذا ما زالت المشاكل التي أحدثتها هيمنة القوى العظمى»^(٣).

(١) سورة "الأعراف" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢٨).

(٢) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٣).

(٣) من كلمة الإمام الخامني دام الله خلال لقائه جمعاً من الأسرى المحرَّرين، بتاريخ: ١٣٦٩/٦/٢٦

ه/ش، الموافق لـ ١٣٩٠/٩/١٧م.

الطريق إلى تحقيق وعد الله ﷻ

«لا يزال بيننا وبين ذاك المشهد العظيم الذي يظهر من انتشار الفكر الإسلامي والذي قام الله ﷻ بتبيينه في الآيات القرآنية - كما في قوله ﷻ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾»^(١) - فاصلة كبيرة. الطريق هو هذا الطريق، طريق الجهاد، طريق السعي، طريق العلم والعمل، طريق الإخلاص، طريق الطهارة، طريق الذكر والتوجه إلى الله ﷻ، طريق التوسل بأهل البيت عليه السلام، طريق الحفاظ على التراث والقيم الإسلامية الحية، لا في القلوب والأذهان فحسب، بل في العمل أيضاً. هذه الأمور هي التي ستوصلنا إلى النتائج»^(٢).

﴿وَلَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

«عندما رمت أم موسى ولدها في اليم، وعدها الله ﷻ قائلاً: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾»^(٣)، وبمدة قصيرة رجع إلى أمه حيث يقول ﷻ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَ

(١) سورة "التوبة" المباركة، جزء من الآية: (٣٣).

(٢) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من علماء الدين، بتاريخ: ١٣٧٠/١٢/١ هـ/ش،

الموافق لـ ١٩٩٢/٢/٢٠ م.

(٣) سورة "القصص" المباركة، جزء من الآية: (٧).

أَنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ^(١). لقد وعدناها بأمرين وهذا أولهما، فيا أم موسى! اعلمي أن الوعد الثاني حق: فسوف يكون نبياً مُرسلاً يقضي على سلطان فرعون. فنَقَدَ اللهُ ﷻ أم موسى قِسْماً من الوعد لتستيقن بما تأجل منه ... هذا بدوره يشير إلى أن تعلموا أن وعد الله ﷻ الذي قال عنه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٢) متحقق؛ فالله ﷻ سينصر هذا الدين وهذه الرسالة على جميع التتاجات الفكرية والدينية في العالم، والله ﷻ يفي بوعدِهِ؛ وشرطه فقط أن لا تضعف أقدامنا ولا تتشتت حواسنا أنا وأنتم في هذا الطريق، طريق المجاهدين السائرين في هذا التحرك، وفي هذا العصر الحديث^(٣).



(١) سورة "التقصص" المباركة، جزء من الآية: (١٣).

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٨).

(٣) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال مراسم تخرج دفعة من طلبة جامعة الإمام الحسين عليه السلام لضباط وكوادر حرس الثورة الإسلامية، بتاريخ: ١٣٩٠/٣/١٠ هـ/ش، الموافق

في رحاب الآية: (٢٩)

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوْقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِثَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)



«نجد في القرآن الكريم [قوله ﷺ]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١)، ونجد: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢)، وكذلك: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)، إلى قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾^(٤)، وأيضاً: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٥). أي أن القرآن نفسه هو مزيج من الدين والتعاليم الإلهية، والملاحم العظيمة، ... إضافةً إلى أنه يشير إلى المودة والمحبة وغيرها من القيم، ويصورها لمخاطبيه»^(٦).

«واليوم نحن بحاجة إلى القرآن. والعمل بالقرآن هو الطريق الصحيح لحياة المجتمعات الإسلامية، والأمة الإسلامية. يقول النبي ﷺ في إحدى الروايات: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ»^(٧)، والنص القرآني يقول: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٨). حبلُ الله ﷻ هذا هو نفسه القرآن.

(١) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (١٦٥).

(٢) سورة المائدة المباركة، جزء من الآية: (٥٤).

(٣) سورة النساء المباركة، جزء من الآية: (٧٤).

(٤) سورة النساء المباركة، جزء من الآية: (٧٦).

(٥) سورة الفتح المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

(٦) من كلمة الإمام الخميني دام ظلّه خلال لقائه القيّمين على المؤتمر الوطني لإحياء ذكرى ١٥ ألف

شهيد من محافظة فارس، بتاريخ: ١٤٠٣/٨/٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٣/١٠/٢٠٢٤ م.

(٧) وسائل الشيعة، للحرّ العاملي (رحمته الله)، بابٌ وَجُوبِ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ كِفَايَةً وَاسْتِحْبَابِهِ عَيْنًا،

ج ٦، ص ١٦٨، ح ١٣.

(٨) سورة آل عمران المباركة، جزء من الآية: (١٠٣).

بعض خصوصيات القرآن الكريم

«وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ»؛ ما هي خصوصية النور؟ النور ينير الأجواء، ويرشد الإنسان إلى الطريق، فيكتسب الإنسان به القدرة على الإبصار، ويكتسب البصيرة. إذا لم يكن النور، فلن تعمل العيون، ولن يكون هناك فائدة منها؛ لأنها لن ترى شيئاً. إنَّ لنا عقلاً، ولدينا قدرات متنوّعة، ولدينا قدرة فكريّة، ولكن، لولا النور، فإنَّ هذه القدرات لن يكون بإمكانها مساعدتنا، فالنور ضروريّ. وهذا النور هو القرآن.

«وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ»؛ نحن مرضى، ونعاني من أمراض. لاحظوا تخلف البلدان الإسلاميّة، ولاحظوا تسلُّط الكفار على كثير من البلدان الإسلاميّة. أتّ يقف الرئيس الأمريكي هناك، ويقول بكلّ وقاحة: لولانا لن تستطيع هذه البلدان العربيّة أن تحافظ على نفسها حتّى لأسبوع واحد! فهذا إذلال للمسلمين، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ هذا مرض، فمرض الذلّة هذا أسوأ من كلّ الأمراض.

هذه ذلّة؛ وسببها عدم التمسك بالقرآن، ولأننا فقدنا هذا الشفاء وهذا العلاج. «عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ»^(١)، هذا واقع، هذا هو القرآن. ونحن اليوم بحاجة إلى القرآن. نحتاج القرآن،

(١) وسائل الشيعة، للحرّ العاملي رحمته الله، بابُ وُجُوبِ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ كِفَايَةً وَاسْتِحْبَابِهِ عَيْنًا،

سواء في حياتنا الشخصية، أو في حياتنا الاجتماعية، أو في سياستنا، أو في سلوكنا الحكومي. القرآن يعطينا الدروس ...

خصوصيات المؤمن في سورة "الفتح" المباركة

[يقول ﷺ]: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾^(١)، هذه هي خصوصيات المؤمن، والقرآن يقول: يجب أن تكونوا هكذا. أولها: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، الوقوف بصلابة أمام الكفار، فلا تكونوا كالسواتر الناعمة الهشة، التي يمكن التغلغل فيها، بل قفوا مقابل الكفار كسدّ منيع. على المسلمين أن يقفوا بوجه الاستكبار، على المسلمين أن يقفوا بوجه غطرسة أمريكا وباقي مستكبري العالم، فما لم يراعوا هذه الأمور، ولم يلتفتوا إلى هذه الحدود، سوف يتلون بالذلّ والفساد والتخلف، وهذا الذي يحصل لهم اليوم وللأسف.

تبين مفهوم الولاية بين المؤمنين والكافرين

ويقول الله ﷻ في الآيات الأخيرة من سورة "الأنفال" المباركة،

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

حين يتحدث عن الولاية بين المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)، هذا فيما يخص المؤمنين، ويقول عن الكفار في الآية التالية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢)، فالمؤمنون أولياء بعضهم بعضاً، وتجمعهم علاقات ولائية، والكافرون أيضاً توجد فيما بينهم علاقات ولائية. إذاً، فهذا تكليفٌ بصيغة الإخبار، لكنه، في الواقع، إنشاء [تكليف وتوجيه]، ومعناه أنّ المؤمن يجب أن تكون له علاقة ولاية مع المؤمن، وليكن من أي مكانٍ من العالم الإسلامي. هذه هي الوحدة التي نتحدث عنها.

وفي المقابل، وفي الجبهة المقابلة، يجب أن لا يرتبط المؤمن بالجبهة المعادية وبالكفار، وأن لا يتولّى أحداً منهم. ولاية الكفار تسبّب البؤس والتعاسة للمسلمين. مثل هذه الولاية التي تشاهدونها اليوم، حيث راحت بعض البلدان تتبادل مع الكيان الصهيوني كلمات الودّ والعلاقات المتنوعة السياسية والاقتصادية وغير ذلك.

ثم يقول ﷺ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٣): ما لم تتحقق هذه الولاية بين المؤمنين، وما لم تنقطع الولاية بين

(١) سورة "الأنفال" المباركة، جزء من الآية: (٧٢).

(٢) سورة "الأنفال" المباركة، جزء من الآية: (٧٣).

(٣) الآية السابقة، نفسها.

المؤمنين والكافرين، فسيكون في ذلك فتنةٌ وفسادٌ كبيرٌ في الأرض، وقد حصل هذا في الوقت الحالي.

دعوة للعودة إلى الولاية والعمل بالقرآن

ثمة، في منطقتنا الإسلامية اليوم، حربٌ، ثمة حربٌ داخلية، وهناك سفك دماء، وضغوط كثيرة. تَشُنُّ حكوماتٌ عديمة العقل ومتخلفةٌ في بعض البلدان حرباً ضدَّ بلدانٍ أخرى، وترتكب الجرائم. لاحظوا آية مصيبة يعاني منها الشعب اليمني اليوم! تبدل أعراسهم إلى عزاء، تقصفهم، وتقتل الناس في الأزقة والأسواق والمساجد وما شاكل. والأوضاع ذاتها تجري في أفغانستان بطريقة، وفي باكستان بطريقة، وفي سوريا بطريقة أخرى. ومردُّ هذا هو أننا نحن المسلمين قد نسينا الولاية بين المؤمنين؛ أي إننا لا نعمل بالقرآن. هذا نتيجة عدم العمل بالقرآن. لو عملنا بالقرآن، لاكتسبنا العزة. هذا هو السبيل الذي يحقق للمسلمين السعادة...

إذا تعاملتم مع القرآن بهذه النظرة، وبهذا الشعور، سيكون غدُّ العالم الإسلامي أفضلَ من يومه بكثير، ولن تتجرأ أمريكا بعد على تهديد البلدان الإسلامية والأمة الإسلامية، والهيمنة عليها بهذا الشكل. إذا اعتمدنا على القرآن، وتعلَّمنا منه، وتمسَّكنا به، لكان هذا تمسُّكاً

بحبل الله ﷻ، والتمسك بحبل الله ﷻ من شأنه أن يجعل الإنسان يقف بقوة وثبات. عندما تمرّون بمسار معيّن، ولديكم عروة تمسكون بها بقوة، فسيزول خطر السقوط. هذا هو حبل الله ﷻ الذي إن تمسكتم به، زال خطر السقوط»^(١).

لازمة الولاية والتوحيد: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

«الولاية تعني الاتصال والارتباط الدقيق والمستحكم للذين لا يقبلان الانفصال والانفكاك. وعندما يتضمّن المجتمع الإسلاميّ الولاية، هذا يعني أنّ أجزاءه جميعها تكون متّصلة بعضها مع بعض الآخر ومتّصلة بمحور ذلك المجتمع ومركزه، أي الولي. إنّ لازمة هذا الارتباط والاتّصال هي أنّ المجتمع الإسلاميّ يكون في داخله متّحداً ومؤتلفاً ومتّصلاً في ما بينه، وفي الخارج كذلك يستقطب الأجزاء التي تساعد، ويدفع بشدّة ويعارض الأجزاء التي تعاديه، أي إنّ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ هي لازمة الولاية وتوحيد المجتمع الإسلاميّ»^(٢).

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في المسابقات الدوليّة لقراءة وحفظ وتفسير القرآن الكريم، بتاريخ: ١٣٩٧/٢/٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٤/٢٦ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مجموعة من طلاب الجامعات وطلبة العلوم الدينيّة، بتاريخ: ١٣٦٨/٩/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٨٩/١٢/٢٠ م.

معايير الولاء والعداء في القرآن

«لقد أعطانا القرآن معياراً. يقول القرآن: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾. حديثنا عن هذا الأمر. ولذلك علامة: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾.»

فإذا رأيتم أن الطريق الذي نسلكه هو طريق يسعد الكفار، فاعلموا أنكم لستم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، ما يعني أنكم لستم مع رسول الله ﷺ.

أما إذا رأيتم أنه العكس، والطريق الذي تسلكونه يزعج الاستكبار والحكومات القاهرة والمعادية للدين والإسلام ويغضبها، فهذا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. هذا هو المعيار.

يجب أن نكون حذرين، وأن نعرف ما نفعله وما نقوله، وأن ما نقوله ينبغي ألا يكون متوازياً مع خطة العدو وألا يتمم مخطّطه.

قد يغفل شخص ما في بعض الأحيان ويفعل حركة ما أو يقول كلمة تكمل مخطّط العدو. هذا خطر. يجب الحرص على تجنب ذلك. إذا كنّا حذرين، فلن يتمكن العدو من ارتكاب أيّ حماقة ولا فعل أيّ شيء»^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامني دام الله خلال لقائه جمعاً من أهالي محافظة سيستان وبلوشستان ومحافظة خراسان الجنوبية، بتاريخ: ١٤٠٢/٦/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٣/٩/١١ م.

علامات المجتمع الإسلامي وأركان قيام الأمة الإسلامية

«اعتبر القرآن الكريم الاصطفاف المقتدر حيال الأعداء، والعطف والموودة بين المؤمنين، والعبودية والخشوع لله ﷻ ثلاث علامات للمجتمع الإسلامي: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(١). هذه ثلاثة أركان رئيسية لقيام صرح الأمة الإسلامية الشامخ العظيم.

كل واحد من المسلمين يمكنه في ضوء هذه الحقيقة معرفة الآفات الحالية التي يعاني منها العالم الإسلامي معرفة حقيقية.

الركن الأول: اقتدار الأمة الإسلامية

العدو الغدار للأمة الإسلامية اليوم هم مدراء المراكز الاستكبارية والقوى الطامعة المعتدية ممن يرون الصحة الإسلامية تهديداً كبيراً لمصالحهم غير المشروعة وهيمنتهم الظالمة على العالم الإسلامي. على جميع الشعوب المسلمة وفي طليعتها الساسة وعلماء الدين والمستنثرون والقادة الوطنيون تأليف الصف الإسلامي المتحد بمزيد من القوة والمتانة إزاء هذا العدو المتطاول. لا بد لهم من تجميع كافة

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

عناصر القوة لديهم وجعل الأمة الإسلامية أمة مقتدرة بحق. العلم والمعرفة، والتدبير، واليقظة، والشعور بالمسؤولية والالتزام، والتوكل والأمل بالوعد الإلهي، وغض الطرف عن الرغبات التافهة في مقابل الفوز برضا الله ﷻ، والعمل بالواجب ... هذه هي العناصر الرئيسة لاقتدار الأمة الإسلامية والتي يمكن أن تبلغ بها العزة والاستقلال والتقدم المادي والمعنوي، وتفشل الأعداء في توسعهم وتطاولهم على البلدان الإسلامية.

الركن الثاني: المودة بين المؤمنين

المودة بين المؤمنين هي الركن الثاني والعلامة الأخرى لوضع الأمة الإسلامية المنشود.

التفرقة والصراع بين مكونات الأمة الإسلامية مرضٌ خطيرٌ ينبغي معالجته بكل ما لنا من قوة. فلقد بذل أعداؤنا منذ القدم جهوداً واسعة وغير منقطعة في هذا المضمار، واليوم حيث أفزعتهم الصحوة الإسلامية، ضاعفوا من جهودهم ومساعيهم. وكل ما يقوله المخلصون في هذا الباب هو أن الاختلافات والتباينات يجب أن لا تتحوّل إلى صدام وتضاد، والتعددية يجب أن لا تفضي إلى الصراع ...

لقد فعلت المؤامرات فعلها في لبنان، والعراق، وباكستان، وأفغانستان، فثار شطرٌ من الشعب في بلد مسلم لحرب وصراع شطر آخر منه وسفكوا دماء بعضهم. وكانت مؤشرات التآمر واضحة في جميع هذه الأحداث المريعة الكارثية، واستطاعت الأعين الحاذقة مشاهدة أيدي الأعداء فيها. والأمر القرآني: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني استئصال هذه الصراعات والخصومات ...

لزوم مواجهة الفكر المتطرّف الخادم للكفّار والظالمين

ثمّة اليوم أناس ينعتون بسفهمهم وقصر نظرهم جماعةً كبرى من المسلمين بأنهم مشركون، بل ويبيحون دماءهم. هؤلاء يعملون لخدمة الشرك والكفر والاستكبار علموا بذلك أم لم يعلموا. فما أكثر الذين وصموا احترام ضريح الرسول الأعظم ﷺ، وأولياء الله وأئمّة الدين ﷺ - وهو تكريم للدين والتدين - وصموه بأنه شرك وكفر، لكنهم أنفسهم انخرطوا في خدمة الكفّار والظالمين وأعانوهم على أهدافهم الشريرة. وعلى العلماء الحقيقيين والمتقّفين الملتزمين والقادة الصادقين محاربة مثل هذه الظواهر الخطيرة. فالوحدة والانسجام الإسلاميّ اليوم فريضة حتمية يمكن طيّ سبلها العملية بتعاون العقلاء والمخلصين.

الركن الثالث: الخشوع والتعبد للخالق العظيم ﷻ

ركنا العزة هذان، وأعني بهما الاصطفاف والمجابهة المقتدرة حيال الاستكبار من جهة، والتراحم والتقارب والأخوة بين المسلمين من جهة ثانية، إذا اجتمعا مع الركن الثالث وهو الخشوع والتعبد للخالق العظيم، سوف تتقدم الأمة الإسلامية باطراد في الطريق الذي ارتقى بمسلمي صدر الإسلام إلى ذروة العظمة والعزة، وستنجو الشعوب المسلمة من التخلف والهوان الذي فرض عليها في القرون الأخيرة. طلائع هذه الحركة الكبرى قد انطلقت، وأمواج الصحو قد هدرت في كل أرجاء العالم الإسلامي بنسب متفاوتة ... والمستقبل للأمة الإسلامية، وبوسع كل واحدٍ منا تقريب هذا المستقبل بحسب إسهامه وقدراته وإمكاناته ومسؤوليته»^(١).

كنوز قرآنية ينبغي معرفتها والعمل بها

١- الصلابة في مواجهة الأعداء والمغرضين

«من الكنوز المهمة جداً التي لا تحظى بالاهتمام - للأسف - الصلابة في مواجهة المغرضين وقطع إمكانية اختراقهم. إحدى

(١) من نداء الإمام الخامني دام ظلّه الذي وجهه إلى حجاج بيت الله الحرام لموسم حجّ عام

١٤٢٨هـ بتاريخ: ١٣٨٦/٩/٢٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٧/١٢/١٨ م.

الضربات التي تصيب المجتمعات البشرية هي التي تأتي من تغلغل الأعداء، وقد ورد هذا الأمر في آية: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾.

«أشداء» لا تعني الشدة في العمل؛ معنى «أشداء» ليس الشدة في العمل كما نعبر بالفارسية، بل تعني الصلابة والمتانة ومنع إمكانية الاختراق. هذا ما تعنيه «أشداء».

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، أي لا تسمحوا لهم باختراقكم. معنى تغلغل العدو هو تغلغل الأجنبي والمُغْرَض، إذ لا تملكون إرادة من أنفسكم، فيأتي ويستولي على مجتمعكم، كالإنسان الفاقد الوعي الذي يحقنونه بما يحلو لهم. أنتم قادرون بإرادتكم على أن تكون لديكم علاقات جيّدة ومنظمة ومنطقية وعقلانية، وهذا هو الجيد.

٢- الرأفة والمحبة والرحمة بين المؤمنين

أو الرأفة والمحبة والصفاء والألفة بين أفراد المجتمع. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، هذه أيضاً من تلك الكنوز نفسها، أي أن تكون الحياة في المجتمع مصحوبة بالرحمة والمروءة وأمثال هذه الأمور.

٣- اجتناب طواغيت العالم وأشراره

أو أن يجتنب الإنسان طغاة العالم وأشراره ولا يتماشى معهم؛

﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١)، وقد جرى في القرآن تعليمنا اجتناب الطاغوت. هذه واحدة من تلك الكنوز التي يمكن الاستفادة منها دائماً وتسيير الحياة بأسلوب صحيح.

٤- التحرّر من أغلال الجهل والتعصّب والجمود

أو التحرّر من أغلال الجهل والتعصّب والجمود والتوقّف وأمثال هذه الأمور؛ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢). هناك آلاف الكنوز الثمينة من هذا القبيل في القرآن الكريم، وهي في البعثة والإسلام، وهذا ما جاءتنا به البعثة ومنحتنا إيّاه. بعضنا - نحن المسلمين - لا يعرفون هذه الكنوز أصلاً، وبعضنا ينكرون هذه الهدايا الإلهية العظيمة ويكفرون بها، وبعضنا يفاخرون بها لكن دون أن يعمل بها. الحال كذلك.

ماذا تكون النتيجة؟

النتيجة: أنّ يصاب العالم الإسلامي بالفرقة والتراجع والضعف على المستويين العلميّ والعملّي. هكذا تكون النتيجة...
الحلّ لهذه المشكلات كلّها: يكمن في العودة إلى الإسلام

(١) سورة النحل "المباركة، جزء من الآية: (٣٦).

(٢) سورة الأعراف "المباركة، جزء من الآية: (١٥٧).

وأتحد الشعوب المسلمة وتعاطفها مع بعضها بعضاً والتعاون بين الحكومات الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة، لا أن يتعاونوا ويتعاطفوا صورياً بل بالمعنى الحقيقي للكلمة»^(١).

التفاوت بين التوجه إلى القيم والشدة والعنف

«فيما يتعلق بشأن التوجه إلى القيم، أعرض باختصار لنقطة أو نقطتين: لا ينبغي أن يشبه علينا الأمر بين التوجه إلى القيم وبين الشدة والعنف. فلا ينبغي أن نتصور أن كل من كان ذا نزعة قيمية ينبغي أن يكون أكثر حدةً وشجراً».

كلّا، من الممكن أن يكون شديد التمسك والتقيّد بالقيم والأصول، في حين أنه ليس شديداً وعنيفاً.

في الآية الشريفة يقول ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(٢)، و"أشداء" جمع شديد، والشديد هو الصلب الذي لا يمكن أن يُنفذ إليه، فكل جسم يكون شديداً إذا احتكّ بجسم آخر، فإنه ينفذ فيه ويؤثر فيه دون أن يتأثر، فلنكن جميعاً كذلك أشداء. لكن الشدة والتأثير ليسا بالضرورة بمعنى المشاجرة والحدة والشدة...

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه كبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية،

بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٤٠١/١١/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٣/٢/١٨ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

التوجّه إلى القيم، ليس بمعنى أن يكون الأمر في جميع المجالات عبارة عن التشتت، والعنف، وعدم الالتفات إلى الوقائع الضرورية والمصالح المطلوبة، وقد أصبحت "المصلحة" لفظاً مبعوضاً. [سيقال]: "أيّها السيّد! ها هم ينزعون إلى المصلحة!" حسناً، في الأساس يجب ملاحظة المصلحة، فلا ينبغي أن يُقال في أيّ وقتٍ من الأوقات إنّ الحقيقة تتنافى مع المصلحة دوماً، كلّاً، إنّ الحقيقة نفسها هي من المصالح، والمصلحة نفسها هي من الحقائق أيضاً، فيجب رعايتها، فلماذا لا ينبغي ذلك؟ يجب النظر إلى المصالح ...

يجب الالتفات إلى معنى التوجّه نحو القيم وعمقه. وباختصار: إنّ التوجّه إلى القيم والمبادئ يعني التمسك بالقيم، والأصول، والمبادئ، والحصانة أمام المخالفين والجبهة المعادية»^(١).

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.. مظهر الاعتدال في الإسلام
«الاعتدال شعارٌ جيّدٌ جداً، ونحن أيضاً نؤيّد شعار الاعتدال؛ وإنّ الإفراط سيءٌ ومدانٌ».

ووصيتي هنا: احذروا من إقصاء التيارات المتديّنة تحت شعار

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقاء رمضانيّ مع حشدٍ من الجامعيّين والنخب

والمتمفوقين، بمناسبة ولادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، بتاريخ: ١٣٩١/٥/١٦ هـ/ش، الموافق لـ

الاعتدال. يقوم بعضهم بهذه الأعمال وأرى ذلك في الساحة السياسية في البلاد. يسعى بعضهم تحت شعار "الاعتدال" وشعار "تجنب الإفراط"، إلى إقصاء التيار المتدين الذي يقف قبل غيره لمواجهة الشدائد والأخطار. هذه التيارات المتدينة هي التي تمد يد العون إلى الحكومات في معترك المشاكل الواقعية بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ احذروا ذلك.

الإسلام هو مظهر الاعتدال، ف﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، هو اعتدال. وإن ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٢)، اعتدال أيضاً. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتدال. هذا هو الاعتدال. ليس معنى الاعتدال أن نمنع الأعمال التي يشعر الفرد أو التيار المؤمن، والمجموعة المؤمنة أنها من واجباته^(٣).

ضرورة ترسيم الحدود مع العدو والرحمة بين المؤمنين

«في قوله ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، ترسيم الحدود مع العدو. وفي قوله ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، عطف المؤمنين بعضهم على بعض.

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

(٢) سورة "التوبة" المباركة، جزء من الآية: (١٢٣).

(٣) من كلمة الإمام الخامنئي رحمه الله خلال لقاء رمضاني مع مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية

الإيرانية، بتاريخ: ١٣٩٣/٤/١٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٤/٧/٧ م.

هذه هي الخطوط الرئيسية، فإذا أهملنا أيًا منها، ولم نتدارك ذلك وبقيت مهمة، حدث خلل في نموذج الحياة الإسلامية^(١).

المعنى الصحيح لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
«في الطور الأول من البعثة، وبعد مُضي ثلاث سنوات أو أكثر، حيث كانت الدعوة خفية سرية، استطاع الرسول ﷺ أن يكسب للإسلام ثلاثين أو أربعين شخصاً. وبعد ذلك جاء الأمر الإلهي: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ^(٢). أعلن دعوتك وانزل إلى الساحة وارفع الراية واجعل عملك معلناً.

نزل الرسول ﷺ إلى الساحة وحدث ما تعرفونه ... وهذا الالتزام بالهدف وعدم تهيب العدو، وعدم الطمع بما في أيدي الأعداء، والانشداد للامتيازات التي يريد أن يمنحها الأعداء مقابل إيقاف هذه الحركة، يُنشئ صموداً وسكينة وثقة بالطريق والهدف والإله الذي يختص به هذا الهدف.

لذلك، استطاع المسلمون وهم يومئذ ليسوا أكثر من ثلاثين أو

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال جموعاً شعبية بمناسبة عيد الغدير الأغر، بتاريخ:

١٤٠٣/٤/٥ هـ، الموافق لـ ٢٥/٦/٢٠٢٤ م.

(٢) سورة "الحجر" المباركة، الآيتان: (٩٤-٩٥).

أربعين شخصاً أن يثبتوا مقابل كل تلك المشكلات والصعاب، ويزداد عددهم يوماً بعد يوم.

كانوا يشاهدون في "مَكَّةَ" ما يصنع المشركون بعمّار وبلال، وكيف يعاملون سميّة وياسراً، ويعذبونهما ويقتلونهما. كانوا يرون كل هذا ويؤمنون رغم كل ذلك. هكذا هو تقدم الحقّ.

﴿أَشِدَّاءُ﴾ تعني: الصمود والثبات والقوّة والمتانة

الحقّ لا يتقدّم بمجرد الدّعة والأمن والأمان ورفع رايته والمناداة به في الظروف الطّيبة. يتقدّم الحقّ حينما يبدي صاحب الحقّ والتابع له عن نفسه صموداً وثباتاً في طريق تقدّم الحقّ.

تقول الآية القرآنيّة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. ليس معنى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أن يكونوا في حالة حربٍ دائمةٍ مع الكفّار. "الشّدّة" تعني هنا المتانة والصمود وعدم الانهيار. ثمّة معدن يصدأ ويتآكل ويتلف، وثمّة معدن لا يتآكل ولا يصدأ ولا يتهرأ رغم تقادم القرون عليه. هذا هو معنى "أَشِدَّاءُ". "الشّدّة" معناها القوّة والمتانة. القوّة قد تكون تارةً في ساحة الحرب فتبرز بشكل معيّن، وقد تكون في ساحة الحوار مع العدو فتبرز بشكل آخر.

صلابة مواقف النبي ﷺ وثباته أمام أعدائه

لاحظوا كيف كان الرسول ﷺ يتحدث مع عدوه في الحروب حينما كان يجب عليه أن يتحدث. موقف النبي ﷺ عندها كان زاخراً بالصلابة والثبات وعدم التضعع على الإطلاق.

في حرب "الأحزاب" دخل النبي ﷺ في حوار مع الجانب الآخر، ولكن أي حوار؟! اقرأوا التاريخ. إذا كانت ثمة حرب فهي بشدة، وإذا كان ثمة حوار فهو بشدة. وإذا كان ثمة تعامل كان بشدة وصلابة. هذا هو معنى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾.

أمّا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: أي إذا كانوا فيما بينهم كانوا مرنين أوداء، بعيداً عن تلك الشدة والصلابة. هنا ينبغي التعاطف وبذل القلوب وكسبها. هنا ينبغي التعامل مع بعضنا البعض بالتعاطف والرحمة.

الصمود في بداية البعثة أدّى إلى الاستقامة العجيبة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب. ليست هذه مزحة، ثلاث سنوات في وادٍ بجوار "مكة" بلا ماء ولا نبات وتحت الشمس المحرقة. الرسول ﷺ وأبو طالب ﷺ والسيدة خديجة ﷺ، وكل المسلمين وعوائلهم، عاشوا في هذا الشعب بين الجبلين. وقد أغلق الطريق كي لا يصلهم طعام. أحياناً كان بوسعهم أن يدخلوا المدينة في أيام الموسم - والتي كانت أياماً حرة لا حرب فيها - لكن بمجرد أن يريدوا شراء شيء من

حانوت، كان أبو جهل وأبو لهب وسائر زعماء "مَكَّةَ" يوصون خدمهم وأبناءهم بأن يدفعوا ضعف الثمن للشيء الذي يريد المسلمون شراؤه كي لا يسمحوا لهم بشرائه. أمضوا مثل هذا الواقع الصعب لمدة ثلاث سنوات. هل هذه مزحة؟

تلك الاستقامة الأولى، وذاك العمود الراسخ لهذه الخيمة، وذلك القلب المتوكل على الله ﷻ الذي كان ينشر مثل هذه الاستقامة في الأجواء ويحث الجميع على الصبر.

كان الأطفال ييكون من الليل إلى الصباح وكانت أصوات بكائهم تصل أسماع كفار قريش من شعب أبي طالب وترقّ قلوب الضعفاء منهم لكنهم لا يجرأون على مساعدتهم خوفاً من الأقوياء. لكن المسلمين الذين شاهدوا أبناءهم يتلوون أمامهم - وكم ماتوا في الشعب، وكم مرضوا، وكم عانوا الجوع - لم يتزلزلوا أبداً.

يقول الإمام عليّ عليه السلام لابنه العزيز محمد بن الحنفية: «تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُ»^(١). إنها نصيحة الرسول ﷺ ووصيته، وهذا هو سبيل نهضة الأمة الإسلامية وبعثتها. إنه درس الرسول ﷺ لنا. هذا ما تعلّمنا إيّاه البعثة.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل، ص: ٥٥.

علينا دراسة حياة الرسول ﷺ بالمليّمات

إنّ مجرد جلوسنا وقولنا إنّ آيةً نزلت وجاء جبرئيل عليه السلام وبعث النبي ﷺ بالرسالة، ونفرح بأن آمن فلان ولم يؤمن فلان لا يعالج مشكلة. القضية هي أن نستلهم الدروس من هذه الحادثة التي هي أمّ كلّ الأحداث في فترة حياة الرسول ﷺ المباركة. كلّ هذه السنوات الثلاثة والعشرون عبارة عن دروس.

ذات مرّة قلت لبعض الأصدقاء: إنّ علينا دراسة حياة الرسول ﷺ بالمليّمات. كلّ لحظة في حياته حدث ودرس وتجلّ إنسانيّ عظيم. وهكذا هو الحال بالنسبة لكلّ هذه السنوات الثلاثة والعشرين. ليقراً شبابنا تاريخ حياة الرسول ﷺ من المصادر الموثوقة ويروا ما الذي حدث.

حين ترون أنّ أمةً بهذه العظمة قد نشأت وتشكّلت - واليوم أيضاً تكمن أفضل الأقوال وأفضل الحلول، وأفضل الدروس، وأفضل المعالجات للبشريّة في منظومة الأمة الإسلاميّة - فقد ظهرت ونمت وتجدّرت بهذا الشكل. وإلّا لن نتقدّم إلى الأمام لمجرّد أنّ الحقّ معنا، فلا بدّ من وجود الصّمود إلى جانب الحقّ.

يقول الإمام علي عليه السلام - وقد رويت عنه قوله هذا مراراً - في

حرب "صَّفين": «وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ»^(١). لا يستطيع حمل هذه الراية إلا من تكون لديهم بصيرة أولاً: فيدركون ما القضية وما الهدف. ثانياً: من يتحلّون بالصبر، والصبر هو الاستقامة والصمود والثبات. هذا هو الدرس الذي ينبغي أن نتعلّمه من البعثة»^(٢).

عليّ عليه السلام تجسيدٌ لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

«كذلك»، فإنَّ وجود أمير المؤمنين عليه السلام درسٌ خالدٌ لا يُنسى لجميع الأجيال، من جهات عدّة وفي مختلف الظروف، سواء في أعماله الفرديّة والشخصيّة، أم في محراب عبادته، أم في مناجاته، أم في زهده، أم في فنائه واستغراقه بذكر الله ﷻ، أم في جهاده مع النفس والشیطان والدوافع النفسانيّة والماديّة...

كان جهاده عليه السلام من أجل إقامة ونشر دولة الحقّ والعدل. يعني في ذلك الوقت الذي حمل الرسول الأكرم ﷺ أعباء الرسالة على كاهله،

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمه الله، من خطبة له عليه السلام في رسول الله ﷺ، ومن هو جديرٌ

بأن يكون للخلافة، وفي هوان الدنيا، الخطبة: ١٧٣، ص: ٢٤٨.

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه وفوداً شعبيّة ومسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٨٧/٥/٩ هـ/ش، الموافق لـ

من الساعات الأولى، وُجِدَ مقاتلاً ومجاهداً مؤمناً ومضحياً إلى جانبه، هو عليٌّ عليه السلام - الذي كان ما زال فتى - إلى آخر عمر النبي صلى الله عليه وآله المليء بالبركة وحتى بعد ذلك، لم يترك أمير المؤمنين عليه السلام لحظةً من حياته دون جهاد في سبيل إقامة النظام الإسلامي وحفظه.

كم جاهد، وكم تحمّل من الأخطار، وكم كان متفانياً في سبيل الجهاد من أجل إقامة الحقّ والعدل. في ذلك الوقت الذي لا يبقى فيه أحدٌ في الميدان، كان يبقى. في ذلك الوقت الذي لا يجرؤ فيه أحدٌ على دخول الميدان، كان يدخل. في ذلك الوقت الذي كانت فيه الصعوبات كالجبال تثقل كاهل المجاهدين والمقاتلين، كانت قامته المنتصبة تقوّي الآخرين وتشجّعهم.

هكذا كان معنى الحياة عنده، أن يُسخر مواهبه الربّانية، من قوّة الجسم والروح والإرادة وكلّ ما لديه من إمكانيات لإعلاء كلمة الحقّ، وإحياء الحقّ. الحقّ حيي بقوّة إرادة عليٍّ عليه السلام وساعديه وجهاده.

إذا كنتم ترون اليوم أنّ مفاهيم الحقّ والعدل والإنسانية وغيرها من المفاهيم لدى الناس الواعين لا تزال تحتفظ بقيمتها، وتزداد قوّة وترسخاً يوماً بعد يوم، فبسبب هذه المجاهدات والتضحيات.

لو لم يكن عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام وأمثاله - وهم نادرون على مدى تاريخ البشرية - لم يكن للقيم الإنسانية وجودٌ اليوم، ولَفَقَدَت

العناوين الجذابة للبشر جاذبيّتها، لفَقَدَ البشرُ الحياةَ والحضارةَ والثقافةَ والآمالَ والطموحات والأهداف السامية، ولتبدّلت حياة البشرية إلى حياةٍ حيوانيّةٍ وحشيّةٍ مفترسة.

إنّ البشرية في حفظ الأهداف السامية مدينةٌ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ولَمَن هُم من أمثاله من البشر. من تلك المجاهدات كان هذا الأثر.

... على صعيد الحكومة، عندما جلس هذا الإنسان الكبير وعظيم الفكر في النهاية على كرسي السلطة والحكم، قام خلال هذه الفترة الوجيزة بأعمال لو أنّ المؤرخين والكتّاب والفنّانين ظلّوا يكتبون ويصوِّرون عنها لسنوات طويلة، لم يفوه حقّه في القول والكتابة والتصوير. قِيَامَةٌ هِيَ بحدّ ذاتها حياةُ أمير المؤمنين عليه السلام في عهد حكومته! لقد قلبَ عليٌّ عليه السلام مفهومَ الحكومة وغيره من الأساس.

لقد كان عليه السلام تجسيداً للحكم الإلهي، تجسيداً لآيات القرآن بين المسلمين، تجسيداً لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، تجسيداً للعدل المطلق.

كان عليه السلام يقربُ إليه الفقراء، «كَانَ يُقَرِّبُ الْمَسَاكِينَ»^(٢)، وكان يولي الضعفاء عنايةً خاصّةً.

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٨، ص: ٢٢٦.

الشخصيات التي برزت بالمال والقوة وغيرها من الوسائل، وطرحت نفسها بغير حق، كانت عند عليٍّ عليه السلام هي والتراب سواء. ما كان له قيمة في عين وقلب عليٍّ عليه السلام، هو الإيمان والتقوى والإخلاص والجهاد والإنسانية. وفق هذه المباني القيمة، حكم أمير المؤمنين عليه السلام لأقل من خمس سنوات. منذ قرون ويكتبون عن أمير المؤمنين عليه السلام، وما كتبوا إلّا القليل، وما استطاعوا أن يقدّموا تصوّراً صحيحاً، والفضلاء منهم اعترفوا بعجزهم وتقصيرهم في ذلك»^(١).

تضاد الصفات في شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام

«اتّصفت حياة أمير المؤمنين عليه السلام بتوازن شخصيته. كان أمير المؤمنين عليه السلام أعجوبة في اتزانه الشخصي، صفات متضادة ومتخالفة قد اجتمعت في شخصيته بشكل جميل، حتّى أضحت بذاتها وجوداً جميلاً، لا يجد الإنسان مثل هذه الصفات قد اجتمعت في أحد، لكنّها قد اجتمعت في أمير المؤمنين عليه السلام بكثرة واسعة. أعرض في ما يلي بعض هذه الصفات المتضادة التي اجتمعت في أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) من كلمة الإمام الخامنسي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجمعاً غفيراً من فئات الشعب، بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بتاريخ:

هناك مثلاً الرأفة والرقّة، وهي لا تنسجم مع الحزم والصلابة، لكن عطف أمير المؤمنين عليه السلام ورأفته ورقّته كانت حقّاً في ذراها الأعلى الذي قلّمَا يبلغه إنسان عاديّ، فالذين يساعدون المساكين ويتفقّدون العوائل الفقيرة كثيرون، إلّا أنّ الشخص الوحيد الذي كان يؤدّي هذا العمل في عهد وفترة حكومته واقتداره وتسلّطه - أولاً - ويكون هذا العمل دأبه على الدوام، ولم يكتف بأدائه مرّتين أو ثلاث - ثانياً - ، وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون الماديّ فحسب، بل يذهب إلى هذه العائلة، ويتحدّث مع هذا الشيخ، ويجلس مع هذا الضرير، ويلطف هذا الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون. كم قد تجدون بين الناس شخصاً يتحلّى بمثل هذه الرأفة والرحمة، هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام في رحمته ورأفته.

كان عليه السلام يذهب إلى دار أرملة ويوقد لها التّنور ويخبز لها الخبز ويطعم أطفالها بيده المباركة، ولأجل أن يدخل الفرحة إلى قلوب هؤلاء الأطفال البائسين كان يلعب معهم وينحني ويحملهم على ظهره ويمشي بهم، ويداعبهم في كوخهم.

هذه الرأفة والرقّة في شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام جعلت أحد الشخصيّات الكبرى في ذلك العصر يقول: طالما رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يطعم اليتامى العسلَ باصبعه حتّى لوددت أن أكون يتيماً.

حزم أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج

وفي قضية "النهروان" حين عزم جماعة من المتعصّبين، وذوو الفهم الخاطئ على زعزعة حكمه؛ لأسباب واهية، كان عليه السلام ينصحهم ويحاججهم ويرسل لهم الرسل والوساطات، ويقدم لهم العون، ولكن من غير جدوى، وفي نهاية المطاف - وحتى حينما اصطف الجيشان للقتال - قدّم لهم النصيحة وأرشدهم، لكنّه عندما لمس عدم جدوائية ذلك قرّر انتهاج الحزم، فأعطى الراية لأحد أنصاره وقال: كلّ من انضوى تحت هذه الراية إلى الغدّ فهو آمن، أمّا البقية فلهم السيف.

كان عددهم اثنا عشر ألف فانضمّ ثمانية آلاف منهم تحت الراية، ومع ما كان يحمل هؤلاء من عدااء، ورغم موقفهم وعزمهم على القتال ولهجهم بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام إلّا أنّه تغاضى عن كلّ ذلك؛ فهم ما داموا قد اعتزلوا القتال فليذهبوا حيث شاءوا.

بقي منهم أربعة آلاف أصرّوا على مقاتلته، فلما رأى إصرارهم على قتاله عزم على قتالهم، وأخبرهم أنّه لن ينجو منهم عشرة، فحاربهم في واقعة "النهروان" المعروفة، وقتل منهم عددٌ كبير. هذا هو نفس علي عليه السلام حينما يرى في مقابله فئة خبيثة تسلك منهجاً غادراً. ألاحظ - مع الأسف - عدم إعطاء صورة صحيحة عن الخوارج في المحاضرات وفي الأفلام وفي الأدب، إذ كثيراً ما يصفونهم

بالتنسك المتحجر، وهذا خطأ طبعاً، أي تنسك هذا؟ في عهد أمير المؤمنين عليه السلام كانت بعض الفئات تعمل لمصالحها الخاصة، وإذا شتم معرفة الخوارج اضرب لكم مثلاً من عصرنا الراهن.

الخوارج والمنافقون تجسيداً للنفاق في مواجهة الحق

أنتم تتذكرون فئة المنافقين؛ هؤلاء كانوا يقرأون آيةً من القرآن وخطبة من نهج البلاغة ثم يدعون التدين ويعتبرون أنفسهم أكثر إسلاماً وثوريةً من غيرهم، وهم يزرعون القنابل فيقتلون الصغار والكبار ساعة الإفطار في شهر رمضان، أو يقضون على عائلة بأسرها، أو يقتلون جماعةً من الأبرياء في إحدى ساحات المدينة، لا لسبب إلّا لكونهم من أنصار الإمام عليه السلام والثورة ...

هكذا كان الخوارج وهذه فعالهم؛ قتلوا عبد الله بن الخطاب وبقروا بطن زوجته وهي حامل وقتلوا جنيهاً؛ لأنهم كانوا من أشياع علي بن أبي طالب عليه السلام.

اعرفوا الخوارج جيداً؛ كانوا يتمسكون بظاهر الدين وبعين بعض الآيات القرآنية ويحفظون القرآن وكل ما يستر ظاهرهم الديني، إذ كانوا في الظاهر يعتقدون ببعض جوانب الدين، إلّا أنهم كانوا يعارضون جوهره وأساسه، ويتعصبون كثيراً لهذا الموقف.

يذكرون الله ﷻ ولكنهم أداة مُنقادة بيد الشيطان، وعندما يستدعي الموقف يتعاونون مع أمريكا والصهاينة وصدّام أو أيّة جهة أخرى لمحاربة الثورة والإمام ﷺ والحكومة الإسلاميّة، هكذا كان الخوارج أيضاً، وحينها تصدّى لهم أمير المؤمنين  بكلّ حزم. هذا هو نفس عليّ : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

لاحظوا كيف تجسّدت هذه الخاصيّة في أمير المؤمنين  بهذا الشكل الجميل، فقلبه بما أوتي من تلك الرأفة وتلك الرقة لا يطيق رؤية يتيم في حالة حزينّة، بينما نراه يقف تارةً أخرى بصرامة إزاء فئة منحرفة تنتهج أسلوباً مقيتاً وملتويّاً وتقتل الأبرياء فيقتضي عليهم وهم أربعة آلاف في بضع ساعات ولا يفلت منهم عشرة، في حين استشهد من أصحابه أقلّ من عشرة - ربّما خمسة أو ستّة - . هذا هو اتّزان الشخصية^(١).

سبيل الفهم الحقيقي لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
 «إذا ما نزلت آيات القرآن الكريم على قلب الإنسان، واجتذبتها القلب وفهمها وتشكّل بشكلها، عندها حينما يقال لنا: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ

(١) من كلام للإمام الخامنّي دام ظلّه في خطبتي صلاة الجُمُعَة التي أُقيمت في العاصمة الإيرانيّة "طهران"، بتاريخ: ١٣٧٥/١١/١٢ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٧/١/٣١ م.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(١)، سيكون قبول هذا المفهوم يسيراً علينا. المؤمنون ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وليس معنى الشدة أن يسحق الإنسان العدو ويقمعه بالكامل، لا، أحياناً تقتضي الحال القمع، وأحياناً لا تقتضي القمع. ولكن ينبغي على كلِّ حال أن يكون الإنسان شديداً صلباً أمام الأعداء. يجب أن لا تكون سواتركم أمام الأعداء هشة؛ حتّى لا يستطيعوا النفوذ والتغلغل والتأثير. هذا هو حال المؤمنين أمام الأعداء. وفي المقابل ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. يجب أن نكون رحماء وعطوفين فيما بيننا؛ ينبغي أن نتعامل باللين مع بعضنا. هذا هو أمر القرآن الكريم على كلِّ حال، فلماذا لا نعمل به؟ أين هي المشكلة؟ المشكلة تكمن هنا. إذا جعلنا قلوبنا أوعيةً تستضيف شآبيب رحمة القرآن الكريم وأمطار هدايته؛ إذا سلّمنا القلوب للقرآن، كانت تلك الأمور سهلةً علينا. عندئذٍ لن تؤدّي المقاصد الشخصية، والأغراض الشخصية، والمصالح الماديّة، وطلب السلطة، وحبّ المال، والصدقات الخاصة إلى أن ينسى الإنسان هذه التوصية والهداية القرآنية، ويفقدها، ويتركها وراء ظهره»^(٢).

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي رحمه الله خلال لقائه جمعاً كبيراً من قراء القرآن الكريم وحفّاظه، بتاريخ:

١٣٨٨/٥/٣١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٩/٨/٢٢ م.

من هم هؤلاء الكفار الذين أمرنا بالتشدد معهم؟

«يقول القرآن الكريم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. يجب أن يتعامل المسلمون مع الكفار بشدة. من هم هؤلاء الكفار؟ ليس المقصود بالكفار هنا مطلق غير المعتقدين بالإسلام.

يقول القرآن الكريم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١). الأشخاص الذين لا يقاتلونكم، ولا يتآمرون عليكم، ولا يخططون للقضاء على شعبكم وأجيالكم، وإن كانوا من دين آخر، تعاملوا معهم بشكل حسن.

إذن، من علينا أن نعاملهم بشدة من الكفار ليسوا هؤلاء. ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾^(٢). يجب أن نعامل بشدة الأشخاص الذين يحاربون إسلامنا، وهويتنا القومية، وبلادنا، وينتهكون أرضنا، واستقلالنا، وشرفنا، وعزتنا، وكرامتنا، وتقاليدنا، وثقافتنا، وقيمنا. هذه هي الثقافة التي يجب أن تسود في مجتمعنا. والتسامح والتراحم يجب أن يسودا بين المسلمين أنفسهم...

(١) سورة "المتحنة" المباركة، الآية: (٨).

(٢) سورة "المتحنة" المباركة، جزء من الآية: (٩).

مواجهة تحريض العدو بالوحدة والتراحم بين المؤمنين
 اعلّموا أنّ الأشخاص الذين يحرّضون الشيعة ضدّ السنّة،
 ويحرّضون السنّة ضدّ الشيعة، لا يحبّون الشيعة ولا يحبّون السنّة،
 ويعادون أساس الإسلام.

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: أي أنّ المسلمين يجب أن يكونوا رحماء
 بينهم. العدوّ يشتغل على كلا الطرفين، من ناحية يروّج الغلوّ والفكر
 الناصبيّ، ويصوّر الشيعيّ على أنّه العدوّ الحقيقيّ في عين السنّيّ،
 وبعض ذوي العقول المتحجّرة يؤمنون بذلك - للأسف - ، ومن ناحية
 أخرى، يدفع الشيعيّ إلى إهانة مقدّسات وقيم السنّة.

وخطة العدو هي: إذكاء نار الصراع بين هاتين المدرستين؛ من
 أجل القضاء على هويّة الأمّة، في موضوعات لا ينبغي أن توجد
 الخلاف بينهما.

قلت للإخوة العلماء المحترمين من الشيعة والسنّة: أن تتحدّثوا
 عن الوحدة فهذا عمل جيّد جيّداً، ويسعدنا، لكن عليكم أن لا تغفلوا
 عن كيد الأعداء. فمن الممكن أن يتسلّل العدوّ من طرق أنتم غافلون
 عنها، وغير ملتفتين لها. عليكم اليقظة والحذر، واكتشاف العدوّ مهما
 كان اللباس الذي يرتديه.

سُبل تشخيص العدو وتمييزه عن الصديق

[يقول ﷺ]: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١)، يمكن معرفة العدو حتى من طريقة كلامه. اعلّموا أنّ كلّ من يجركم إلى الابتعاد عن دينكم، وشعبكم، وبلادكم، هو عدوّ وليس بصديق. وكلّ من يدفعكم إلى الاختلاف الداخلي هو عدوّ، وكلّ من يسعى لتلويث القلوب وزرع العداوة بينكم هو عدوّ. وكلّ من يسعى لإظهار أهداف الثورة الإسلاميّة بأنّها صعبة المنال، وأنّ النظام الإسلاميّ عاجزٌ عن الوصول إليها، هو عدوّ^(٢).

الوحدة بين المسلمين أساس رقيّ الأمة ورفعتها

«نحن المسلمون ابتعدنا كثيراً عن بعضنا. نجحت للأسف السياسات التي سعت للفصل بين المسلمين وتفريق قلوب الجماعات المسلمة بعضها عن بعض. نحتاج اليوم إلى الوحدة. لو تقاربت شعوب البلدان الإسلاميّة في كلّ هذه المنطقة الواسعة - والذين يشكّلون جزءاً كبيراً جداً من سكّان العالم - لا في التفاصيل والجزئيات بل في التوجّهات الكلّيّة العامّة بعضها مع بعض، لوصل

(١) سورة "مُحَمَّدٌ ﷺ" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٠).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من الشباب وطُلاب الجامعات في سيستان وبلوشستان، بتاريخ: ١٣٨١/١٢/٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٥/٢/٢٠٠٣ م.

العالم الإسلاميّ إلى ذروة الرقيّ والرّفعة. أن يروا بعضهم إلى جانب بعض في القضايا الكلّية فهذا المنظر الذي يظهرهم إلى جانب بعضهم له بحدّ ذاته تأثيره. وأن يتحدّث رؤساء البلدان الإسلاميّة أو مستنيرو البلدان الإسلاميّة بعضهم ضدّ بعض - حتّى لو كان مجرد كلام - فهذا ما يبعث الجرأة والأمل في نفس العدو، وهذا هو الواقع اليوم.

الوحدة .. مبعثٌ لعظمة الأُمّة وهيبتها وشرفها

لو ظهرنا إلى جانب بعضنا حتّى ولو بمقدار التصريحات فهذا ما يمنح العظمة والهيبة للعالم الإسلاميّ وللأُمّة الإسلاميّة. أين ما شاهدنا نماذج لهذا الاجتماع والاتّحاد، حتّى لو كان على مستوى الأجسام التي تقف إلى جانب بعضها في صفّ واحد، وجدنا أنّ انعكاسات ذلك في العالم كانت مبعث شرف وسمعة حسنة للإسلام والمسلمين ولرسول الإسلام ﷺ.

صلاة العيد والحجّ: رمز الوحدة بين المسلمين

عندما نُصلّي صلاة العيد نقف إلى جوار بعضنا ونقول: «اللّٰهُمَّ اجْعَلْهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ ذُخْراً وَشَرَفاً وَكَرَامَةً وَمَزِيداً»^(١).

(١) راجع: الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، للسيد ابن طاووس رحمته الله، من دعاء

القنوت في صلاة عيد الفطر، ج ١، ص ٤٩٥.

مجرد وقوف الأجسام بعضها إلى جانب بعض في الصلاة مبعث شرف لرسول الإسلام ﷺ وسبب عزة واحترام للأمة الإسلامية. وهكذا هو تجمّع المسلمين في الحجّ.

إحياء أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام ليس أمراً خاصّاً بالشيعة

وقد لاحظتم أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام كيف أنّ ملايين البشر اجتمعوا إلى جانب بعضهم، وهذا التحرك العظيم لجماعة من المسلمين بحدّ ذاته - ولم يكن الأمر خاصّاً بالشيعة بل كان السنّة أيضاً موجودين - الذي انعكس في العالم، أثار إعجاب العالم واحترامه لهم، واعتبروه أعظم تجمّع في العالم. من هم الذين يرصدون القضايا والشؤون الإسلاميّة؟ ...

كان حدثاً عجبياً حدث الأربعينيّة في كربلاء هذه السنّة. لقد تصوّر أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت عليهم السلام أنّهم سدّوا هذا الطريق، ولكم أن تلاحظوا أي تحرك عظيم حصل!

عندما تصطفُ حتّى الأجسام بعضها إلى جانب بعض فستكون لذلك انعكاسات بهذا الشكل.

إذا كنّا مع بعضنا وكانت قلوب البلدان والشعوب الإسلاميّة من سنّة وشيعة ومختلف فرق التسنن والتشيّع، نقيّة بعضها تجاه بعض،

ولا تحمل سوءَ ظنٍّ أو سوءَ نيّةٍ بعضها لبعض، ولا يُهين بعضهم بعضاً، لاحظوا أيّ حدث سيقع في العالم، وأيّة عزّة ستحصل للإسلام! الوحدة! الوحدة! الوحدة!

دور مراكز التجسس والاستخبارات في التفريق بين المسلمين
ثمّة اليوم أيادٍ بين أهل السُنّة وبين الشيعة تعمل للفصل والتفرقة
بينهم، وإذا دققتم وبحثتم فستجدون أنّ كلّ هذه الأيدي متّصلة
بمراكز التجسس والاستخبارات التابعة لأعداء الإسلام، لا أعداء إيران
أو أعداء الشيعة فحسب، بل أعداء الإسلام.
ذلك التشييع المرتبط بـ MI٦ البريطاني^(١)، وذلك التسنن المرتزق
للـ CIA الأمريكي، لا هو بتشيع ولا بتسنن، فكلاهما ضدّ الإسلام.

(١) جهاز الاستخبارات البريطاني أو (الإس آي إس)، بالإنجليزية: Secret Intelligence Service - SIS - ، تعرف بصورة عامّة باسم (إم آي ٦) - MI٦ : "الاستخبارات العسكرية، القسم ٦". هي مكتب الاستخبارات الخارجيّة للمملكة المتّحدة تحت إدارة هيئة المملكة المتّحدة المشتركة للاستخبارات: UK Joint Intelligence Committee، تعمل بجانب خدمة الأمن (إم آي ٥)، مكاتب الاتصالات الحكوميّة البريطانيّة (GCHQ) وموظفي الاستخبارات الدفاعيّة (DIS). تكون (SIS) مسؤولة عن نشاطات التجسس للمملكة المتّحدة خارج المملكة عبر الدول المختلفة. يقع المبنى الرئيسيّ لـ (SIS) الحالي في تقاطع فوكسهول في لندن منذ ١٩٩٥م.

دور الجمهورية الإسلامية في تعزيز الوحدة والقضايا العادلة

إننا في الجمهورية الإسلامية منذ ٣٥ عاماً نرفع هذا الشعار ونُصرِّح به، ولا نتكلَّم فقط بل نعمل. فالمساعدات والعون الذي قدَّمته الجمهورية الإسلامية لإخوانها في العالم الإسلامي لحدِّ اليوم، كانت في الغالب مساعدة للإخوة من أهل السنة.

لقد وقفنا إلى جانب الفلسطينيين وإلى جانب الجماهير المؤمنة في بلدان المنطقة؛ لأننا كنَّا نعلم أنَّ قضية الوحدة هي في الوقت الراهن على رأس القضايا الإسلامية.

تخويف الناس بعضهم من بعض خلاف العقل والحكمة

إنني أوصي وأصرُّ على العلماء والمستنيرين في العالم الإسلامي وعلى ساسة العالم الإسلامي أن لا يتحدثوا عن التفرقة إلى هذا الحدِّ. ثمَّة في العالم من ينفقون الأموال من أجل التخويف من الإسلام ولتشويه وجه الإسلام في العالم، وإذا بنا في الداخل نعمل على تشويه وجوه بعضنا وتخويف الناس بعضهم من بعض! هذا بخلاف الحكمة والسياسة. سمعتُ أنَّ بعض حكومات المنطقة بنت سياستها الخارجية على أساس معارضة إيران، لماذا؟ هذا بخلاف العقل والحكمة، هذا فعلٌ أبله. لماذا يرتكب الإنسان مثل هذا الخطأ الكبير؟

مصلحتنا في وحدتنا ومصلحة العدو في الفصل بيننا

نحن على العكس، أقمنا سياستنا الخارجية على الصداقة والأخوة والارتباط بكل البلدان المسلمة وبلدان المنطقة من جيران وغير جيران. هذه هي سياستنا، وعملنا على هذه الشاكلة وسنعمل على هذا النحو في المستقبل أيضاً... وعلى جميع المسلمين اليوم من أقصى أنحاء العالم إلى أقصاها أن يفكروا بالأمة الإسلامية وبالوحدة الإسلامية. إذا فكرنا بالأمة الإسلامية فسوف تتأمن مصالح بلداننا أيضاً. وإن مصلحة العدو هي أن يفصل بعضنا عن بعض، وأن يهاجم بلداً ويكسب الحلفاء له من بلد آخر، مصلحة العدو تكمن في هذا ويجب علينا أن لا نسمح بذلك.

من هو العدو؟

من هو العدو؟ العدو هو الرأسمالية الأمريكية والاستكبار العالمي الذي تقف على رأسه اليوم أمريكا، والصهاينة، والحكومة الصهيونية في فلسطين المحتلة جزء من تلك المجموعة الخطيرة وذلك السرطان الفتاك الذي أوجده الصهاينة في العالم. ويجب الوقوف بوجه هؤلاء وينبغي في مواجعتهم العودة إلى الإسلام وإلى نصوص القرآن الكريم.

مخالفة الإسلام للتعددية الدينية

أحياناً يرى الإنسان أشياء ويسمع أقوالاً ويقرأ كتابات لم تكتب في ضوء الآيات القرآنية.

يقول القرآن الكريم: ﴿تَوَلَّوْا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١). بعد أن يذكر كل تلك الشرائع السابقة التي من واجب المسلمين الإيمان بها، يقول: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا...﴾^(٢).

الإسلام لا يوافق التعددية^(٣). الذين يروجون لفكرة أن الإسلام يوافق التعددية لأنه يثني على النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام، فليراجعوا القرآن وليلاحظوا النصوص الإسلامية، ولا يقولوا شيئاً عن غفلة وعدم اطلاع. هذا هو الإسلام: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ...﴾^(٤). وهذا هو معنى القرآن الكريم.

(١) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (١٣٦).

(٢) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (١٣٧).

(٣) التعددية الدينية تقول إنه ليس بالضرورة أن يكون دين الشخص الواحد هو مصدر للحقيقة المطلقة وبالتالي افتراض وجود بعض الحقيقة في جميع الأديان الأخرى.

(٤) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (١٣٧).

الرحمة والشدّة .. دروسٌ من سيرة النبي الأعظم ﷺ

ثمَّ إِنَّهُ ﷺ بين المسلمين: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١). يقول حول الرسول الأكرم ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. إِنَّهُ رُؤُوفٌ بِالْمُؤْمِنِينَ لَكِنْ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

كونوا أشدّاء مقابل الأعداء ومن هو عدوكم. لا تكونوا مقابل العدو كالسّاتر الرخو المرن فيستطيع التغلغل فيكم من أين ما شاء، بل كونوا أشدّاء صلدين ثابتين، ولكن ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. كونوا في ما بينكم رحماء، ولتكن قلوبكم نقيّة بعضكم تجاه بعض وعطوفين بعضكم على بعض، بحيث لا تستطيع الأسماء فصل بعضكم عن بعض، ولا تستطيع الحدود الجغرافيّة تفريق بعضكم عن بعض، ولا تستطيع الحدود الجغرافيّة وضع الشعوب بعضها في وجه بعض.

هذا من دروس الرسول ﷺ. ويجب أن نستلهم [هذه] الدروس وأن نريد تحقيق ما بُعث النبي ﷺ من أجله، وقد ذكرتُ أن أولويّة العالم الإسلاميّ اليوم هي الاتحاد^(٢).

(١) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢٨).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وسفراء الدول الإسلاميّة المعتمدين لدى "طهران"، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلاميّة، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام،

بتاريخ: ١٩/١٠/١٣٩٣ هـ/ش، الموافق لـ ١٥/١/٢٠١٥ م.

الوحدة .. مصلحة إلزامية في مواجهة التهديدات والخطرسة

«المصلحة الإلزامية للأمة الإسلامية اليوم، كما في السابق، بل أكثر، هي في الوحدة الإسلامية. الوحدة التي تخلق يداً واحدة في مواجهة التهديدات والعداوات، والتي تصرخ عالياً في وجه الشيطان المتجسّد، أميركا المعتدية والغدّارة، وكلّها المسعور الكيان الصهيوني، وتقف الأمة شاخصة صدرها بشجاعة أمام الخطرسة. هذا معنى الأمر الإلهي، حين قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

أوامر قرآنية مصيرية لتحديد العدو ومواجهته وتعزيز الوحدة القرآن الحكيم يعرف الأمة الإسلامية في إطار ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، ويطلب منها أداء واجب ﴿وَلَا تَرَكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢)، و﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٣)، و﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾^(٤)، و﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٥)، ولكي يحدّد العدو، يصدر حُكم ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ

(١) سورة آل عمران" المباركة، جزء من الآية: (١٠٣).

(٢) سورة هود" المباركة، جزء من الآية: (١١٣).

(٣) سورة النساء" المباركة، جزء من الآية: (١٤١).

(٤) سورة التوبة" المباركة، جزء من الآية: (١٢).

(٥) سورة الممتحنة" المباركة، جزء من الآية: (١).

الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴿١﴾. هذه الأوامر المهمة والمصيرية ينبغي ألا تغيب أبداً عن منظومتنا الفكرية والقيمية، نحن المسلمين، وتُترك للنسيان ...

مسؤوليتنا: نصرة الشعوب الإسلامية والتصدي للعدو

نحن نرى الشعوب المسلمة - جميعاً - إخوة لنا، ونعامل غير المسلمين الذين لم يدخلوا في جبهة الأعداء، بإحسان وعدالة. إننا نرى حزن المجتمعات المسلمة ومعاناتها على أنها معاناتنا، ونسعى إلى معالجتها، ونبذل قصارى جهدنا - دائماً - لمساعدة فلسطين المظلومة، وفي التعاطف مع جسد اليمن الجريح، وهموم المسلمين المضطهدين في كل مكان في العالم.

واجبنا: تقديم النصيحة إلى قادة بعض الدول الإسلامية

ونرى أنه من واجبنا تقديم النصيحة إلى قادة بعض الدول الإسلامية، إلى المسؤولين الذين يلجؤون إلى أحضان العدو بدلاً من الاعتماد على أشقائهم المسلمين، ويحملون أنفسهم إذلال العدو وتسليطه عليهم، مقابل مكاسب شخصية لبضعة أيام، واضعين كرامة

(١) سورة "الممتحنة" المباركة، جزء من الآية: (٨).

أمتهم واستقلالها في المزداد العلني. أولئك الذين يرضون ببقاء النظام الصهيوني المغتصب والاستبدادي، ويمدّون له يد الصداقة سرّاً وعلائيّةً، نصّحهم ونحذّرهم من العواقب المريعة لهذا السلوك»^(١).

عمل الحكومات خلافاً لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
«حسناً، إنّ المجتمع الإسلاميّ اليوم يعاني مشاكل أيضاً كبقية المجتمعات. انظروا ولاحظوا ما يحدث في العالم الإسلاميّ. يوجد في العالم الإسلاميّ جماعةٌ من الناس الفاقدين للقيم والأهليّة والمنحطّين، وقد أمسكت بمصير المجتمعات الإسلاميّة؛ كهذه الحكومات التي تشاهدونها؛ السعوديّة وأمثالها. إنّ هؤلاء، وبسبب البعد عن القرآن، وعدم المعرفة بحقائق القرآن - بالطبع، البعض منهم بسبب عدم المعرفة بالقرآن، والبعض الآخر بسبب عدم الإيمان - تراهم يؤمنون بالقرآن ظاهراً، وأحياناً يطبعون ملايين النسخ من القرآن الكريم ويوزّعونها مجاناً هنا وهناك، لكنهم غير مؤمنين بمحتوى القرآن، ولا بمعناه، ولا بمضمونه على الإطلاق؛ يقول القرآن الكريم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، ولكن هؤلاء "أشدّاء على المؤمنين رحماء بالكفار!"

(١) من نداء الإمام الخامني دام ظلّه الذي وجهه إلى حجّاج بيت الله الحرام لموسم حجّ عام

١٤٤١هـ بتاريخ: ١٣٩٩/٥/٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٠/٧/٢٨ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

خيانة الحكومات وصرفها ثروات الشعوب في خدمة الأعداء

انظروا ولا حظوا ما هي حالهم! يأنسون بالكفار، يحبّونهم، ينفقون عليهم من أموال شعوبهم، فهم لا يملكون أيّ مال؛ لمن هذه الأموال التي يملكونها والمتراكمة في حساباتهم الشخصية، وهذه الثروات الخياليّة؟ ومن أين حصلوا عليها؟ هي ليست إرثاً وثروةً عن آبائهم؛ هي أموال النفط، أموال المعادن الجوفيّة، أموال الثروة الوطنيّة؛ فبدل أن تُنفق هذه الأموال على تحسين أوضاع الناس المعيشيّة، تذهب وتتراكم في حساباتهم الشخصية، ويستفيدون منها للأُمور الشخصية والخاصّة؛ إنَّهم يقدّمون أموال الشعب هذه للكفار ولأعداء الشعب.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾^(١)؛ هؤلاء الحمقى، يظنون بأنّه يمكنهم خطب ودّ أعداء الإسلام من خلال تقديم الأموال والمساعدات وأمثالها، والحال أنّه لا يوجد مودة ولا محبة؛ وكما صرّحوا أنفسهم بذلك، بأنّ هؤلاء كالبقرة الحلوب، سيحبونها طالما تدرّ الحليب، وسيذبونها حين ينفد حليبها. هذا هو حال العالم الإسلاميّ اليوم؛ هكذا هم مع الكفار، في حين يتعاملون مع شعبي اليمن والبحرين بطريقةٍ أخرى؛ تعامل ليس من الدين في شيءٍ.

(١) سورة "مريم" ﷺ المباركة، الآيتان: (٨١-٨٢).

زوال الباطل وذلته .. وعدٌ إلهيٌّ صادقٌ

بالطبع، هم إلى زوال. لا تغرّبكم ظواهر الأمور؛ هؤلاء راحلون لا محالة، إنهم ساقطون وزائلون. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١)، وهؤلاء هم الباطل بعينه، ولا بدّ أن يزولوا ويسقطوا ويهانوا ويذّلوا. لا شكّ في ذلك. بالطبع، قد يتقدّم هذا الأمر أو يتأخّر لبعض الوقت، عدّة صباحات أقلّ أو أكثر؛ هذا رهن بكيفيّة عمل المؤمنين، ومجتمع المؤمنين؛ إذا ما عملوا بشكل صحيح فإنّ هذا الأمر سرعان ما يتمّ، وإن لم يعملوا بالنحو الصحيح، سيتأخّر هذا الأمر لبعض الوقت؛ لكنّه حتماً سيقع. سيسقطون هم ومن يبنون الآمال عليهم.

المستقبل للإسلام والقرآن .. دعوةٌ للثقة بالوعد الإلهيّ

ما له مستقبل، إنّما هو الإسلام، والقرآن، وأنتم أيّها الشباب المؤمن. المستقبل لكم أنتم أيّها الشباب المؤمن... ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٢)، فمن أصدق من الله ﷻ تعالى قولاً، ومن أعلم بالمستقبل من الله ﷻ؟ لقد قال الله ﷻ: إنّ المستقبل للمؤمنين، للصالحين، للمجاهدين في سبيل الله ﷻ؛ لا شكّ في ذلك؛ هذا وعدٌ إلهيٌّ. أمّا إن

(١) سورة الإسراء "المباركة"، جزءٌ من الآية: (٨١).

(٢) سورة النساء "المباركة"، جزءٌ من الآية: (١٢٢).

ابتلي أحدٌ بالوسوسة والشكّ، ولم يُطمئنَ الوعدُ الإلهيُّ قلبَهُ أيضاً،
فينبغي أن تقنعه التجارب وتنزل عليه الهدوء.

تجربة الشعب الإيرانيّ الإيمانيّة والجهاديّة في تحقيق النصر
لقد ذكرت هذا مراراً وتكراراً، وأؤمن بهذا الأمر بكلّ وجودي.
فحتّى لو لم يُطلق لنا أيّ وعد، فمع تلك التجارب التي خاضها
الشعب الإيرانيّ ... عليه أن يوقن بأنّ المستقبل له، وعليه أن يوقن
بأنّ النصر سيكون حليفه.

إنّنا شعب كانت تحكمه سابقاً حكومةٌ، وكان المسؤولون
والرؤساء الأمريكيّون يُظهرون الغزل والتودّد نفسه الذي ترونه الآن
لأولئك المساكين المتخلّفين فكريّاً وعقليّاً وعلى جميع الصعد،
والغزل الذي كانوا يتغلّزون به حينذاك للحكومة الإيرانيّة، كان أكثر
وأفضل بكثير. وكانوا يقولون بصراحة: "إنّكم شرطتنا في منطقة
الخليج الفارسيّ"، هذا ما كانوا يقولونه لحكومة الطاغوت. لقد كان
عقل أولئك [الحكّام الإيرانيّين] أفضل من هؤلاء [حكّام الخليج]،
وكذا قدراتهم كانت كبيرة، واعتمادهم على هؤلاء الطواغيت كان
أشدّ، وارتباطهم بهم أقوى؛ في الوقت نفسه استطاع الشعب الإيرانيّ
بقوّة الإيمان، والجهاد، والتضحية، أن يُسقط مثل هذه الحكومة التي

كانت قائمةً رغم كلِّ الدعم العالميِّ لها، ويُقيم بدلاً منها شيئاً لم تتحمَّل القوى الاستكبارية رؤيته، ألا وهو نظام الجمهورية الإسلامية؛ هذه تجربةٌ من تجاربنا. وهل هناك أفضل من هذه التجربة؟

لزوم التوازن بين المباني والأسس والعلاقات الدولية

[يقول ﷺ]: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)؛ إذا ما وُجد فيكم الإيمان فإنكم الأفضل. فلتكونوا أقوياء في طريق الإيمان، وصريحين، وراسخين ... فيما يخص ذكر المباني الإسلامية ...

[ويقول ﷺ]: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾^(٢)؛ [الآية] تقول بصراحة: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾. ولا منافاة في ذلك.

الآن قد يفكر البعض ويقلق، حسناً، ينبغي أن يكون للحكومة والدولة علاقات وروابط عالمية؛ أنا أيضاً مؤمن بهذا الأمر، وأؤيد هذا الاتجاه؛ لكن لا منافاة في ذلك؛ يمكن لنا الإعلان بصراحة عن مبانينا

(١) سورة آل عمران "المباركة، الآية: (١٣٩).

(٢) سورة الممتحنة "المباركة، جزء من الآية: (٤).

وأُسِّسنا والسير قُدُماً، والنجاح أيضاً في مسائل الحياة المختلفة كلّها، ومن جملتها العلاقات والروابط الدولية. يمكن القيام بهذه الأعمال. فليردوا الميدان، ويتوكّلوا على الله ﷻ، وسيروا أنّ ذلك ممكن. هذه هي التجارب»^(١).

الإسلام والأمة الإسلامية في زمن الفتنة

«إنّنا نصّرُ على أن يبقى هذا العنوان وهذا المضمون "الأمة الإسلامية" حياً شاخصاً في أذهان أبناء الشعوب المسلمة كلّهم، وخصوصاً المسؤولين المسلمين؛ لأنّ مساعي أعداء الإسلام والمسلمين منصبّة على محو عنوان الأمة الإسلامية من الأذهان، وعلى إنساء المسلمين له، فننسى حقيقة أنّ جمعاً هائلاً من مليار ونصف المليار، أو قرابة الملياري نسمة في عشرات البلدان الإسلامية، يُعدّون وحدة واحدة؛ وللأسف، فإنّ الأعداء قد نجحوا في ذلك.

إذا نظرتم إلى منطقتنا في الوقت الحاضر، تجدون أنّ الاصطفافات بدل أن تكون بين الإسلام والكفر، وبين المؤمنين

(١) من كلمة الإمام الخامنهـي دامـة الله علـاه خلال لقائه جمعاً كبيراً من قراء القرآن الكريم وحفّاظه، وذلك في محفل الأُنس بالقرآن الكريم الذي يعقده دامـة الله سنوياً بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، في حسينية الإمام الخميني دامـة الله علـاه في العاصمة الإيرانية "طهران"، بتاريخ: ١٣٩٦/٣/٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٧/٥/٢٧ م.

والمعتدين، تقوم بين المسلمين أنفسهم، فتجد بلداً إسلامياً ذا شعب مسلم، لكنّ حكامه لأباليون - بالمعنى الواقعي للكلمة - يصطفّ إلى جانب الكيان الصهيوني الغاصب بدل معاداته، ويعمل ويتكلم لمصلحته، ويرفع الشعارات لمصلحته، وفي الوقت نفسه، يحارب بلداً إسلامياً آخر. هذا نجاحٌ أحرزه الأعداء - للأسف - فشكّلوا الاصطفافات، وافتعلوا المواجهات والمعارك بين البلدان الإسلاميّة، والإخوة فيما بينهم. هذا شيء ينبغي للعالم الإسلاميّ معالجته.

لاحظوا، يوجد اليوم عدوّ غاصبٌ في قلب البلدان الإسلاميّة، وفي وسط البلدان الإسلاميّة - أي في فلسطين - لا ينفكّ عن ممارسة الأعمال الإجراميّة، وهذا ما يستدعي من المسلمين كافّة أن يتحسّسوا لهذا الأمر، وأن يصطفّوا بوجه هذا العدو، ويمنعوا جرائمه. لكن بدلاً من هذا، نرى أشخاصاً في العالم الإسلاميّ، يتصالحون معه، ويغرزون أظافرهم في وجوه إخوانهم المسلمين، ويعلنون الحروب عليهم، ويختلقون النزاعات والخلافات معهم. هذا هو الإشكال ...

إننا ننصح هذه البلدان وهذه الحكومات التي تنسى ما طلبه القرآن منها، [أن تستذكر] هذه الآيات: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ هؤلاء "أشداء على المؤمنين، رُحماء مع الكفار" أي إنهم يعملون بالعكس، فهل هؤلاء مسلمون؟

دور السياسات المعادية في خلق الفتن والنفور والشقاق

أينما دخلت السياسات البريطانية في الماضي، والسياسات الأميركية في الوقت الحاضر، في البلدان الإسلامية، حصلت مثل هذه الفتن. فهم يفتعلون الخلافات بين البلدان الإسلامية، والنفور والشقاق، وأيضاً في داخل البلد الواحد.

لاحظوا ما يحدث في ليبيا. لماذا يجب أن تسفك جماعتان في بلد مسلم دماء بعضهما بعضاً؟ والحال أنهما أبناء بلد واحد، وأرض واحدة، وماء واحدة، ومصالحهما بعضها مرتبط ببعضها الآخر؟ من الذي يحضهما على ذلك؟ ولماذا ينبغي أن تُقصف مساجد بلد كاليمن، وتُقصف أسواقه ومستشفياته ومدارسه الابتدائية، وتُقصف بناه التحتية العمرانية؟ لماذا؟ من الذي يقصفهم؟ الذي يقصفهم شخص يدعي الإسلام، وبلد هو أيضاً بلد إسلامي، وشعبه مسلم. إنهم يعملون ويتحركون في قلب العالم الإسلامي، طبقاً لرغبة أعداء الإسلام، وبذرائع واهية. هنا يكمن الإشكال.

إن قضية فلسطين اليوم، من أهم القضايا في العالم الإسلامي، بل هي قضية العالم الإسلامي الأولى؛ وإذا بهم يقيمون في البحرين مؤتمراً بأمر من أميركا، يتآمرون فيه على القضية الفلسطينية، وللقضاء عليها!

تحذيرات من تبعات السياسات الخاطئة ودعوة للتوبة والإصلاح

ليعلم حكام البحرين أنهم يقطعون الغصن الذي يجلسون عليه، فلا ينخدعوا بالسعوديين. هم والسعوديون يقطعون الغصن الذي يجلسون عليه، وسيتهي الأمر بضررهم: ﴿فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾^(١). هم ينفقون الأموال، ويبدلون المساعي والجهود، لكن نتائجها ستكون معاكسة، وخلافاً لرغبتهم. هذا ما يقوله القرآن بنحو قاطع. وهؤلاء أيضاً، سيتهي المطاف ضد مصالحهم، وبضررهم، لكنهم لا يفهمون. للأسف، لا يفهمون. وإن يعودوا إلى رشدهم، فطريق العودة مفتوح. وإن تابوا، فطريق التوبة مفتوح: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾^(٢)، إذا أصلحوا تلك المفاصل التي أوجدوها. هذا ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم. مشكلات العالم الإسلامي سوف تُعالج وتُحل بتعاون المسلمين واتحادهم فيما بينهم. ينبغي السعي في هذا السبيل، وفي هذا الخصوص، وهناك واجب يقع على عاتق المثقفين والعلماء في العالم الإسلامي^(٣).

(١) سورة "الأَنْفَال" المباركة، جزء من الآية: (٣٦).

(٢) سورة "البَقَرَة" المباركة، جزء من الآية: (١٦٠).

(٣) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً شعبياً وكبار مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية، بمناسبة عيد الفطر السعيد، بتاريخ: ١٣٩٨/٣/١٥ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٩/٦/٥ م.

كشف زيف الاستكبار وممارساته العدوانية وأساليب نفاقه
«لم يسبق لأبناء الأمة الإسلامية أن يكونوا يوماً بحاجة إلى بلورة
هذه الأخوة فيما بينهم والبراءة من المشركين والمستكبرين كما هم
بحاجة إلى ذلك اليوم ...

لقد نزل الاستكبار إلى الساحة بكل ما أوتي من حول وقوة
وخيل ورجال؛ ليخوض الصراع المصيري في كل موقع بما تتطلبه
الظروف. ويمارس هنا ضغوطاً سياسية وهناك تهديدات اقتصادية،
ويستعين هناك بأساليب إعلامية، وفي مواقع أخرى — كالعراق
وأفغانستان وقبلهما فلسطين والقدس — يهاجم بالقنابل والصواريخ
والدبابات والجنود المجنّدة. وأهم وسيلة يستخدمها هؤلاء الوحوش
آكلة البشر، تتمثل في قناع الخداع والنفاق الذي يتسترّون به؛ فإنهم
يجهّزون الفرق الإرهابية ويطلقونها لتفتك بحياة الأبرياء، ويتشدّقون
في نفس الوقت بمكافحتهم للإرهاب.

يدعمون علناً الحكومة الإرهابية الجزارة الغاصبة لأرض
فلسطين، أمّا المناضل الفلسطيني الذي لا خيار أمامه إلّا الدفاع عن
أرضه وقد طفق صبره، فيسمّونه إرهابياً.

ينتجون أسلحة الدمار الشامل بأنواعها النووية والكيميائية
والجراثيمية ويوزعونها ويستخدمونها، فيخلقون مآسي من قبيل ما

شهدته هيروشيما وحلبجة والخطوط الدفاعية الإيرانية على جبهات الحرب المفروضة، ثم يرفعون شعار الحدّ من أسلحة الدمار الشامل! يتبجّحون بمكافحة المخدرات، بينما هم أنفسهم وراء مافيا المخدرات القذرة.

يقدمون تمثيلية النهوض بالعلم وعولمة العلم، ثم يقفون بوجه التقدم العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ويعتبرون توفر التقنية النووية السلمية في الدول الإسلامية ذنباً لا يغفر.

يتحدثون عن حرية الأقليات وحقوقها، وهم يحرمون الفتيات المسلمات من حقهن في الدراسة والتعلم لا لذنوب إلا لالتزامهن بالحجاب الإسلامي.

يتشدّقون بالكلام عن حرية التعبير والرأي، لكنهم يعتبرون إبداء الرأي حول الصهيونية جريمة يعاقب عليها، كما لا يسمحون بنشر كثير من المؤلفات والتأجج الفكري الإسلامي البارز بما فيها الوثائق التي عثر عليها في وكر التجسس الأمريكي في طهران.

يتحدثون كثيراً عن حقوق الإنسان، وهم يقيمون عشرات من مخيمات التعذيب على غرار "غوانتانامو" و"أبي غريب"، أو يلزمون صمتاً يعبر عن الرضا أمام مثل هذه المآسي التي قلّ نظيرها.

وأخيراً وليس آخراً، يتحدثون عن احترام جميع الأديان، بينما

يقومون بالدفاع عن مرتدّ مهذور الدمّ كسلمان رشدي، كما يبثون من إذاعة الحكومة البريطانية عبارات تجديفة مهينة ضدّ المقدّسات الإسلاميّة.

خرق براقع الخداع والنفاق الغربيّ وانكشاف نواياه الخبيثة

إنّ التجرؤ الأرعن الذي أبداه قادة أمريكا وبريطانيا، قد خرق براقع الخداع والنفاق التي كانت تغطّي وجوههم، فمزّقها. فهؤلاء المستكبرون قد ملأوا بأيديهم قلوب الشعوب المسلمة وشبابها بالكره والاستياء تجاههم ...

لقد أصبح العالم الإسلاميّ اليوم وأكثر من أيّ وقت مضى بحاجة إلى التلاحم والتعاطف فيما بينه، وإلى التمسك بالقرآن الكريم. فإنّه تلاحظ من جهة عظمة الإمكانيّات والطاقات المتاحة في العالم الإسلاميّ للتنمية وتحقيق العزّ والاقتدار، وظهورها اليوم للعيان أكثر من الماضي، كما أنّ استعادة مجد الأُمّة الإسلاميّة وعظمتها قد تحوّلت اليوم إلى دافع - ومطلب ملجّ - لدى الشباب والمثقفين في كلّ أرجاء العالم الإسلاميّ، كما أنّ شعارات المستكبرين المتّسمة بالنفاق قد فقدت بريقها وانكشفت تدريجيّاً نواياهم الخبيثة للأُمّة الإسلاميّة.

خوف المستكبرين من الصحوّة والوحدة الإسلاميّة

ويلاحظ من جهة أخرى أنّ ناهبي العالم الذين طالما يحلمون بفرض سيطرتهم على كلّ أرجاء المعمورة، صاروا يتوجّسون خوفاً من صحوّة الأمّة الإسلاميّة ووحدةها، معتبرين هذه الصحوّة والوحدة عقبة أمام تمرير مخطّطاتهم المدمّرة، فيعملون على استباقها وتفاديها. فاليوم، هو يوم تجسيد الأخوة عملياً في جميع المجالات وأمام كلّ الفتن؛ إنّهُ يوم الإعداد لحكومة إمامنا وسيّدنا المهديّ (ع)، ويوم تلبية الدعوة الإلهيّة في كلّ الأمور، إنّهُ ليوم يجب علينا أن نتلو فيه مرّة أخرى على قلوبنا المقاطع القرآنيّة الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٢)، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)...

إنّنا ندعو المسلمين إلى الوحدة؛ وإنّ هذه الوحدة المنشودة ليست ضدّ المسيحيّين أو أتباع سائر الديانات أو أبناء الشعوب الأخرى، وإنّما هي من أجل الوقوف بوجه المعتدين والمحتلّين ومؤجّجي الحروب؛ وذلك عملاً على ترجمة الأخلاق والقيم المعنويّة

(١) سورة "الحجرات" المباركة، جزءٌ من الآية: (١٠).

(٢) سورة "النساء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٩٤).

(٣) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

إلى واقع مطبّق، وإحياءً لعقلانيّة الإسلام وعدالته، وتحقيقاً للتقدّم العلمي والاقتصاديّ، واستعادةً للعزّة الإسلاميّة»^(١).

تنازع المسلمين أمانٌ لأعداء الإسلام والصهاينة

«أقولها لكم، أيّها الإخوة الأعزّاء: إنّ العالم الإسلاميّ اليوم بأمرّ الحاجة إلى هذا الاتّحاد والتعاطف. إنّ جسد العالم الإسلاميّ اليوم جريحٌ. لقد استطاع أعداء الإسلام - من خلال إشعال الحروب والخلافات - إفشال المسلمين، وإيقاع التنازع فيما بينهم، وإشغالهم بعضهم ببعض، وبقاء أعدائهم في أمنٍ وأمانٍ.

يعيش الكيان الصهيوني الغاصب حال الأمان في منطقة غرب آسيا، فيما يخوض المسلمون في دماء بعضهم بعضاً! هذه حقيقةٌ وواقعٌ قائمٌ في الوقت الحاضر، وهو من فعل أعداء الإسلام؛ إنّ من فعل أمريكا، ومن فعل الصهيونيّة الدوليّة، ومن فعل أتباعهم وأعوانهم في هذه المنطقة.

يجب أن نعترف، بكلّ أسف، بأنّ هناك داخل الأُمّة الإسلاميّة والحكومات الإسلاميّة نفسها، من يقوم بما تريده أمريكا والصهيونيّة،

(١) من نداء الإمام الخامنّي دام ظلّه الذي وجهه إلى حجّاج بيت الله الحرام لموسم حجّ عام

١٤٢٥هـ بتاريخ: ١٣٨٣/١٠/٢٩ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٥/١/١٨م.

ويتكفل بنفقاته، ويوفر مقدّماته، فيصبح أداة لهم؛ من أجل ماذا؟ من أجل جرح جسم الأمة الإسلاميّة.

في مثل هذه الأوضاع والظروف، فإنّ اتّحاد الأمّة الإسلاميّة أوجب الواجبات، يجب أن نجتمع حول بعضها ...

تكمّن مصلحة أعداء الإسلام في جرّ الحروب إلى داخل العالم الإسلاميّ، وقد أشعلوا الحروب، للأسف. لقد وقفنا وصمدنا بوجه مؤامرة العدوّ هذه، وسنواجهها دوماً. وأقولها لكم: نحن نؤمن بأنّنا، بتوفيق الله ﷻ وإرادته ومشيتته وبإذنه، سنتصر على أعدائنا في هذه المواجهة.

فلسطين: قضية الأمّة الإسلاميّة المركزيّة ومفتاح انتصاراتها

إنّ فلسطين اليوم هي قضية العالم الإسلاميّ الأولى. كلّ من يفهم ويدرك قضية فلسطين بصورة صحيحة، يقرّ بأنّها قضية العالم الإسلاميّ الأولى. إنّ قضية فلسطين مفتاح الانتصار على أعداء الإسلام، وهي أهمّ قضية في العالم الإسلاميّ اليوم. لماذا؟ لأنّ فلسطين بلد إسلاميّ، وقد غصبوه وانتزعوه من أهله. ليس الكلام عن غصب قرية أو مدينة، إنّما احتلّ العدوّ بلداً، وجعله مقراً للإخلال في أمن بلدان هذه المنطقة، ويجب مقاومة هذه الغدّة السرطانيّة.

فاجعة الإفتاء لمصلحة الصهاينة .. خيانة للإسلام وفلسطين

ولكم أن تلاحظوا الآن، كيف أن شخصاً يكتسي لباس الإفتاء الديني، يفتي بأن قتال الصهيونية حرام، وبأنه لا يجوز مساعدة الجماعة الفلانية التي تناضل ضد الصهيونية! إنها فاجعة حقاً، أن يعمل بعض في العالم الإسلامي ضد مصالح الإسلام بهذه الصورة، وتكون لهم علاقاتهم الودية مع الأعداء، وذلك تماماً بخلاف النص القرآني الصريح، بأن المؤمنين ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١). فهؤلاء «أشداء على المسلمين» و«رحماء مع الكفار»! علاقاتهم مميزة وجيدة معهم، لكن انظروا ما الذي يفعلونه بالمسلمين، من بث للخلافات، وزرع لشجرة "داعش" الخبيثة وأمثلة "داعش"، في العراق وسوريا وباقي المناطق. وبالطبع، اجتثت هذه الشجرة في العراق وسوريا، ولكن لا يمكن الركون والثقة بهم، قد يخلقون مثل هذه الحال في أماكن أخرى.

لزوم اليقظة وعدم التغافل والتجاهل عن كيد العدو

أمريكا لن تكف عن معاداة الإسلام. يجب أن نكون يقظين، يجب أن نحافظ على استعدادنا، ينبغي ألا نغفل ونفاجأ بشيء! يقول

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم»^(١). يجب أن نكون هكذا، فلا يمكننا أن نخلد إلى النوم ونغفل ونتجاهل كيد العدو. يجب أن نكون يقظين. ولهذه الصحوه مقتضياتها. من مقتضياتها، هذه الأخوة والمحبة التي يجب أن نتحلّى بها. تقتضي هذه المحبة مكافحة العوامل التي تعادي العالم الإسلامي بصراحة، ومواجهتها، أو التي تساعد أولئك الأعداء.

أعداء الإسلام الحقيقيون داخل المجتمع الإسلامي

يجب أن تحملوا رسالة هذه الروحية في البلدان المختلفة، وتحافظوا على جهوزية المسلمين للمواجهة والمقاومة. وليس المقصود هو الحرب العسكرية في كل الأماكن، إنما ينبغي أن تعرفوا أذهان جماهيركم - الناس الذين يستمعون لكلامكم - إلى الحقائق الواقعية اليوم في العالم الإسلامي. إننا، بالتأكيد، لن نضع هذا الواجب أرضاً. إننا لن نترك هذا الواجب، ونحن على ثقة من أن الله ﷻ سوف يعيننا للنجاح في هذه المهمة. والذين خالفوا الآية القرآنية القائلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمته الله، من خطبة له عليه السلام لما أشير عليه بألا يتبع طلحة والزبير

ولا يرصد لهما القتال وفيها يبين عليه السلام عن صفته بأنه لا يتخذ، الخطبة: (٦)، ص: ٥٣.

بِالْمَوَدَّةِ ﴿١﴾ وَاتَّخِذُوا أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَأَعْدَاءَ اللَّهِ عَدَاءً
أَصْدِقَاءَ يَبَادِلُونَهُمُ الْمَوَدَّةَ، هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّونَ فِي دَاخِلِ
الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ﴿٢﴾.

بلاء العالم الإسلاميَّ بَعْدَهُ عَنِ الْقُرْآنِ

«نحن بعيدون عن القرآن كثيراً، وتفصلنا عنه مسافةٌ، فقبل هذا،
يجب أن نجعل القرآن هادياً وملجأً وإماماً لنا في جميع شؤون حياتنا،
الذهنيّة منها والعمليّة، وفي أعمالنا وأفكارنا وعزائمنا وسلوكياتنا،
وهذا شيءٌ غير متحقّق في الوقت الحاضر للأسف. يجب أن نقترّب
من القرآن ... إنّ بلاء العالم الإسلاميّ اليوم هو بَعْدُهُ عَنِ الْقُرْآنِ.
ونكبةُ بعض المجتمعات الإسلاميّة سببها البعدُ عن القرآن. لاحظوا
وضعَ فلسطين! شعبٌ يُبعدُ عن دياره، والذين بقوا منه في هذه الديار
يتعرّضون لمختلف أنواع الضغوط، وقد شاهدنا نموذجاً لذلك قبل
أيّام قليلة، شهداء كثر، وعدّة آلافٍ من الجرحى والمصابين، على يد
كيانٍ غاصبٍ خبيثٍ مصطنع زائف، والمسلمون ينظرون هكذا

(١) سورة "الممتحنة" المباركة، جزءٌ من الآية: (١).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في المؤتمر الدوليّ لمحيي أهل البيت عليه السلام، والذي عُقدَ في العاصمة الإيرانيّة "طهران"، بتاريخ: ١٣٩٦/٩/٢ هـ/ش، الموافق لـ

ويتفرّجون! يعاتب بعضهم ويشتكى أن "لماذا لم تتخذ أمريكا موقفاً؟" وهل يجب على أمريكا أن تتخذ موقفاً؟ أمريكا نفسها شريكة في هذه الجريمة، والكثير من الحكومات الغربية شريكة في الجريمة، أتتوقعون أن يتخذوا موقفاً؟! المسلمون هم الذين يجب أن يتخذوا موقفاً، والأمة الإسلامية هي من ينبغي أن تتخذ موقفاً، الأمة الإسلامية والحكومات والدول الإسلامية هي التي يجب أن تقف بوجهه، ولكنها لا تقف. لماذا؟ لأنها بعيدة عن القرآن، لأنها لا تؤمن بالقرآن، ولا تعتقد به. [تقول] الآية الشريفة من سورة "الفتح" المباركة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١). ينبغي أن نكون أشدّاء مقابل الكفار، ورحماء فيما بيننا. لكنهم يعملون بعكس ذلك.

يطلق الأعداء فيما بيننا حروباً وخلافات ومعارك ونزاعات، بين الشيعة والسنة، وبين العرب والعجم، وما شابه، وتنطلي على الحُكّام البعيدين عن القرآن، والبعيدين عن التعقّل، والبعيدين عن العقل، خدعة الكفار، ويستسلمون لهم.

إننا بعيدون عن القرآن. لقد حدّد القرآن واجبنا، وقد عرفهم القرآن لنا بقوله: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

صَدُّورُهُمْ أَكْبَرُ^(١) ... عداؤهم للإسلام والمسلمين لا ينتهي، ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٢). سبب عدائهم هو ميل المسلمين للإسلام.

العودة إلى القرآن سبيل النصر والتحرر

نحن بعيدون عن القرآن، والأمة الإسلامية بعيدة عن القرآن. لو اقتربنا من القرآن، فسوف نتصر على العدو بلا شك، أيّاً كان هذا العدو، ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣). هذا وعدٌ إلهي، ووعدٌ قرآني، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(٤). هذه مفاهيم يجب أن نتعلمها من القرآن، وأن نعمل بها... لنواصل مسيرنا نحو القرآن.

أعزائي! أيّها الشباب المؤمن! أيّها الشباب الثوري! زيدوا يوماً بعد يوم من معرفتكم بالقرآن، وأنسكم به، واستفادتكم منه؛ فهذا هو مصدر قوتكم واقتداركم وعزّتكم. نتمنى أن نصحو جميعاً، إن شاء

(١) سورة آل عمران "المباركة، جزء من الآية: (١١٨).

(٢) سورة البروج "المباركة، الآية: (٨).

(٣) سورة الفتح "المباركة، الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٤) سورة الحج "المباركة، جزء من الآية: (٤٠).

الله ﷻ، ويصحو العالم الإسلامي، وتتمكّن من القيام بهذه الأعمال. على كلّ حال، سوف تتحرّر فلسطين، بإذن الله ﷻ وتوفيقه، من قيود الأعداء، وبيت المقدس هو عاصمة فلسطين، ولن تستطيع أمريكا، ولا الأكبر منها، ولا الأصغر، ولا أذئابها، ارتكاب أية حماقة حيال هذه الحقيقة والسنة الإلهية المتعلقة بفلسطين»^(١).

الصدّاقة مع العدو سياسةٌ بلهاء تستدعي الغضبَ الإلهيَّ

«هناك مَنْ عقدَ أواصرَ الصداقة في العالم الإسلاميّ، مع العدوِّ. وما يقوم به آل سعود، وهذه الجريمة التي يرتكبونها في اليمن لاحتلالها، وما يرتكبونه بحقّ الشعب اليمنيّ المظلوم، سوف ينتهي بضررهم. فليفهموا هذا الشيء. سينتهي هذا بضررهم ... وكلّما تقدّم بهم الزمن، سيكون سقوطهم أشدّ، والضربة التي سيتلقونها أكثر إيلاًماً. كيف يمكن لحكومةٍ تحكّم شعباً مسلماً وبلداً إسلامياً، أن تتحوّل إلى آلةٍ بيدِ أعداء الإسلام، إلى آلةٍ بيدِ أمريكا، وبقرةٍ حلوبٍ لها؟ لماذا؟ على خادم الحرمين الشريفين أن يكون مصداقاً للآية

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه خلال لقائه جمعاً كبيراً من قراء القرآن الكريم وحفّاظه، وذلك في محفل الأُنس بالقرآن الكريم الذي يعقده دامّ ظلّه سنوياً بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، في حسينيّة الإمام الخميني ﷺ في العاصمة الإيرانيّة "طهران"، بتاريخ: ١٣٩٧/٢/٢٧ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٥/١٧ م.

الشريفة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، لا "أشداء على المؤمنين"! هؤلاء "أشداء على المؤمنين"، "أشداء على اليمن"، "أشداء على البحرين". يمارسون الضغوطَ على الشعوب المؤمنة. وهذه سياسةٌ بلهاءٌ جداً، تستدعي الغضبَ الإلهي^(١).

حلفاء أميركا والصهاينة والتكفيريون ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾
«القرآن يقول عن أتباع الرسول ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٢). بعضنا ينسى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ويدعها جانباً. مثل من؟ مثل هؤلاء الذين تحالفوا في البلدان الإسلامية مع أميركا ومع الصهاينة، وداسوا على دماء الفلسطينيين بأقدامهم، وضيعوا حقوقهم. هؤلاء نسوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وصاروا خدماً للكفار، وتابعين لهم، ومنفذين لأوامرهم. كثيرٌ من زعماء الدول العربية الآن، من هذا القبيل. هؤلاء فئة، والفئة الأخرى نسوا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وأوجدوا الخلافات بين المسلمين. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٣)، هذا ما

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من عوائل شهداء الدفاع المقدّس والدفاع عن المقدّسات، بتاريخ: ١٣٩٧/٩/٢١ هـ/ش، الموافق لـ ١٣٩٧/١٢/١٢ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٣) سورة "التوبة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٧١).

يقوله القرآن. وحينما يأتي هؤلاء ويكفرون المؤمن بالله ﷺ، والمؤمن بالقرآن، والمؤمن بالكعبة، والمؤمن بالقبلة، ويقولون عنه: إنه كافر، فإنهم بذلك ينسون ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. حينما لا يكون «التراحم بين المؤمنين» موجوداً، تنشب الحروب الداخلية في البلدان الإسلامية، ولكم أن تلاحظوا ما يحصل اليوم في سوريا، وفي اليمن. فمنذ أكثر من أربعة أعوام، واليمن يتعرض للقصف. ومن الذي يقوم بالقصف؟ هل هو كافر؟ لا، إنه مسلم، مسلم بالظاهر، لكنه لا يرحم المسلمين. هذا هو معنى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(١)؛ أي الذين يعملون ببعض القرآن، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٢)؟ وكثير من هؤلاء الآن، لا يؤمنون بشيء من القرآن^(٣).

الشعوب المسلمة مخالفة للصهيونية ولن تنسى فلسطين

«الاستكبار العالمي يسعى بكل وجوده وقوته لفرض واقع النظام الصهيوني على الشعوب الإسلامية، ولحملهم على قبول هذا الواقع؛

(١) سورة الحجر المباركة، الآية: (٩١).

(٢) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (٨٥).

(٣) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال لقائه أساتذة القرآن الكريم وقرائه وحفظته المتفوقين المشاركين في الدورة السادسة والثلاثين لمسابقات القرآن الكريم الدولية، بتاريخ:

١٣٩٨/١/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٩/٤/١٥ م.

وقد فشل حتى الآن. ولا تلتفتوا إلى الدول والحكومات المستعدة كي تحفظ مصالح أصدقائها الأجانب المعادين للإسلام لأن تدوس مصالح شعوبها ووضع مصالح الإسلام طي النسيان؛ فالشعوب مخالفة للوجود الصهيوني!

إنهم يحاولون ... محو اسم فلسطين من الذاكرة ولم يفلحوا. وقد أثبتت الشعوب الإسلامية والأمة الإسلامية خلال السنوات الأخيرة - في حرب ٣٣ يوماً على لبنان وحرب ٢٢ يوماً على "غزة"، وبعدها حرب ٨ أيام على "غزة" أيضاً - أنها ما تزال حيّة، واستطاعت رغم رصد أمريكا والغرب لميزانيات ضخمة، أن تحافظ على هويّتها وأن توجه صفةً قويّة للنظام الصهيونيّ المفروض والمزور، ولعربابي وأصدقاء وحلفاء الصهاينة الظالمين، حيث باءت بالفشل جميع محاولاتهم خلال هذه المدة لحفظ هذا النظام الغاشم والمجرم! لقد أظهرت الأمة الإسلامية أنها لم تنس فلسطين، وهذا أمر مهمّ جداً.

التيارات التكفيرية بشرى للاستكبار ولأعداء الإسلام

إن وجود هذه التيارات التكفيرية في العالم الإسلامي، هو بمثابة بشرى للاستكبار ولأعداء الإسلام. فهم بدل أن يوجهوا اهتماماتهم إلى واقع النظام الصهيونيّ الخبيث، يصبّون اهتماماتهم في اتجاه آخر،

على النقيض ممّا يريده الإسلام تماماً. فالإسلام يريد للمسلمين أن يكونوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

على المسلمين أن يكونوا أشدّاء على أعداء الدين. عليهم الصمود، وأن لا يخضعوا لهم. ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، آية صريحة في القرآن الكريم.

أيضاً، عليهم أن يكونوا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، أي أن يتوحّدوا، وأن يتضافروا، وأن يعتصموا بحبل الله ﷻ؛ هذا ما يأمر به الإسلام.

عندما يظهر تيّارٌ يقسّم المسلمين إلى مسلم وكافر، ويستهدف جماعةً منهم على أنّهم كفّار، ويزرع الشقاق بين المسلمين! فمن منّا لا يشكّ في أنّ وجود هذه التيّارات، ودعمها، وتمويلها، ومدّها بالسلاح وغيره، هو من عمل الاستكبار وأجهزة الاستخبارات الخبيثة للدول المستكبرة؟ هم يجلسون يتآمرون ويخطّطون؛ لأجل هذا. على العالم الإسلامي أن يهتمّ بهذه القضية، إنّهُ لخطرٌ كبير. وللأسف، فإنّ بعض الدول الإسلامية تغدّي هذه الخلافات^(٢).

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن

محمد الصادق عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٠/١٣٩٢ هـ/ش، الموافق لـ ١٩/١/٢٠١٤ م.

آياتُ القرآن والمعارفُ القرآنية تحتم دعم قضية "غزة"
 «اليوم، القضية الكبرى في عالم الإسلام هي قضية "غزة". هل
 نرى أن قادة الدول الإسلامية والمسؤولين فيها يعملون وفق تعاليم
 القرآن والمعرفة القرآنية بشأن "غزة"؟
 يقول القرآن: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)؛ هل يتم تطبيق هذه الآية بشأن "غزة"؟
 لماذا لا يعلن قادة الدول الإسلامية علانية عن معارضتهم، وقطع
 علاقاتهم، ودعمهم للقتال ضد الكافر الخبيث؟
 يقول القرآن: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢)؛ هل تُطبق
 اليوم في العالم هذه الآية؟
 يقول القرآن: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)؛ هل تظهر
 هذا الشدة في مواجهة الاحتلال الصهيوني الخبيث؟ هذه هي آلام
 الإسلام الكبرى اليوم. الله ﷻ سيحاسب شعوب المسلمين عن سبب
 عدم الضغط على حكوماتهم، وسيحاسب الحكومات الإسلامية عن
 سبب عدم عملها. [يقول ﷻ]: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ

(١) سورة آل عمران "المباركة، جزء من الآية: (٢٨).

(٢) سورة الممتحنة "المباركة، جزء من الآية: (١).

(٣) سورة الفتح "المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ^(١). هذه كلها معارف قرآنية؛ وهذه هي ما يجب أن نبرزها ... ونذكرها معاً، وتبادل هذه الواجبات، وتواصى بالحق ...

صمود أهل "غزة" سبيلهم لنصر الله ﷺ

طبعاً، لهذا الموضوع جانب آخر: اليوم، في "غزة" وفلسطين، القوَّات المقاومة تتبع القرآن. المقاومة في "غزة" تصمد في وجه العدو. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢) ... إِنَّ أَمَلَنَا فِي لُطْفِ اللَّهِ ﷻ وَنَصْرِهِ لَا يَنْقُطُ. في هذه الآية الكريمة قال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، وفي آيةٍ أخرى قال ﷻ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(٣)؛ هذا تأكيدٌ إلهيٌّ، إن شاء الله ﷻ، سيتضمَّن النصر الإلهيُّ لشعب فلسطين، وعالمُ الإسلام، بلطف الله ﷻ، سوف يشهد زوال الغدَّة السرطانيَّة الصهيونيَّة. نحن في انتظار ذلك اليوم. ذلك اليوم سيأتي إن شاء الله ﷻ^(٤).

(١) سورة "الممتحنة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٩).

(٢) سورة "الحج" المباركة، جزءٌ من الآية: (٣٩).

(٣) سورة "الحج" المباركة، جزءٌ من الآية: (٤٠).

(٤) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلُّه خلال لقائه المشاركين في المسابقات الدوليَّة لقراءة القرآن

عداءُ العدوِّ للإسلامِ ذاتيٌّ وليس موسميًّا أو فصليًّا

«ولنعلم كلُّنا أنَّ عداءَ هذه الجبهة من الأعداء ... ليس موسميًّا أو فصليًّا. بل هو عداءٌ ذاتيٌّ دائم. وسوف يوجِّهون ضرباتهم متى ما استطاعوا. وعلاج ذلك هو أن نقوِّي أنفسنا. نقوِّيها من الناحية العسكرية، ومن الناحية الأمنيَّة، ومن الناحية السياسيَّة، ومن الناحية الاقتصاديَّة. نقوِّي أنفسنا من نواحٍ مختلفة، حتَّى لا يستطيع العدوُّ توجيه ضرباته. وإلَّا فعداؤه عداءٌ ذاتيٌّ.

التراجع أمام العدوِّ خطأ فادح

إنَّه لخاطئٌ جدًّا من يتصوَّر أنَّنا لو تراجعنا خطوةً إلى الوراء وتنازلنا قليلاً فسوف يتراجع الأمريكيُّون عن العداء. إنَّه خطأ فادح. أن يوصي البعض بعدم القيام بما يغضب أمريكا - وهذا ما يقوله البعض ويكتبونه في الصحف - فهذا على العكس تماماً ممَّا يقوله ربِّ العالمين: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(١).

إنَّ نموَّ العناصر المؤمنة، هذه الغرسات الطاهرة، هؤلاء الشباب المؤمنين، هو أساساً ﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. من أجل إغاضة العدوِّ.

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

وهم غاضبون من هذا أكثر. غاضبون من شباب الميدان العلمي. ومن شباب ساحة الجهاد. ومن شباب ميادين الخدمة. ومن شباب الميادين العسكرية. إنهم غاضبون من هذه الأمور^(١).

«ينبغي لشبابنا أن يكونوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾... يجب أن يتربى الشاب بهذه الطريقة؛ أن يقف بوجه الظلم، ويقف بوجه المعتدي، لكنه يتعامل بعطف وتسامح مع أخيه المؤمن»^(٢).

التربية الإسلامية: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
 «هكذا يُربى الإسلام أتباعه: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٣). هذه هي علامات الأمة الإسلامية. وهذه هي المعنوية التي في أنفسهم، والتوكل والتوجه إلى الله ﷻ، والتذكر والخضوع مقابل الخالق ﷻ. هذه هي ميزة تربية الإنسان المسلم المؤمن. الإسلام يربى مثل هذا الإنسان، خاضع مقابل

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام الله خلال لقائه جمعا من أهالي مدينة قم المقدسة، بمناسبة ذكرى قيامهم وانتفاضتهم ضد نظام الشاه، بتاريخ: ١٣٩٨/١٠/١٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٠/١٨/٢٠ م.

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام الله خلال لقائه السنوي الرمضاني مع جمع من أساتذة الجامعات والخب العلمة والباحثين الجامعيين، بتاريخ: ١٣٩٧/٣/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٦/١٠ م.

(٣) سورة الفتح "المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

الله ﷻ، رحيم عطوف مع إخوانه في الإيمان، والأخوة الإسلامية قائمة؛ لكنه في مقابل المستكبرين والظالمين صامدٌ شامخ كالجبل، ﴿مَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾. هذه هي مراحل رشد الأمة الإسلامية، تَنَبُّتٌ وَتَرَشُّدٌ وَتَتَرَعُّعٌ وَتَسْتَحْكِمُ. ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾: يندهش له حتى الذين يعملون في هذا المجال. إنها يد القدرة الإلهية التي تُرشد البشر هكذا. ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: العدو المستكبر حينما ينظر لهذا الإنسان المسلم المتربّي والمُتَرَعِّع في أحضان الإسلام، سيغضب طبعاً وينزعج.

يجب أن نعمل بهذه الطريقة. يجب أن نبني أنفسنا ونطابقها مع القرآن الكريم. أخلاقنا وسلوكنا مع أصدقائنا، ومع معارضينا، ومع معاندينا، ومع المستكبرين يجب أن ننظّمها مع تعاليم القرآن. لقد وعد الله ﷻ الأفراد الذين يتحرّكون بهذه الطريقة أن يُثيبهم ويؤجرهم. وهذا أجرٌ في الدنيا وفي الآخرة. في الدنيا لهم العزة والتمتع بالجماليّات والخيرات الإلهية المعدة للإنسان في هذا العالم، ولهم في الآخرة رضوان الله ﷻ وجنّانه^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه خلال لقائه وفوداً شعبية ومسؤولي النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى "طهران"، بمناسبة المولد النبوي الشريف، بتاريخ: ١٣٨٩/١٢/٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١١/٢/٢١ م.

الصَّلَاةُ بِخُشُوعٍ سَبِيلَ الْكُونِ مِنَ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

«هذه الآية الكريمة في آخر سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾^(١)، شَدَّتْ انتباهي كثيراً: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾؛ أي أن من أبرز العلامات التي يحملها أصحاب النبي ﷺ هي: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٢). هذا ليس مجرد كلامٍ عابرٍ؛ "رُكَّعٌ" و"سُجَّدٌ" أمرٌ مختلفٌ عن حمل السيف في ساحة المعركة.

القتالُ أيضاً مطلوب، يوجد لدينا: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)، وكذلك لدينا: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٤)، ولكن "رُكَّعٌ" و"سُجَّدٌ" هو أصلٌ أيضاً لا يمكن تجاهله.

إذا أراد الإنسان أن يصلِّي كما يصلِّي عامة الناس، ثم يتوقَّع أن يكون من ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، فهذا غير ممكن. يقول ﷺ: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. على أيِّ حال، هذا أمرٌ ضروري.

(١) سورة "الفتح" المباركة.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٣) سورة "المائدة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٥٤).

(٤) الآية السابقة، نفسها.

بالطَّبع، الصلوات التي نؤدِّيها هي في الواقع مجرد تقليد لعبادة عباد الله ﷺ الحقيقيين. حينما أراجع نفسي، أرى ذلك بوضوح؛ عباد الله ﷺ البارزون يصلُّون بطريقة مختلفة، عندما يسبِّحون، يكون تسبيحهم نابعاً من قلوبهم وأرواحهم، وعندما يسجدون، فإن قلوبهم هي التي تسجد قبل أجسادهم.

أمّا نحن، فكلّ ما يمكننا فعله هو أداء هذه الطقوس بالمستوى الذي نستطيعه، ومحاولة تقليد عباد الله ﷺ بقدر الإمكان، مع التركيز على هذه الأمور والاهتمام بها، حتّى نتمكّن من التقدّم في هذا الطريق إن شاء الله ﷻ^(١).

الحجّ مظهرٌ لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

«[كذلك] ينبغي للحجّ أن يكون مظهرًا لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. والحالة المقابلة لذلك هي أن يخلقوا الخلافات والفرقة بين الإخوة، لكنهم يرتبطون بالاستكبار العالميّ وبأمريكا. هذه هي الحالة المقابلة لما أراده الحجّ من الناس، وما أراده للناس، وما شرّعه الشارعُ المقدّسُ لخير الناس، ولصالحهم. ينبغي أداء الحجّ بهذه

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه ممثلي الوليّ الفقيه خارج البلاد، بتاريخ:

١٣٨٢/٤/٢٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٣/٧/١٩ م.

الروحية، وبهذه الحال»^(١). «إنّ الحجّ الإبراهيمي الذي أهده الإسلام للمسلمين، هو مظهر العزّة والمعنويّة والوحدة والعظمة، فهو يستعرض عظمة الأمّة الإسلاميّة وتكّالها على القدرة الإلهيّة الأبدية أمام أنظار الأعداء وذوي النوايا السيئة، ويبرز المسافة الفاصلة بين المسلمين وبين مستنقع الفساد والحقارة والاستضعاف الذي يفرضه المستبدّون والمتغطرسون الدوليّون على المجتمعات البشريّة. الحجّ الإسلاميّ والتوحيديّ هو مظهر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ هو مقام البراءة من المشركين، والألفة والوحدة مع المؤمنين»^(٢).

الصراط المستقيم .. طريق صبر واستقامة وجهاد

«في هذه الحركة، هناك شروط، وهناك طرق وأساليب يجب اتّباعها. يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾^(٣)، وهذا جزءٌ من تلك الشروط. أي أنّ هذه كلّها مفاهيم ينبغي علينا في النظام الإسلاميّ الذي يتشكّل على أساس الفكر الإلهيّ والنبويّ أن

(١) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه القائمين على شؤون الحجّ في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية، بتاريخ: ١٣٩٧/٤/٢٥ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٧/١٦ م.

(٢) من نداء الإمام الخامنئي دام ظلّه لحجّاج بيت الله الحرام في موسم حجّ عام ١٤٣٧ هجريّ، بتاريخ: ١٣٩٥/٦/١٢ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٦/٩/٥ م.

(٣) سورة «الأعراف» المباركة، جزءٌ من الآية: (١٢٨).

نأخذها بعين الاعتبار. هذه هي الأطر والقوالب العامة التي لا يمكننا تجاوزها، ولا ينبغي لنا ذلك ... القضية الأساسية هي أننا نرسم مستقبلاً يتمثل بـ ﴿دَارِ السَّلَامِ﴾^(١)، ونحدد طريقاً عبارة عن ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، وهذا الطريق ليس سوى العبودية للحق ﷻ. في هذا الطريق صبرٌ واستقامة، وفيه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)، وكذلك نجد: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ وغيرها من المفاهيم التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي يجب أن نوليها اهتماماً كبيراً^(٤).

سعي العدو لعدم تطبيق الإسلام بشكل كامل

«الأعداء لا يريدون تطبيق الإسلام بشكل كامل؛ لأن الإسلام إذا طُبّق بشكل كامل فسوف لا يمكنهم إلحاق الضرر به، فلا بد من إضعافه والحيولة دون تنفيذ بعض جوانبه كالقصاص أو القوانين الجزائية؛ حتى يمكنهم الإضرار به. ومن هنا تتضح مسؤولية العلماء

(١) سورة "يونس عليه السلام" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٥).

(٢) الآية السابقة، نفسها.

(٣) سورة "البقرة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢١٨).

(٤) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء الهيئتين التأسيسية والإدارية لمؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث (مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه)، بتاريخ:

١٣٨١/٤/٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٥/٦/٢٠٠٢ م.

والمبْلَغين ورجال الدين - طبعاً هي واضحة، والسادة بحمد الله ﷺ من أهل العلم يدركون واجباتهم بشكل جيّد، ولا نريد إرشادهم إليها، فإنّهم أعرف بها، لكن إنّما نذكر - .

وليعلم الشباب والحديثي العهد بهذا الطريق أنّ هذا الطريق طريق مبارك لا يقبل الهزيمة، وقد توفّرت فيه جميع مستلزمات البقاء بحكمة الله ﷻ.

بلادنا: موطن الجهاد والتعاش، موطن القيم والتوكّل

هنا موطن جهادٍ لصدِّ العدو، وهنا أيضاً موطنٌ للتعاش بسلام في داخل البلاد، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وهنا أيضاً إقامةٌ لعلاقات الصداقة مع الدول وشعوب العالم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾^(١)، وهنا أيضاً جهادٌ ضدَّ إسرائيل وأمريكا: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٢).

هنا تجد كلّ شيء، تجد الدنيا وكذلك الآخرة، وتجد الحفاظ على القيم بدقّة، وتجد السعي وراء الإعمار وبناء العالم المطلوب،

(١) سورة "الممتحنة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٨).

(٢) سورة "الممتحنة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٩).

واكتشاف ثروات هذه الطبيعة بالأيدي الكفوءة، تجد كل شيء. ترى مشاعر الناس وأحاسيسهم، وترى الدعم والمدد الإلهي، وتشاهد العمل، وكذلك التوكل، وعندها يتضح معنى هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١)، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢)، فإن توفرت التقوى، توفرت هذه الأمور معاً، وعندها لن يكون لأي شخص أن يلحق الضرر بالمجتمع»^(٣).

افتخار الشعب الإيراني بأنه يعيش في ظل الإسلام وعزته
 «اليوم بات اسم الإسلام في العالم عنواناً للشجاعة، وطلب العدالة، ومقارعة الظلم. واليوم بحمد الله ﷻ، بات الشعب الإيراني بسبب الشجاعة، والصمود، والمقاومة، والعزة، والهيبة التي أظهرها، قدوةً لكل من يريد مواجهة الحكومات الجائرة والمستكبرة، تتعلم منه الشعوب، وتقلده.

اليوم باتت إيران تعرف بأنها مركز للمقاومة والصمود في وجه أطماع وتوسع قوى الاستكبار العالمي ...

(١) سورة "الطلاق" المباركة، جزء من الآية: (٢).

(٢) سورة "الطلاق" المباركة، جزء من الآية: (٣).

(٣) من كلمة الإمام الخامنه‌ي دام‌ظله خلال لقائه جمعاً من علماء الدين والمبشرين بمناسبة حلول شهر محرم الحرام، بتاريخ: ١٣٧٥/٢/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ١٥/٥/١٩٩٦م.

لهذا إنني أكرّر وأقول: على أمريكا والقوى المستكبرة، وعملائهم، ومرزقتهم الذين يسعون من خلال الإعلام، والمحاولات السياسيّة، وعن طرق الاقتصاد والثقافة أن يحرفوا هذا الشعب عن مبادئه وقيمه، أن يعلموا أنّ هذا الشعب المتمسك بإسلامه، والذي ذاق طعم الاستقلال، والإحساس بالعزّة، سيبقى صامداً في وجه أعتى أعدائه، وسيثبت بكلّ اقتدار أمام مؤامرات وتهديدات أمريكا وتجاوزات بعض القوى العالميّة. وفي النهاية، الذي سترك الساحة هم أعداء شعب ايران، وليس الشعب الإيرانيّ ...

اليوم يفتخر الشعب في كافّة أنحاء ايران، بأنّه يعيش في ظلّ الإسلام وعزّته. حتّى أتباع الديانات السماويّة الأخرى - المسيحيّون، اليهود، الزرداشتيّون - يفتخرون بذلك أيضاً. فجميع أبناء الشعب يعيشون في ظلّ هذا النظام الإسلاميّ الإلهي، كإخوة متحابّين ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، لكنّهم يقفون جميعاً بكلّ اعتزاز وفخار في قبال تطاولات العدوّ المستبدّ والطامع ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. هذا ما تعنيه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. لا يرحمون المعتدي، لكن يتعاملون فيما بينهم كإخوة. هل يوجد في الدنيا مكان كهذا؟!

نفس أوروبا التي تتغنّى بالحرّيّة وحقوق الإنسان، أو أمريكا التي تعتبر نفسها مثلاً للعيش المشترك، إلى الآن، لا تزال فيهما نزاعات

عرقية صارخة. ففي الدول الأوروبيّة، يشتبك أتباع التيّار القوميّ المتطرّف مع غيرهم، يضربون الآخرين في وضح النهار، يقتلونهم. وفي أمريكا، لا ينعم السود - وحتىّ البيض من أتباع الأديان المختلفة لا سيّما المسلمين، رغم أعدادهم الكبيرة في أمريكا - بالأمن والأمان الذي تعيشه الأقلّيات الدينيّة في إيران.

على أدنى حدّ، تشرع الصحف والمجّلات بالتهجّم على الإسلام والمسلمين، مثيرة الخوف في نفوسهم.

هل يوجد في مكان من العالم أخوة يعيشون جنباً إلى جنب بكلّ محبّة، كالذي نشاهده في بلادنا إيران؟!

أيّها الأحبّة! حافظوا على حالة الإخاء والتعايش هذه. احذروا الأعداء؛ فإنّهم يسعون عبر مختلف السبل أن يضربوا هذا التلاحم، وهذه الوحدة الوطنيّة الموجودة في كافّة أنحاء البلاد. احذروا العدو؛ فإنّه يريد إثارة الفتنة. إنّ الشعب الإيرانيّ يواصل بكلّ نضج ووعي، مسيرته ... وإنّ مستقبلاً زاهراً ينتظر هذا الشعب، وهذه البلاد. بفضل من الله ﷻ، ستكون إيران الغدّ، بما يظهر فيها من طاقات متفتّحة، إيراناً عامرةً، وستذهل العالم بتقدّمها وتطوّرها»^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من أهالي مدينة "أرومية"، بتاريخ:

١٣٧٥/٦/٢٧ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٦/٩/١٧ م.

الوحدة في الرؤية الكونية الإسلامية

«الوحدة في الدين الإسلامي الحنيف أصلٌ أساسي، ابتداءً من الذات المقدسة للباري ﷻ التي هي أصل ومظهر الوحدة والوحدانية، إلى آثار هذه الوحدة؛ حيث يتجه كلّ عالم الوجود نحو ذلك المركز العظيم والسامي: ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾^(١). والجميع سائرون نحو الذات الإلهية المقدسة، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢). فحركة عالم الخلقة متّجهةٌ إلى الباري - عزّ شأنه - .

وفي الرؤية الإسلامية تنحصر حركة وصيرورة الإنسان وبقية الموجودات بالسير نحو الله ﷻ، أي على الرغم من اختلاف الأصناف والأنواع، والتفاوت الظاهري في الدوافع، وتنوّع المواطن الجغرافية، وتباين العناصر المكوّنة للموجودات، وما تميّز به من تفاوت فيما بينها، على الرغم من كلّ هذا التنوّع الظاهري، إلّا أنّ عالم الخلقة يسير بأجمعه كالقافلة الواحدة نحو غاية واحدة، هو الله ﷻ.

إنّ سعادة كلّ إنسان رهينة بمعرفته لتلك الغاية ومطابقة سلوكه الاختياريّ معها، ويكمن شقاء وتعاسة كلّ امرئٍ في جهله لتلك الغاية، وعدم التوجّه بسلوكه الفرديّ ومشاعره ومجمل تصرفاته في

(١) سورة "الأنبياء" المباركة، جزءٌ من الآية: (٩٣).

(٢) سورة "آل عمران" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٨).

سياق هذا المسار العامّ والمتسق والشامل لجميع العالم، على أنّه سيُصَفّ بضرِبته. ومثل هذه الوحدة هي الحجر الأساس في الرؤية الكونيّة والتفكير والتصور الإسلاميّ عن عالم الوجود.

لا تعيروا أهميّةً للدّعاءات والدوافع الظاهريّة والفهم المنحرف والخطي من قبل الأشخاص الناقصين والقاصرين؛ فكلّ عالم الوجود كالنهر الجاري صوب نقطةٍ واحدةٍ، ويسير باتّجاه واحد.

مهمّة الأنبياء ﷺ توجيه الإنسان نحو صراط الله ﷻ المستقيم

لقد كانت المهمّة الكبرى للأنبياء ﷺ هي تعريف الإنسان بتلك الغاية القصوى؛ والمقصد الأعلى، وإرشاده إلى الطريق، وليقولوا إنّ الصراط المستقيم هو الصراط إلى الله ﷻ، ويبيّنوا أنّ كلّ القوى الإنسانيّة التي تحت تصرّف الإنسان من عقل، ومشاعر، وحواسّ ظاهريّة، وقدرة، ويد، ورجل، وعين، إضافةً إلى ما في الطبيعة من نِعَم، هي وسائل لكي يطوي الإنسان بها هذا الطريق بصورة أسهل، وإنّ أفضل الناس هو من يعرف هذا الطريق، أي طريق الله ﷻ وهدف عالم الوجود - الذي هو هدف الخلقة نفسه - ويسخر طاقاته ونِعَم الطبيعة لبلوغ هذا الطريق. ولهذا فإنّ كلّ فعلٍ يصدر من عباد الله ﷻ الصالحين، من نومٍ، وطعامٍ، وتجارةٍ، وكلامٍ، ورياضةٍ، ودراسةٍ، وعملٍ

سياسي واجتماعي أو أي نشاط دنيوي آخر، فهو لأجل هذا الهدف. وبالسير صوب هذا الهدف تتكوّن حول الإنسان جنّة، منشؤها انسجام وتجانس مشاعره وإرادته مع المسار الطبيعي لعالم الوجود.

هذه الحياة الإسلامية التوحيدية المعنوية لا يشوبها التناقض والتضاد ولا التصارع والاختلاف. وقد بُعث الأنبياء ﷺ؛ لأجل هذه الحقيقة، ووضعوا أقدامهم بين الناس ليبيّنوا لهم أنّ هذه الاختلافات ظاهريّة وسطحية، وأنّ كلّ ما لديهم من إرادة، وعين، ولسان، وثروة، وقدرة، ومنصب، ووعي سياسي وفني، وعلم، وصناعة، وقوّة سواعد، من الممكن وضعها في خدمة هدف عالم الوجود، كالإنسان الذي يسبح مع تيّار الماء، فلا يبقى أي أثر للصراع والتباغض والحسد والأحقاد في صدره.

التنافر بين وصايا الأنبياء ﷺ ودعوات الشياطين

هذه هي الحياة التي أوصانا بها الأنبياء ﷺ، على العكس ممّا في حياة الشياطين وأشباه الشياطين، التي يسودها التنازع، والتناحر، والسباحة ضدّ تيّار عالم الوجود، وفي الاتجاه المعاكس لهدف الخلقة... الشياطين يدعون إلى الصراع والتناحر. أمريكا تدعو إلى استخدام السلاح، وتجعل الأخ في مواجهة مع أخيه. تُحرّض العراق بشكل

غير مباشر على مهاجمة الكويت، وتهجم هي من جهة أخرى على العراق وتدمّر بلداً بأسره. تثير المشاعر الحيوانية لدى الأشخاص، وتدخل هي إلى الساحة بنفس تلك المشاعر، فالحرب والقتل، وإراقة الدماء، والدمار، ناتج كله عن هذا السلوك الشيطاني. وليس من العيب وصمّ أمريكا بصفة تستحقّها وهي صفة "الشيطان الأكبر". واليوم أيضاً، حينما تنظرون إلى العالم، فأينما تشاهدون حرباً، وسفك دماء، وقتالاً بين الأخوة، إذا دقّقتُم جيّداً، تجدون فيها يداً لأمريكا، وبقيّة شياطين العالم ...

رسالة الإسلام ومنطقه

رسالة الإسلام هي الوحدة والأمن والتآخي، ولأمر المؤمنين ﷺ قولٌ خالدٌ يشمل جميع بني الإنسان، وهو أنّ الإنسان «إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»^(١)، وهو على كلّ حال إنسان، وعلى الناس جميعاً أن يتحدوا ويتحابوا.

وهذا الأمر لا يختصّ بفئةٍ دون أخرى، لذلك أمر الإسلام أتباعه بالإحسان حتّى لمن لا يدين بدينهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

(١) راجع: نهج البلاغة، للشريف الرضي رحمه الله، من كتاب له ﷺ، كتبه للأشتر النخعي رضي الله عنه لما ولاه

يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(١).

هذا هو منطق الإسلام، أي أن من لا يتماشى معك فكرياً، ولديه معتقد آخر، فليس هنا موضع مجازاته على عقيدته، وأمره ليس من شأنك، «وَالْحَكَمُ لِلَّهِ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وهذا أيضاً من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام، فأنت في مقابل إنسان يشترك معك في العقيدة فهو أخ لك في الدين، أو آخر لا يشترك معك في العقيدة فهو نظير لك في الخلق.

وجوب التصدي بشدة للمخلين بحركة الوحدة والأخوة

لكن، هذا الاتحاد وهذه الأخوة تتضمن إستثناءً واحداً فقط، وهو وجوب التصدي بشدة لمن يخل في هذه الحركة الصحيحة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. وهذه الشدة تختص بهذا الموضوع، أما على نطاق الشعب الإيراني، فعلى جميع الشرائح الاجتماعية أن تنظر من هذه الزاوية إلى بعضها الآخر، وإلى أهداف هذا النظام المقدس، وإلى هذا البلد الإسلامي الذي هو موضع أمل مسلمي العالم، أي أن يكون

(١) سورة "المنحنة" المباركة، الآية: (٨).

(٢) راجع: نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه، ص: ٢٣١.

الجميع أخوة متحابين ومتعاطفين، ولهم حقوق أمام الإرادة الإلهية والقانون الإلهي الحاكم على هذا البلد»^(١).

عداء الاستكبار للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان
«العدو - لحسنِ الحظ - له اليوم وجهٌ بارزٌ وظاهرٌ. بالطبع، ليس كل أجزاء العدو ظاهرة، فمن الطبيعي أن يكون له أتباع وأيادٍ تعمل في الخفاء، وتتستر تحت عناوين مختلفة - سواء خارج الحدود أم داخلها - لتكمل مخططه، ولكن الأساس في جبهة العدو واضح: إنه الاستكبار، الذي يتمثل اليوم بأمريكا. عندما نقول: "أمريكا"، لا يعني ذلك أنه ليس لدينا أعداء غيرها، لكن أمريكا هي المظهر الأبرز لهذا العداء في الوقت الحالي. لسنا بحاجة إلى تعداد كل الأعداء بلا سبب، لكن من المؤكد أن أمريكا هي عدو لنا.

وعندما نقول إنها عدوتنا، فإننا نقصد أنها تعادي كل من يقبل الإسلام بجديّة ويسعى إلى تطبيقه. وليس العداء مقتصرًا على الشعب الإيراني وحده. فإذا قرّر أيّ شعبٍ مسلمٍ آخر، في أيّ بقعة من العالم،

(١) من كلمة الإمام الخميني دام ظلّه خلال لقائه جمعاً غفيراً من الفئات الشعبية، بتاريخ:

١٣٧٥/٧/١٨ هـ/ش، الموافق لـ ١٠/٩/١٩٩٦ م.

أن يسلك المسارَ نفسه الذي سلكه الشعب الإيراني - أي أن يطبّق الأحكام الإسلامية في حياته، وأن يعمل وفق قوله ﷺ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١)، وأن يكون: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وأن يقف في وجه هيمنة العدو وسيطرة الأجانب، ويحافظ على استقلاله، وينشر الإسلام، ويطبّق الأحكام الإلهية، ويدعو الناس إلى عبادة الله ﷻ؛ فإن الاستكبار سيعاديه أيضاً^(٢).

لزوم الوقوف بصلافة واستحكام في مواجهة نفوذ الأعداء

«كما وأودّ أن أقول لكم: بأنّ نجاح أيّ شعبٍ في تحقيق طموحاته التقدّميّة، له تناسب عكسيّ مع نفوذ الأعداء والأجانب في ذلك البلد؛ أي أنّه كلّما ازداد نفوذ الأعداء والأجانب - حتّى ولو لم يكن صريحاً - بين الجماهير، وفي الأوساط الشعبيّة والفئويّة المختلفة، وفي المحيط السياسيّ، زادت الشُّقَّةُ وُبعدت بين هذا الشعب وبين تحقيق عزّته ومجده وصناعة مستقبله، وإن كان هذا لا يعني دائماً مناهضة كلّ أجنبيّ وفي أيّ وقتٍ؛ كلّاً، فأحياناً يحسن التسالم مع بعض الأجانب في سبيل المصلحة، ولكنّه لا ينبغي إعطاء

(١) سورة «النساء» المباركة، جزءٌ من الآية: (١٤١).

(٢) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه خلال لقائه أئمة الجُمُعة من مختلف أنحاء البلاد، بتاريخ:

١٣٧٧/٢/٣٠ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٨/٥/٢٠ م.

الفرصة لهذا الأجنبيّ الصديق للقيام بدور في الشؤون الداخليّة لهذا البيت، وهذه العائلة، وهذا البلد، وهذا المجتمع الواحد. لقد اجتثّت تماماً جذور النفوذ الأمريكيّ وسواها من قوى السيطرة الأخرى منذ بداية الثورة في هذا البلد. لم تكن أمريكا وحدها وإن كانت أسوأهم جميعاً. لقد كانوا يفكّرون دائماً في أعمال نفوذهم، وفرض أفكارهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وتحقيق أطماعهم وأهدافهم في هذا البلد بأيّ شكلٍ من الأشكال، ولقد استخدموا شتى الوسائل والأساليب في سبيل ذلك ...

تكتيكات العدوّ تقوم على المناورات السياسيّة المختلفة

وإنّ أكثر الأساليب التي يعتمدونها هو أسلوب المناورات السياسيّة، حيث تتمظهر هذه الممارسات السياسيّة بصور وأشكال مختلفة، فعندما يريد أحدُ السياسيّين بلوغ أهدافه، فإنّه قد يكشّر أحياناً، وقد يتسم أحياناً، وقد يظهر الضيق أحياناً، وقد يهدّد أحياناً، وقد يكرّ أو يفرّ أحياناً أخرى. فهذه كلّها مناورات سياسيّة؛ فيوماً يقولون: لقد أسأنا إلى الشعب الإيرانيّ، وإنّا - مثلاً - نعبر عن أسفنا! ويوماً يصادقون في مجلس الشيوخ على قرار ضدّ الشعب الإيرانيّ. ويوماً يمتدحون الخونة وأشدّ التنظيمات حقداً وعداءً للثورة. ويوماً

يشنون الهجمات الإعلامية ضدّ إيران؛ لأنها أعلنت بكلّ صراحةٍ عن معارضتها للصهيونيّة الغاصبة لفلسطين. ويوماً يخصّصون الأموال الطائلة؛ بغية إسقاط نظام الجمهوريّة الإسلاميّة! فهذه كلّها مناورات سياسيّة، وكلّها أساليب سياسيّة. إنهم يتوسّلون بشتّى الطرق، في إذاعاتهم ووسائلهم الدعائيّة، وفي اتّصالهم بالشخصيّات الداخليّة، وفي خداعهم، فحيثما وجدوا تساهلاً أو ضعفاً في هذا السدّ العظيم الذي أقامه الشعب الإيرانيّ في مواجهة نفوذ الأعداء، فإنّهم يركّزون عليه، ويستغلّونه لبسط نفوذهم ...

لزوم التصدّي للعدوّ بصلابة وعدم السماح له بالنفوذ

ولهذا فإنّ الله ﷻ يقول في سورة "الفتح" المباركة - المليئة بالعبر والدروس - حول أصحاب النبي ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. والمراد بـ "الكفار" هنا ليسوا هم اليهود أو المسيحيّون الذين كانوا يعيشون في المدينة المنورة في كنف الرسول ﷺ، والذين كانت تربطهم علاقات حسنة بالرسول ﷺ وأصحابه، بل المراد بـ "الكفار" هنا أمثال "قريش" الذين كانوا دائمي الإغارة وشنّ الهجمات العسكريّة على الإسلام وعاصمته "المدينة المنورة"، أو أمثال يهود "بني قريظة" ويهود "خير" وسواهم من الذين كانوا لا ينفكّون أبداً عن نقض

العهود والمواثيق، فيذهبون إلى هنا وهناك من أجل تعبئة التجمّعات المختلفة ضدّ الإسلام، وبثّ عوامل الإثارة والإشاعات، أو أولئك الذين كانوا يعيشون في "المدينة المنورة" وهم يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وتربطهم علاقات حميمة بهذه المجموعة من الكُفّار أو تلك. فقلوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ يعني: أشدّاء على هذه المجموعات الثلاث. وأمّا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فمعناه: التعاطف والشفقة والتراحم فيما بينهم. هذا هو المنهج الإسلامي الذي لا يسمح للعدوّ بالنفوذ أبداً في أوساط هؤلاء الأشدّاء.

ما معنى "أشدّاء"؟ إنّها تعني: الصلابة المطلقة. والقرآن الكريم يصف الحديد بقوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(١) أي: قوياً ومستحكماً. فالشدة هنا لا تعني: الظلم أو ضرورة إراقة الدماء، بل تعني: القوة والصلابة والاستحكام. أي أنّ هذا الساتر لا ينبغي أن يكون هشاً، أو متهاوياً، وهذا الجدار يجب أن يكون سالماً من الثقوب والعيوب والفجوات^(٢).

(١) سورة "الحديد" المباركة، جزء من الآية: (٢٥).

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دامّ ظلّه خلال لقائه جمعاً من أعضاء الحرس الثوريّ، الجرحى، طلباء المدارس والجامعات، بمناسبة يوم الحرس، ويوم الجريح، واليوم الوطنيّ لمقاومة الاستكبار، بتاريخ: ١٣٧٩/٨/١١ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٠٠/١١/١ م.

وصية الإمام الخميني عليه السلام الحقيقية

«لا أنسى ذلك اليوم الربيعي من سنة ١٣٦٥ هـ ش^(١) الذي كان الإمام الخميني عليه السلام حينها في المستشفى إثر أزمة قلبية ألزمته الفراش لمدة عشرة أيام أو خمسة عشرة يوماً تقريباً. لم أكن يومها في طهران، بل كنت خارجها. اتصل بي هاتفياً نجله الكريم السيد الحاج أحمد رحمته الله في المكان الذي كنت فيه، وأخبرني بضرورة الحضور سريعاً، أدركت أن شيئاً ما قد حصل للإمام عليه السلام.

كانت المسافة إلى طهران تستغرق عدة ساعات؛ فتوجهت على الفور، وتمكنت من الوصول. انطلقت فوراً إلى طهران ووصلت إليها بعد ساعات، وكنت أول مسؤول في البلاد يصل إلى الإمام عليه السلام بعد عشر ساعات من حدوث هذه الحادثة، وكان أخونا الشيخ العزيز الهاشمي [الرفسنجاني] في جبهات القتال، ولم يكن في طهران، ولم يكن أحدٌ غيرنا مطلعاً على [الوضع الصحي للإمام عليه السلام] مطلقاً.

كانت أياماً عصيبة ومقلقة مرّت علينا في تلك الفترة ... ذهبت لخدمة الإمام عليه السلام، ولم يكن قد زاره أحدٌ غيري بعد، وعندما اقتربت من سريره، وبمجرد رؤيتي إياه بتلك الحال تأثرت بشدة وتغيّر حالي ولم أستطع أن أتمالك نفسي وبكيت، فنظر إليّ الإمام عليه السلام بودّ ولاطفني

وعاملني بمحبة وخاطبني بكلمات مقتضبة حفظتها في ذهني ثم خرجت وجلست ودوتها، وطلبت من أخي العزيز الشيخ الصانعي - الذي كان حاضراً آنذاك معي في الغرفة - أن يساعدني في تذكّر كل ما قاله الإمام عليه السلام، وقد تذكّر جملةً أو جملتين. واحتفظت بتلك الكتابة من أقوال الإمام عليه السلام.

في تلك اللحظة التي تعرّض فيها الإمام عليه السلام لوعكة قلبية، وكنا جميعاً في حالة قلق شديد، كان من الطبيعيّ أنّه هو أيضاً كان ينتظر ويستعدّ لاحتمال حدوث حادثٍ ما، لذا وحسب القاعدة كان من المؤكّد أنّ أهمّ ما كان في ذهنه في تلك اللحظة الحساسة، كان ينبغي أن يقوله، أي في تلك اللحظة الحاسمة.

الجُمْلُ التي قالها عليه السلام - والتي دوّنت منها جملتين أو ثلاث - من الممكن أن تُختصر في تلك الكلمات التي قالها، حيث قال: كونوا أقوياء، توكّلوا على الله تعالى، وكونوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

في نظري، يمكن أن تلخّص وصيّة الإمام عليه السلام التي تتكوّن من ثلاثين صفحة في تلك الجمل القليلة التي قالها هناك: "كونوا أقوياء، لا تشعروا بالضعف، توكّلوا على الله تعالى، وكونوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴿﴾، إذا كنتم معاً، فلن يتمكن أحدٌ من إيذاكم﴾^(١).

درس الإمام الخمينيؑ: لزوم المحافظة على الخطّ الفاصل مع نظام الهيمنة والكفر والاستكبار

«لقد علّم الإمام الخمينيؑ الراحل ﷺ الجميع أن يضعوا جانباً الخطوط الفاصلة بين أفراد المجتمعات الإسلاميّة. هناك خطّ فاصل واحد فقط هو الفاصل بين الإيمان والإسلام، وبين الكفر والاستكبار. الإمام ﷺ علّم هذا للجميع. تلك الخطوط الفاصلة التي علّمنا الإمام ﷺ أننا يجب أن نضعها جانباً، هي الخطوط الفاصلة الطائفية، والخطوط القومية، والخطوط العرقية، والخطوط الحزبية، وأمثالها. قال: اتركوا هذه الأمور جانباً. هناك خطّ فاصل، هو الفاصل بين تحقّق الإسلام والنظام الإسلاميّ والتجسيد السياسيّ للإسلام، مقابل نظام الهيمنة الذي على رأسه أميركا. هذا هو الخطّ الفاصل الذي يجب أن يكون بارزاً، وقد برّزه الإمام ﷺ منذ اليوم الأوّل. ليس من اليوم الأوّل للثورة الإسلاميّة، [بل] من اليوم الأوّل للنهضة؛ أي منذ بدأ الإمام ﷺ هذه النهضة. خمسة عشر عاماً قبل انتصار الثورة الإسلاميّة.

(١) من كلمة الإمام الخمينيؑ دام ظلّه خلال مراسم بيعة أئمة الجُمُعة في جميع أنحاء البلاد، بعد تولّيه دام ظلّه منصب الولاية بعد رحيل الإمام الخمينيؑ ﷺ، بتاريخ: ١٣٦٨/٤/١٢ هـ/ش، الموافق لـ

مستند درس الإمام الخميني عليه السلام وتوصيته

ينشق عمل الإمام عليه السلام هذا من آيات القرآن. إنه يستند إلى هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾^(١).

هذا لا يعني أن كل من يخالفنا في العقيدة نعاديهِ ونبغضه. كلا، يقول الله تعالى في آية أخرى، وهي أيضاً من سورة "الممتحنة" المباركة: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾^(٢). فالله المتعالي قد قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾، إلى ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾^(٣). لذلك، إن مستند توصية الإمام الخميني عليه السلام وعمله هو آيات القرآن ونصوص قرآنية. ليس هناك أي شك في هذا.

خطّ آخر فاصل، وهو الخطّ الفاصل البارز، هو المواجهة بين العالم الإسلاميّ وعالم الكفر والاستكبار. ويجب أن تكون بقية الخطوط الفاصلة باهتة، ولا ينبغي الاكتراث لها: سُنّة، شيعة، إيران،

(١) سورة "الممتحنة" المباركة، جزء من الآية: (٤).

(٢) سورة "الممتحنة" المباركة، جزء من الآية: (٨).

(٣) سورة "الممتحنة" المباركة، جزء من الآية: (٩).

البلد الفلاني، عرب، عجم، لون البشرية، عِرْقُ كذا وكذا... وأمثال هذه الأمور لا ينبغي الاكتراث لها.

لهذا، لاحظتم أنه منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة، برزت قضية فلسطين في بلدنا. تمّ تسليط الضوء على قضية فلسطين. لا أريد المقارنة، لكننا رأينا في العالم الإسلامي الأشخاص الذين تحركوا باسم الإسلام وانتفضوا، ليس فقط أنهم لم يعارضوا الصهاينة الخبثاء، لكنهم عبّروا عن صداقتهم، ولاقوا جزاء ذلك فوراً.

الجمهورية الإسلامية لم ترتكب هذا الخطأ، والإمام الجليل عليه السلام لم يرتكبه. في تلك الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية، سيطروا هنا على المقر الذي كان سفارة غير رسمية للكيان الصهيوني، وأعطوه للفلسطينيين، ووقف الإمام عليه السلام مع قضية فلسطين بوجوده كله.

في الهندسة السياسية للإمام الخميني عليه السلام .. لا فرق بين المجاهد الشيعي والمجاهد السني

بالنسبة إلى الإمام عليه السلام، لم يكن حزب الله الحزب المجاهد الشيعي في لبنان يختلف عن الفصيل الفلسطيني الفلاني المجاهد والمناضل أيضاً. لقد كان ينظر إلى كليهما أنهما مجاهدان في سبيل الله تعالى، ومناضلان من أجل الإسلام. كل من هو أقرب إلى الجمهورية

الإسلامية وعملنا وسلوكنا ومواقفنا، من الطبيعي أن يكون أقرب إلينا. هذا مهم جداً ... وإلى اليوم أيضاً، الجمهورية الإسلامية متأثرة بهذه الهندسة السياسية للإمام الخميني الجليل عليه السلام. لقد رسم الإمام عليه السلام هذه الهندسة السياسية للنظام الإسلامي، ولا نزال نتابعها اليوم، وإن شاء الله تعالى، فسيكون الأمر نفسه في المستقبل أيضاً.

إن مراد الإمام عليه السلام هو: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. نحن لم نطلب من الدول أبداً أن يتبعوا النموذج والشكل السياسي لنظامنا. كلاً، لم نقل هذا إطلاقاً لأية دولة، ولن نقوله.

كلامنا: يجب أن تعملوا وفق أصول الشريعة الإسلامية، وهذا يتطابق مع الآية التي قرأتها: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، في سورة "الفتح" المباركة، فهي من هذا القبيل. هذه أصول إسلامية. وإن شاء الله تعالى، سوف نقف ضد التفرقة في المستقبل أيضاً، ولا نزال واقفين اليوم.

ردّ فعل نظام الهيمنة والاستكبار على الخطّ الفاصل معه

النقطة الأخرى أننا حينما نرسم هذا الخطّ، نسلط الضوء على هذا الخطّ الفاصل بين العالم الإسلامي العظيم - وسأقدم الآن شرحاً موجزاً في هذا الصدد - وبين عالم الهيمنة والاستكبار والاستعمار،

وهذا له ردّ فعل حُكماً؛ إنه ثَقِيلٌ جداً بالنسبة إليهم.

لقد اعتاد عالم الاستكبار أن يتجبر، وألّا يبدي أحداً رداً قاطعاً أمام تجبره. هذا العالم الذي لربّما مرّ أكثر من قرن على اعتياده الغطرسة والإملاء والاعتداء على الشعوب، يرى الآن شعباً في مثل هذه النقطة الحساسة من العالم، وهذه الرقعة الجغرافية المهمة، قد تصدّى بصدوره، وها هو يشجّع بسلوكه وكلامه المسلمين على الصمود في وجهه، في وجه الاستكبار. من الطبيعي أن يكون هذا الأمر مرفوضاً لهم، فينصبون العداء، وهذا الأمر ثَقِيلٌ عليهم.

أن يجري إحباط المخططات الإجرامية لأميركا في مختلف الدول على يد الجمهورية الإسلامية، هذا الأمر يغضبهم، ونموذجٌ على ذلك «داعش»؛ «داعش» كان صنيعة أميركا، وهم أقرّوا بهذا المعنى. حسناً، حين تدخل الجمهورية الإسلامية الميدان وتقف في وجه هذه المؤامرة وهذا المخطط بوجودها كلّها، لا يمكنهم تحمّل هذا الأمر. لذلك، يبدوون ردّ الفعل. إنّ المنشأ والمبدأ لكلّ دعايات "رُهاب إيران" و"رُهاب الشيعة" واتّهام إيران بالتدخل في هذا البلد وذاك، هما غضب أميركا وسخطها نتيجة إبطال مخططاتها. لذا، ترون أنّهم يحاولون بإمكاناتهم كلّها والأساليب الدعائية شتى، بثّ "رُهاب إيران" و"رُهاب الشيعة"، كلٌّ على حدة ...

سياستنا هي الوقوف ضدّ جرائم نظام الهيمنة، وهذا يغضبهم، فيتهمون الجمهوريّة الإسلاميّة ...

هدف الاستكبار: عكس الحدود التي رسمها الإمام عليه السلام

من الجهود التي يجب الاهتمام بها كثيراً، أنّ الاستكبار يريد أن يعكس هذه الحدود التي رسمها الإمام الخمينيّ عليه السلام، أي تسليط الضوء على الخطوط الفاصلة في العالم الإسلاميّ، عبر الحرب الشيعيّة - السنّة، وحرب العرب والعجم، وأحياناً الحرب الشيعيّة - الشيعيّة، والحرب السنّة - السنّة، التي ترونها الآن أمام أعينكم في بلدان مختلفة، حرب فصيل سنّيّ مع فصيل سنّيّ، وفصيل شيعيّ مع فصيل شيعيّ؛ هذه أعمال الاستكبار، وهذه أعمال أميركا. إنّ ذلك بسبب تحريضهم وتخطيطهم، وهو موجود، مع الأسف. لا بدّ من الحذر، فهذه رغبة الشيطان.

أمريكا الشيطان الأكبر

قال الإمام الخميني عليه السلام: "إنّ أميركا هي الشيطان الأكبر"^(١)،

(١) صحيفة الإمام عليه السلام، ج ١٦، ص ١٥٤؛ رسالة إلى الشعب الإيراني بمناسبة ذكرى تأسيس

الجمهوريّة الإسلاميّة بتاريخ ١٩٨٢/٠٤/٠١ م. يقول عليه السلام: «إنّهم يحظون بدعم القوى

الكبرى، ولا سيّما الشيطان الأكبر، أميركا»

والقرآن يقول: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(١). لا خصوصية للخمر والميسر هذا، فالشيطان يريد أن يوقع بينكما عداوةً وبغضاءً، ومن أدوات الخمر والميسر، وإذا استطاع أن يوقع العداوة والبغضاء بوسائل أخرى، فإنه سيفعلها بالطبع. لذلك: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، فأينما ترون العداوة والبغضاء، ينبغي أن تروا يدَ الشيطان»^(٢).

لزوم عودة الشعوب الإسلامية إلى الإسلام

«على الشعوب الإسلامية أن تعود إلى الإسلام. طبعاً فإنَّ الأبواب قد شُرِّعت اليوم. كان القرن الماضي، أي القرن الرابع عشر الهجري، قرن صيحة دعاة الإسلام. من أوائل القرن، حين أعطى الميرزا الشيرازي رحمته الله - المرجع الإسلامي الكبير - الفتوى الحاسمة في تصديهِ للشركة الإنجليزِيَّة، وحرَّك شعباً، مروراً بوقائع الثورة الدستوريَّة في إيران، إلى الحركات الإسلاميَّة في الهند، إلى الصحوة الإسلاميَّة في غرب العالم الإسلاميّ - الشرق الأوسط ومنطقة شمال أفريقيا -

(١) سورة "المائدة" المباركة، جزءٌ من الآية: (٩١).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه المشاركين في المؤتمر السابع للمجمع العالميّ

لأهل البيت عليهم السلام، بتاريخ: ١٤٠١/١٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٩/٣ م.

والعلماء الأجلاء الذين تحدّثوا، وأمثال السيّد جمال الدين الأفغاني، وآخرين وآخرين، كان القرن قرن الصيحة، وقرن النضالات، وكان القرن اللاحق قرن التجربة.

القرن الذين نحن فيه اليوم، هو قرن التجربة. كان القرن الرابع عشر الهجريّ قرن الصيحة والصحوّة والإعلان، والقرن الخامس عشر، من البداية ومنذ مطلعها، هو قرن التجربة والمبادرة.

تجربة الجمهوريّة الإسلاميّة نموذجٌ أوّل

نحن نرى أنّ الشعوب الإسلاميّة خاضت التجارب، وهي تعمل، وقد كانت الجمهوريّة الإسلاميّة نموذجاً، وكان هذا النموذج هو الأوّل. ولقد واجهنا مشاكل كثيرة؛ لأنّنا كنّا النموذج الأوّل. على المسلمين أن يكتسبوا تجربةً من هذا النموذج. يمكن للشعوب التي تريد اليوم أن تؤسّس حركة إسلاميّة في بلادها، أن تقدّم عملاً أشمل من الشعب الإيراني، وتستعرضه، إذا أعان الله ﷻ، وإذا بذل هؤلاء همّةً.

لا سبيل للمسلمين إلّا بالعودة إلى الإسلام، لا سبيل لهم إلى بثّيت حاكميّة الإسلام، وتطبيق العمل الإسلاميّ. ولا ينبغي تأمل أي مواكبة من قبل أعداء الإسلام القدماء والحاquدين عليه، ولا ينبغي أيضاً أن يكون هناك أملٌ بأن يتحمّلوا. انظروا أنتم ماذا فعلوا بالشعب

الإيرانيّ في هذه السنوات التي مضت على انتصار الثورة الإسلاميّة؟... وماذا كتبوا؟ وكيف تعاملوا؟ هذه تجربةٌ للشعوب الإسلاميّة.

أرفع تجربة المسلمين: انتصار الشعب الإيراني ببركة الإسلام
ما من تجربة أحلى وأكثر حيويّة وأكثر جاذبيّة من هذه: أن استطاع شعب الصمود طوال ثلاثة عشر عاماً، رغم كل هذه الضغوطات عليه من قبل الأطراف، وفرض حرب لثمانية أعوام، ومختلف الضغوطات الاقتصادية والسياسيّة والثقافيّة، والغزو العسكري، ورغم إرادة العدو والقوى العظمى، وجباة العالم، ويصير قوياً يوماً فيوماً: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(١).
هذه هي حال الشعب الإيراني اليوم. لقد استطاع شعبنا أن يقف على رجليه، أن يتحرّك، أن يتقدّم، أن يحبط المؤامرات، أن يجعل وراء ظهره حرباً بتلك العظمة، أن يُخفّق أعداءه المتآزرين في هذه الحرب، وكان كل هذا ببركة الإسلام. لا تجربة للمسلمين أرفع من هذه^(٢).

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه خلال لقائه وفوداً شعبيّة ومسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بمناسبة المبعث النبوي الشريف وحلول "عشرة الفجر" ذكرى انتصار الثورة الإسلاميّة المظفّرة، بتاريخ: ١٣/١١/١٣٧٠ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠٢٢/٢/٢٠ م.

طريق الثورة لم يكن سهلاً وممهّداً

«أعزائي! هذا الطريق لم يكن سهلاً؛ هذا الطريق لم يكن طريقاً ممهّداً، ولكن لطف الله ﷻ وتأييده كانا خلف رواد هذا الطريق. ذلك الإمام العظيم ﷺ، تلك الشخصية الجليّة، هذا الشعب الشجاع، والشباب، والموالون، والمؤمنون الحقيقيّون، والمضحّون بأنفسهم في كلّ مكان من هذا البلد ... على مدى سنوات طويلة قبل انتصار الثورة، كم قالوا! وكتبوا! وقاموا! بعضهم عبر كتابة مقالات علميّة، وبعضهم عبر الشّعْر، وبعضهم عبر الرسائل والبيانات السياسيّة. من بين كثرة الجهود المتنوّعة، برز صرح النظام الإسلاميّ الشامخ والعظيم؛ شجرة طيّبة كانت جذورها مغروسة في تربة الفطرة الإسلاميّة النقيّة لشعب هذه الأرض، وهطل عليها مطر رحمة توفيق الله ﷻ، فنمت وتطوّرت، رغم الأعداء الذين لم يريدوا ذلك، ﴿يَعْجَبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(١). نعم، أثارت غضب وحقن الكفّار، صرّوا أسنانهم ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء.

لا يُظَنُّ أَنَّ العدوَّ قَصُرَ؛ العدوَّ لم يُقَصِّرْ، العدوَّ فعل كلّ ما في وسعه: قام بهجوم عسكريّ مباشر في "طبس"؛ نظّم هجوماً عسكريّاً لجارٍ لمدة ثمانين سنوات؛ شنّ هجوماً اقتصاديّاً من جميع الجهات؛

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزء من الآية: (٢٩).

وقام بهجوم سياسي ودعائي على مدى إحدى وعشرين سنة دون أي توقف، ولكن نتيجة كل هذا هو أن حكومة الإسلام وراية الإسلام تواصل حياتها ونموها اليوم، بصلابة مضاعفة، مع شعب ثابت وصامد، وحكومة فعالة، ومسؤولين مخلصين^(١).

انتصار الثورة الإسلامية: حدث عظيم البركة

«إن بعض الأحداث هي أكبر مما يلاحظ ويرى منها في بداية الأمر. أحياناً يتخذ حدث ما أبعاداً وجوانب متعددة، قد لا يتوقعها حتى الذين قاموا بذلك الحدث أنفسهم.

ورد في القرآن الكريم ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ﴾، حيث تذكر الآية صفات في تصوير أنصار النبي الأكرم ﷺ، ومؤمني صدر الإسلام والمجاهدين العظام؛ وتشبهم بالنبتة التي شقت التراب، ونمت بشكل تدريجي، ووصلت إلى حالة جعلت الزُّرَّاع أنفسهم - الذين بذروا هذه النبتة وزرعوها - يتعجبون من رشدتها ونموها.

حدث "التاسع عشر من بهمن" كان من هذا القبيل. في ذلك اليوم، لم تكونوا تدركون أبعاده التي اتسعت وظهرت بشكل

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال المراسم الصباحية المشتركة لقوات الشرطة في محافظة

"أردبيل"، بتاريخ: ١٣٧٩/٥/٤ هـ/ش، الموافق لـ ٢٥/٧/٢٠٠٠ م.

تدريجيّ. وإذا نظرنا من زاويةٍ أوسع، فإنّ أصل الثورة كان كذلك في ذلك اليوم.

حين بدأ الإمام الخمينيّ العظميّ قِيَامَهُ ونهضته في العام ١٩٦٢م، لم يكن ليخطر على بال أحدٍ حينها كلّ هذا الانتشار العظيم وهذا التاج المدهش، ولكن هذا ما حصل؛ وبالتأكيد، هناك أسباب تفسّر البركات الوفيرة لحدثٍ ما - وهي ليست محلّاً للبحث الآن - وعلى كلّ حال، فإنّ "حدث التاسع عشر من بهمن" كان حدثاً عظيماً البركة^(١).

الإمام الخمينيّ عليه السلام وأحيا الإسلام ومنح المسلمين القوة والعزة
«قال الله الحكيم في كتابه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٢)... إنّ أحداً لا ينكر، ولا يستطيع أيّ منصفٍ أن ينكر، بأنّ إمامنا [الخميني] العظميّ عليه السلام ومنح الإسلام والمسلمين القوة والعزة. كان أعداء الإسلام يريدونه ضعيفاً، وقد سعوا لإخراج الإسلام من ساحات

(١) من كلمة الإمام الخامنّي عليه السلام خلال لقائه قادة وأفراد القوة الجوّية في الجيش الإيراني بمناسبة الذكرى السنويّة لمبايعة ضباط القوة الجوّية التاريخيّة للإمام الخميني عليه السلام، بتاريخ:

١٣٩٢/١١/١٩ هـ، ش، الموافق لـ ٢٠١٤/٢/٨ م.

(٢) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

العمل، بل لإخراجه من عقول الشعوب المسلمة فضلاً عن غيرها. المؤسف أنهم وُفقوا إلى حدٍّ ما في ذلك، والحكومات الفاسدة والتابعة شاركت في هذه السياسة القذرة بالتنسيق الكامل مع الاستكبار والشبكة العالمية المعادية للإسلام، فأعاد إمامنا العظيم ﷺ بثورته هذه، الحياة للإسلام والحيوية والنشاط للمسلمين.

بات الإسلام اليوم الأمل والطموح لجيل الشباب الناهض والمتقّف في الكثير من الدول. وأحد النماذج الحية، فلسطين العزيزة. منذ سنين ويُتحدّث باسم القضية الفلسطينية ويُناضل، لكن النتيجة كانت الفشل وعدم النجاح. أمّا اليوم فالشعب الفلسطيني يقاوم ويناضل باسم الإسلام، لذا انتقل النضال من كونه على هيئة منظمات ومجموعات وشخصيات وزعامات إلى صفوف عامّة الشعب. وهكذا نضالٌ لن يفشل أبداً. إن استمرّ النضال شعبياً، فسوف ينتهي بالنصر بلا ريب. هذا ببركة الإسلام الذي أحيا الإمام ﷺ اسمه، وأيقظ الضمير الإسلاميّ في المسلمين»^(١). «كان إمامنا الخمينيّ العزيز رشحاً من ذلك النبع الفيّاض حيث استطاع إطلاق هذا المشروع العظيم في العالم. هو أيضاً كان قلبه مفعماً بالإيمان بمساره. وكما قال القرآن

(١) من كلمة الإمام الخامنيّ دام ظلّه في الذكرى الثانية لرحيل السيّد الإمام روح الله الموسويّ

الخمينيّ ﷺ، بتاريخ: ١٣٧٠/٣/١٤ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩١/٦/٤ م.

الكريم: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ﴾^(١). الرسول ﷺ نفسه كان أوّل المؤمنين. وفي ثورتنّا، كان الإمام الخمينيّ الجليل المؤمن قبل غيره بهذا السبيل والمفعم قلبه بالإيمان بهذا الطريق وهذا الهدف؛ كان يدرك ويعرف ماذا يفعل.

كان ﷺ يدرك عظمة هذا العمل ومستلزماته، وأوّل مستلزماته هو أن يقف بصلابة في هذا الطريق بالتوكّل على الله ﷻ، فوقف بقوة وصلابة. واستلهم شباب هذا الشعب الصمود من صموده. وحينما فاضت ينابيع الصبر والسكينة هذه شملت جميع أبناء الشعب، فصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(٢). حينما تنزل هذه السكينة في قلوب الناس يتضاعف إيمانهم.

ثمّ يقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ممّ تخافون؟ جنود الأرض والسماء لله ﷻ. كن مع الله ﷻ تكن لك وطوعك جنود الأرض والسماء. هذه هي السنن الإلهيّة^(٣).

(١) سورة البقرة المباركة، جزء من الآية: (٢٨٥).

(٢) سورة الفتح المباركة، جزء من الآية: (٤).

(٣) من كلمة الإمام الخامنئي دامّ ظلّه خلال لقائه وفوداً شعبيّة ومسؤولي النظام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بمناسبة المبعث النبويّ الشريف، بتاريخ: ١٣٨٧/٥/٩ هـ/ش، الموافق لـ

الإسلامُ الأصيلُ إسلامٌ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

«ينبغي على الناشطين المخلصين في العالم الإسلامي أن يفرقوا بنظرة واعية بين الإسلام المحمدي الأصيل والإسلام الأمريكي، وأن يحذروا ويحذروا من الخلط بين هذا وذاك. ولقد اهتم إمامنا الراحل رحمته الله لأول مرة بالتمييز بين المقولتين، وأدخل ذلك في القاموس السياسي للعالم الإسلامي.

فالإسلام الأصيل هو: إسلام النقاء والمعنوية، إسلام التقوى والسيادة الشعبية، إسلام ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. **والإسلام الأمريكي هو:** العمالة للأجانب، ومعاداة الأمة الإسلامية بزي الإسلام!

الإسلامُ المتّحدُ مع أمريكا نفاقٌ خطرٌ ومُهْلِكٌ

إنّ الإسلام الذي يُشعل نيران التفرقة بين المسلمين، ويضع الثقة بأعداء الله ﷻ بدلاً من الثقة بالوعد الإلهي، ويشنّ الحرب على الإخوة المسلمين بدلاً من مكافحة الصهيونية والاستكبار، ويتّحد مع أمريكا المستكبرة ضدّ شعبه أو الشعوب الأخرى ليس بإسلام، إنّهُ نفاقٌ خطرٌ ومُهْلِكٌ يجب أن يكافحه كلّ مسلم صادق.

إنّ نظرة مقرونةً بالبصيرة والتفكير العميق توضّح هذه القضايا

والموضوعات الهامة في واقع العالم الإسلامي لكلِّ باحثٍ عن الحقِّ،
وتحدّد الواجبات والتكاليف الراهنة بلا غموض^(١).

القضية الأساس: تعزيز العلاقات وإزالة الخلافات

«لقد خلقوا اليوم مثل هذه الأوضاع في المنطقة، وأجّجوا نيران الاختلاف، ولا بدّ من صبّ الجهود للقضاء على هذه الاختلافات. ولقد أعلنّا للجميع بكلّ صراحة: إنّنا نمدّ يد الصداقة إلى كافّة الدول الإسلامية في المنطقة، ولا يوجد لدينا أيّة مشكلة مع الحكومات المسلمة. إضافةً إلى أنّ علاقاتنا مع الكثير من جيراننا، بل معظمها علاقات أخويّة وديّة. وإنّ للدول المحيطة بالجمهورية الإسلامية من الشمال والجنوب والغرب والشرق معنا علاقاتٍ وطيدة. وبالطبع فإنّ البعض منهم يصبّ الزيت على الاختلافات من قريب أو بعيد، ويلجأ إلى العناد والخبث، إلّا أنّ الأساس من جانبنا يقوم على العلاقات الحسنة مع الدول الجارة وشعوبها، كما وترتبط بين بلادنا والشعوب الأخرى علاقات وثيقة. علماً بأنّنا نؤمن بالثبات على المبادئ والالتزام بالأصول، ونقول بضرورة الحفاظ عليها.

(١) من نداء الإمام الخامنئي دام ظلّه لحجّاج بيت الله الحرام في موسم حجّ عام ١٤٣٥ هجريّ،

بتاريخ: ١٣٩٣/٧/٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٤/٩/٣٠ م.

مبادئ ثورة الإمام الخميني عليه السلام .. نهج للجمهوريّة الإسلاميّة

لقد استطاع إمامنا الخميني عليه السلام العظيم عليه السلام بفضل الثبات على المبادئ، سَوَّقَ الثورة إلى النصر وصيانتها وإرساء دعائم الجمهوريّة الإسلاميّة، فلقد كان ملتزماً بالمبادئ والأسس. ومن هذه المبادئ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. فإننا لا نبني بنياننا مع الأعداء والمستكبرين على أساس المصالحة والمساومة، ومع الإخوة المسلمين على أساس العداوة والخصومة، بل نفتح معهم باب الصداقة والرفاقة والأخوة؛ لأننا نعتقد بضرورة أن يكون الناس ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فإنّ هذا هو الدرس الذي نفتسه من إمامنا الجليل عليه السلام، وهو النهج المؤكّد للجمهوريّة الإسلاميّة. إذ إنّنا في دعم المظلوم لا ولم ننظر إلى مذهب الطرف الآخر، وهذا هو نهج إمامنا العظيم عليه السلام، حيث تعامل مع المقاومة الشيعيّة في لبنان كما تعامل مع المقاومة السنيّة في فلسطين دون أيّ فارق. وقد دعمنا إخواننا في لبنان كما دعمنا إخواننا في "غزة" دون أيّ اختلاف، رغم أنّ أولئك كانوا من أهل السنّة وهؤلاء من الشيعة. بيد أنّ القضية بالنسبة لنا هي الدفاع عن الهوية الإسلاميّة، ومناصرة المظلوم، ودعم القضية الفلسطينيّة التي تقف اليوم على رأس قضايا المنطقة الإسلاميّة؛ هذه هي قضيتنا الرئيسة.

دستور الإسلام .. سبيلنا ونهجنا

ولا يوجد فرق في عدائنا أيضاً، فقد حارب الإمام الخمينيُّ العظيم عليه السلام "محمد رضا بهلوي" الذي كان شيعياً في ظاهره، كما حارب "صدام حسين" الذي كان سنّياً بحسب الظاهر، وبالطبع لا ذاك كان شيعياً ولا هذا كان سنّياً، بل كانا كلاهما أجنبيّين عن الإسلام، غير أنّ هذا يتظاهر بالتسنن، وذاك يتظاهر بالتشيّع، وقد واجههما الإمام عليه السلام على حدّ سواء. فالقضية ليست قضية شيعية وسنية وقضية طائفية وما إلى ذلك، وإنما هي قضية الأسس الإسلامية: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»^(١). هذا هو دستور الإسلام، وهذا هو سبيلنا ونهجنا»^(٢). «ومن حيث ما هو مميّز للنظام الإسلامي في العالم - أي العزّة والاستقلال والمناعة في مواجهة الكفار - ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، اليوم نظامنا هو نظام ناجح ومتقدّم»^(٣)، «ولقد منّ الله ﷻ علينا بفضلِهِ منذ أوّل الثورة، وقد شاهدنا يد القدرة الإلهية بكلّ

(١) راجع: نهج البلاغة، للشريف الرضي عليه السلام، الخطبة: ٤٧، من وصية له للحسن والحسين عليهما السلام.

لما ضربه ابن ملجم عليه السلام، ص: ٤٢١.

(٢) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، واتّحاد الإذاعات والقنوات المرئية الإسلامية، بتاريخ: ١٣٩٤/٥/٢٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٥/٨/١٧ م.

(٣) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من أساتذة وفضلاء حوزة "قم المقدسة" وطلّابها، بتاريخ: ١٣٧٠/١١/٣٠ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٢/٢/١٩ م.

وضوح، ولمسنا رعاية بقيّة الله الأعظم - أرواحنا له الفداء - في مختلف الأحداث والقضايا، وهذا ما وعدنا به ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾^(١) ^(٢).

الثورة كائنٌ حيٌّ ينمو ويسمو ويتكامل

«[هذه] الثورة كائنٌ حيٌّ. والذين يتصورون أنّ الثورة كانت بارقةً برقت وانتهت، بعيدون جداً عن معرفة حقيقة الثورة. لا، الثورة حقيقة حيّة، وكائن حيٌّ له ولادته ونموّه وقوامه وعمره الطويل في حال من الحالات، وله أمراضه وموته ونهايته في حالات أخرى. هكذا هي الثورة، كأيّ كائن حيٍّ آخر. لأنّ الثورة كائن حيٌّ لذلك له تقدّمه ونموّه ورشده وكماله وقوامه.

لاحظوا أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾^(٣): أي إنّ مثل أصحاب الرسول ﷺ، والمجتمع الإسلاميّ - أي أولئك الثوريّون -

(١) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

(٢) من كلمة الإمام الخامنئي دام ظلّه خلال لقائه مسؤولي النظام، بمناسبة مولد الرسول الأعظم ﷺ وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بتاريخ: ١٠/٤/١٣٧٨ هـ/ش، الموافق لـ ١٩٩٩/٧/١ م.

(٣) سورة "الفتح" المباركة، جزءٌ من الآية: (٢٩).

كمثل النبات الذي ينبت ويخرج من الأرض ويفصح عن نفسه، ثم ينمو ويقوى جذعه تدريجياً ويرتفع ويكبر ويتحول شيئاً فشيئاً إلى موجود مستقرّ مبارك مثير للإعجاب. وما هو سبب إثارته للإعجاب؟ يقول بعد ذلك: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾. إنه مذهش ومثير للإعجاب حتى بالنسبة للشخص الذي زرعه. ﴿لِيُغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، ويتسبّب في غيظ العدو. هكذا هي الثورة. يمكنها أن تنمو وتسمو وتتكامل يوماً بعد يوم^(١).

جامعة الإمام الحسين (عليه السلام): ﴿كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ... يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

«حسناً، بالنسبة إلى جامعة الإمام الحسين (عليه السلام) العسكرية ... إن هذه الجامعة هي مكان رشد وازدهار براعم تفتّحت في أرض خصبة. هذه الجامعة هي المكان الذي يمكنه إيصال الأشخاص ذوي الأهلّة إلى ذلك المستوى الذي يجعل أيّ إنسان يمتلك معرفة بارزة، يشعر بالغبطة عندما يشاهد هذا المستوى.

إنسانٌ مثل إمامنا الخميني العظيم (رحمه الله)، صاحب هذه الشخصية

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه قادة ومنتسبي القوة الجوّيّة في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بتاريخ: ١٩/١١/١٣٩٦ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠١٨/٢/٨ م.

الجليلة، الشخصية العلمية والمعنوية، هذا العالم بالدين، ذلك الفقيه، ذلك الحكيم، لم يكن الإمام عليه السلام شخصاً عادياً، عندما يرى مقام مقاتلي الإسلام وشهداء هذا الطريق، فإنه ينظر بغبطة، وقد تكرر هذا المعنى في كلامه وأقواله مراراً.

ثمار الثورة الإسلامية تُغيظ الكفار وتُغضبهم

هذه الجامعة توصل الإنسان الشاب إلى ذلك المستوى. إن هذه الجامعة هي مصداق لهذه الآية الشريفة: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. حتى أولئك الذين بنوا هذه المزرعة انفسهم، يندهشون أحياناً ويُعجبون من محصولات هذه المزرعة! مزرعة مفعمة بالبركة، ويمكنها إنتاج مثل هذه البراعم والشتول المثمرة وإعدادها وتربيتها، ثم تقديمها إلى المجتمع.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: الكفار أيضاً يصيبهم الغيظ والغضب من الشباب الذين يترّبون هنا.

عندما ننظر اليوم نشاهد بوضوح، كيف أنه يوجد بين مختلف فئات شعبنا بعض الفئات التي تتعرض دوماً إلى أمواج حقد الاستكبار في إعلامه العالمي، وتصريحات زعمائه، وفي طيات

مؤامراته. وعلى رأس هذه الفئات يقع "حرس الثورة الإسلامية". لماذا؟ لماذا يكرهون الحرس إلى هذا الحد؟ لماذا يعادون هذا الشاب الشريف الذي يتربى هنا ويصل إلى الرشد والتكامل المعنوي، إلى هذه الدرجة؟ لأنه مصدر اقتدار هذا البلد. هذه نقطة بالغة الأهمية. إن سبب عداوتهم هو أن هذه المجموعة هي مصدر قوة واقتدار البلاد. كل ما يشكل رصيلاً لاقتدار إيران الإسلامية، يكون محلاً لكره هؤلاء وحقدهم وغيظهم^(١).

ينبغي أن نشكك في فائدة سلوكنا الذي لا يُغيظ أعداءنا
«وعندما أنظر إليكم - الشباب وطلّاب العلوم الدينيّة الشباب -
أرى الغرسات المزهرة الباسقة لبستان الإمامة والولاية. بحمد الله ﷻ،
فإنّ هذه الغرسات قد استطالت واستوت على سوقها، بعضها أثمر،
بعضها الآخر يمنح الإنسان ثقةً بأنّها ستثمر ... ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْآخِرِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّارِعَ لِيُغِيزَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. وهذه النقطة الأخيرة مهمّة جداً. إنّ
وقوفكم على أرجلكم، ونموّ قاماتكم، وتضاعف رشدكم المعنويّ

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه خلال مراسم تخريج طلّاب جامعة الإمام الحسين عليه السلام العسكريّة

التابعة لحرس الثورة الإسلاميّة في إيران، بتاريخ: ١٣٩٦/٢/٢٠ هـ/ش، الموافق لـ

وقدراتكم المختلفة، تعجب الزرّاع وتبهرهم. إنّ الذين نشروا هذه البذور، عندما ينظرون ويرون هذا التقدّم في المجالات المتعدّدة وهذه الأفكار الجديدة وهذه الوجوه المستبشرة، تتابهم الدهشة والمسرّة! والأهمّ من هذا، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فهذا الازدهار يغضب أعداءكم، وهذا ما ينبغي أن يكون. إذا شاهدنا أنّ سلوكنا بالشكل الذي لا يغضب منّا أعداء الدين وأعداء الإسلام وأعداء سيادة القرآن، ولا ينزعجون من وجودنا، يجب أن نشكّ في كوننا مفيدين. إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الحزم وتلك الحركة وما شابه، ينبغي أيضاً أن يغضب منه أمثال معاوية وعمرو بن العاص أو غيرهم، وأنتم أيضاً تسيرون في هذا الدرب ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(١).

ختمٌ ودعاء:

«الإنسان مزيجٌ من الحبِّ والكره. في داخل كلّ منكم مشاعر الحبِّ، وكذلك مشاعر البغض والعداء. هذا طبيعيٌّ في كلّ إنسان. هناك أشياء يحبّها وروح الحبِّ موجودة فيه، وروح الكراهية والعداء موجودة أيضاً. والإسلام قد حدّد تكليف هذه المشاعر، فقد قال:

(١) من كلمة الإمام الخامنّي دام ظلّه خلال لقائه جمعاً من طلّاب العلوم الدنيّة في الحوزات العلميّة في محافظة "طهران" بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد، بتاريخ: ١٣٩٦/٦/٦ هـ/ش، الموافق

روح العداة والكراهية فيكم يجب أن تكون موجّهةً فقط نحو أعداء الله ﷻ وأعداء النظام الإسلاميّ وأعداء الشعب. انظروا إلى أولئك الذين يعادون الله ﷻ ورسوله ﷺ والمجتمع الإسلاميّ، والأمة المسلمة، ووجّهوا العداة نحوهم؛ أمّا باقي وجودكم فليكن محبةً ووداً تجاه أفراد المجتمع. حاولوا أن تحبّوا الجميع؛ هذا تعليم إسلاميّ، وهذا ليس أمراً سيئاً.

لا ينبغي البحث عن ذريعةٍ لتحويل العداة إلى سببٍ يجعل الإنسان يستبعد أيّ شخصٍ من دائرة محبّته ويلقي به بعيداً، لا، فجوّ المجتمع الإسلاميّ هو جوّ الألفة، حتّى مع من لا تعرفونه.

كذلك يجب القضاء على روح سوء الظنّ وروح التشاؤم تجاه الأفراد في النظام الإسلاميّ. سوء الظنّ من سمات الأنظمة غير الإسلامية. عندما يكون الشرّ هو الغالب، وعندما يكون الظلم هو الحاكم، وعندما تكون زمام الأمور بيد غير الله ﷻ في المجتمع، عندها لدينا روايات تقول إنّ حسن الظنّ هو سداجة، ويجب النظر إلى كلّ ظاهرةٍ بعين الشكّ وسوء الظنّ. ولكن عندما يكون الحقّ هو الغالب، وتكون الحكومة تابعة لله ﷻ وعباده، ويكون الطريق هو طريق الدين المستقيم، هنا يجب التخلص من سوء الظنّ والتحليّ بحسنِ الظنّ، إلّا إذا ثبت للإنسان عكس ذلك. هذا هو الواجب الإسلاميّ.

يجب أن يمتلئ الجوُّ الإسلاميُّ والمجتمعُ الإسلاميُّ بهذه الصفات، وهذا ما كان يفعله النبيُّ الكريم ﷺ بأساليبه، بتعاليمه، بحضوره بين الناس وشرائع المجتمع، وبمبادراته الرائعة في كلِّ حالةٍ. وأتمنّى أن يمنحنا الله ﷻ التوفيقَ، وأن نتمكّن من مواصلة هذا الطريق. وفي هذا الصدد، سأدعو بعدة أدعية عسى أن ننال رضا الله ﷻ وتوفيقه:

اللَّهُمَّ! اجعل طريقنا طريق نبيِّك الكريم ﷺ.

اللَّهُمَّ! اجعل قلوبنا رحيمةً تجاه بعضنا البعض، واجعلنا أشدّاء أمام أعدائنا، ورحماء بين عبادك.

اللَّهُمَّ! امنحنا جميعاً توفيقاً تطبيق الإسلام، وإقامة العدل الإسلاميِّ والنبويِّ والعلويِّ.

اللَّهُمَّ! اجعل ثواب اجتماعنا هذا وحسنات المسلمين هديّةً إلى الروح الطاهرة لإمامنا الخمينيِّ العظيم ﷺ^(١).

(١) من كلمة الإمام الخامني دام ظلّه في خطبتي صلاة الجمعة التي أُقيمت في العاصمة الإيرانيّة "طهران"، بتاريخ: ١٣٦٨/٧/٢٨ هـ/ش، الموافق لـ ٢٠/١٠/١٩٨٩ م.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

(١) سورة "يونس عليه السلام" المباركة، الآية: (١٠).

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإقبال بالأعمال الحسنة، السيّد عليّ بن موسى، السيّد ابن طاووس رحمته الله، تحقيق الشيخ جواد القيّومي الأصفهاني، نشر بستان كتاب، التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ في قم المقدّسة - إيران، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ ش.
٣. الأمالي، محمّد بن الحسن، شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله، الناشر: دار الثقافة، قم - إيران، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ ق.
٤. الخصال، محمّد بن عليّ بن بابويه، الشيخ الصدوق رحمته الله، تحقيق الشيخ عليّ أكبر الغفاريّ، نشر مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة - إيران، ط: الأولى، ١٣٦٢ هـ ش.
٥. السيرة النبويّة، لابن هشام، حقّقها وضبطها وشرحها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، نشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ ق / ١٩٩٠ م.
٦. الصحيفة السجّاديّة، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، الناشر: منشورات الهادي، قم - إيران، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ ش.
٧. الفكر الإسلاميّ على ضوء القرآن الكريم، الإمام الخامنيّ دام ظلّه، ترجمة: السيّد عبّاس نور الدين، الناشر: دار المعارف الحكميّة، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٦ هـ ق - ٢٠١٥ م.

٨. **الكافي**، محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني رحمته الله، تحقيق وتصحيح: الشيخ علي أكبر الغفاري ومحمد آخوندي، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط: الرابعة، ١٤٠٧ ق.
٩. **الميزان في تفسير القرآن**، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط: الأولى المحققة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، بيروت - لبنان.
١٠. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام**، العلامة محمد باقر المجلسي رحمته الله، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط: الثانية المحققة، ١٤٠٣هـ ق - ١٩٨٣م.
١١. **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: السيد هاشم رسولي المحلاتي، نشر: المطبعة العلمية، طهران - إيران، ط: الأولى، ١٣٨٠ هـ ق.
١٢. **تفسير القمي**، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمته الله، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ / ش، ١٩٩١م.
١٣. **تفسير سورة البقرة**، للإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: السيد عباس نور الدين، الناشر: مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه، توزيع: دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ٢٠٢٤م.
١٤. **تفسير سورة التغابن**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: الشيخ ياسر طفيلي، نشر: مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والبحوث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه، توزيع: دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر. ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

١٥. **تفسير سورة الحشر**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: سمية يوسف، نشر: مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والبحوث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه. توزيع: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر. ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

١٦. **تفسير سورة الفاتحة**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: السيّد إسماعيل الهبش، نشر: مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والبحوث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه. توزيع: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر. ط: الأولى، ٢٠٢١م.

١٧. **تفسير سورة المجادلة**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: رلى السعيدى، نشر: مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والبحوث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه. توزيع: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر. ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

١٨. **تفسير سورة الممتحنة**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: السيّد علي مرتضى، الناشر: مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه، توزيع: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

١٩. **تفسير سورة المنافقون**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: سمية يوسف، نشر: مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والبحوث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه. توزيع: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر. ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

٢٠. **تفسير سورة براءة**، الإمام الخامنئي دام ظلّه، ترجمة: الشيخ محمد زراقط، الناشر: مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي دام ظلّه، توزيع: دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ٢٠٢٤م.

٢١. **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي رحمه الله، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٢. **تهذيب الأحكام**، محمد بن الحسن، شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله، تحقيق وتصحيح السيد محمد مهدي الموسوي الخرساني، نشر: دار الكتب الإسلامية، قم - إيران، ط: الرابعة، ١٤٠٤ هـ ق.

٢٣. **ديوان مثنوى معنوي**، جلال الدين الرومي، المعروف بـ "مولانا"، ترجمة وشرح: الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا، نشر: المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة، مصر، ١٤١٦ هـ ق، ١٩٩٦م.

٢٤. **روضة الورد**، ترجمة "گلستان" سعدي الشيرازي، المترجم: محمد الفراتي، الناشر: المشرق للثقافة والنشر، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، مطبعة: فجر الإسلام، إيران - طهران.

٢٥. **رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام**، للسيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي رحمه الله، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، قم - إيران، ط: الرابعة، ١٤٢٥ هـ ق.

٢٦. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق وتصحيح: أبو الفضل محمد إبراهيم، نشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي رحمته الله، إيران - قم، ط: الأولى، سنة: ١٤٠٤ ق.
٢٧. صحيفة الإمام الخميني رحمته الله، النسخة الإلكترونية الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمته الله، قم - إيران، ١٤٣١ هـ ق - ٢٠١٠ م.
٢٨. صحيفة الإمام الخميني رحمته الله، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمته الله، الشؤون الدولية، طهران - إيران، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ ق - ٢٠٠٩ م.
٢٩. گلزار ادبی - روضة الورود الأدبية - ، للسيد أشرف الدين الحسيني، نشر: انتشارات مدرسه، طهران - إيران، ١٣٩٧ هـ/ش.
٣٠. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المولى محمد باقر المجلسي رحمته الله، مقابلة وتصحيح: السيد هاشم رسولي، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط: الرابعة، ١٣٧٩ هـ/ش.
٣١. مستدرک الوسائل ومُستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي رحمته الله، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط: الثالثة، ١٤١١ هـ/ق، ١٩٩١ م.
٣٢. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، محمد بن الحسن، شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله، نشر مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١١ هـ ق - ١٩٩١ م.
٣٣. مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مع ملاحظات العاملي رحمته الله، دار المعروف للطباعة والنشر، قم - إيران، ط: الأولى.

٣٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه، الشيخ الصدوق عليه السلام، تحقيق الشيخ علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم - إيران، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ ق.

٣٥. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي المازندراني، المعروف بـ "ابن شهر آشوب"، نشر: انتشارات علّامه، قم - إيران، ط: الأولى، ١٣٧٩ هـ ق.

٣٦. نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي عليه السلام، تحقيق وتصحيح: فيض الإسلام، نشر: هجرت، قم - إيران، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ ق.

فهرست موضوعات الجزء الثاني

في رحاب الآية: (١٦)

- عذاب التخلّي عن نصره الدين ٧
- ترك الجهاد سبب ضعف الأمة الإسلاميّة وتخلّفها ٩
- التفسير الصحيح للجهاد الإسلاميّ ١٠
- معارضة أمريكا للإسلام وسعيها لتشويه صورة الجهاد وحذفه ١٢
- إياكم وترك الجهاد في سبيل الله ﷺ ١٤
- الجهاد طريق الأنبياء وخاصة الأولياء ﷺ ١٧
- الجهاد هو الحلّ الوحيد لمواجهة الأزمات ١٩
- تكليفنا: عدم ترك ساحة الجهاد والنضال ٢٠
- الجهاد ... خروجٌ من الغفلة وحفظٌ للهويّة الإسلاميّة ٢٢
- التقدّم والحضارة ثمرة الجهاد الدؤوب والمستمرّ ٢٣



في رحاب الآية: (١٧)

- حقيقة طاعة الله ﷻ ورسوله وقبول وليّ الأمر المعيّن منه ﷺ ٢٧
- لزوم الإقرار بالعبوديّة والطاعة لله ﷻ ٢٧
- إطاعة الله ﷻ .. أساس النظام الإسلاميّ وميزته الرئيسة ٢٩
- حاکميّة الدين وطاعة الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم ٣١
- معنى إطاعة الرسول ﷺ ٣٦
- ضرورة إطاعة وليّ الأمر في الإسلام ٣٩

- ٤١ ضرورة الحكومة والحاكمية في الإسلام
- ٤٣ إطاعة الرسول ﷺ في الأمور الولائية
- ٤٦ التخيير في الإيمان القلبي
- ٤٧ عاقبة معارضي التيار الإلهي والإسلامي
- ٥١ طاعة الرسول والإمام والولي الفقيه هي طاعة الله ﷻ
- ٥٥ عقاب العصيان في الدنيا والآخرة



في رحاب الآية: (١٨)

- ٦١ أحداث "بيعة الرضوان" ومجرياتها
- ٦٣ السكينة الإلهية من ثمار البعة للنبي ﷺ
- ٦٤ مبايعة الثورة والإمام الخميني ﷺ مبايعة للنبي ﷺ
- ٦٥ السكينة وأثرها في النفس
- ٦٦ أثر السكينة والتوكل على الله ﷻ في مواجهة الحوادث
- ٦٧ لزوم التحلي بالتقوى من أجل تحصيل السكينة



في رحاب الآيات: (١٩-٢٠-٢١)

- ٧١ انتصارات المسلمين آيات إلهية على قدرة الله ﷻ الفائقة
- ٧٢ الجهاد الحماسي .. تقدم نحو الفتح المبين
- ٧٣ النصر الإلهي هو طريق ذات الشوكة

- ٧٤ النزول إلى الميدان والاستعانة بالله ﷻ سببٌ لحصول النصر
- ٧٧ صحوه الشعوب الإسلامية من آيات القدرة الإلهية
- ٧٧ لا تخافوا الشيطان وخافوا الانحراف عن الصراط المستقيم
- ٨٠ تقصيرنا سبب تلقينا للضربات
- ٨٢ العمل بالتكليف سر الانتصار



في رحاب الآيتين: (٢٣-٢٢)

- ٨٩ نصر المؤمنين حقيقة إلهية بديهيّة مُسلّمة
- ٩٢ حقيقة السنن الإلهية
- ١٠١ سنّة الله ﷻ .. انتصار الشعوب المؤمنة العاملة
- ١٠٢ سنّة الله ﷻ .. إذا نزلتم إلى الساحة ستنتصرون على عدوكم
- ١٠٥ سنّة الله ﷻ .. إذا دخل أهل الدين الميدان، فالنصر لهم حتماً
- ١٠٦ من السنن الإلهية .. وجود العراقيل والموانع والعقبات
- ١٠٩ هزيمة الأعداء من السنن الإلهية التي لا تتغيّر
- ١١١ الصمود والمقاومة شرطان لتحقيق النصر الإلهية
- ١١٢ سنّة الله ﷻ .. الصمود والمقاومة طريق النصر
- ١١٤ انتصار الثورة الإسلامية استجابةً من الله ﷻ لصدق الشعب
- ١١٨ من السنن الإلهية .. تراجع جبهة الكفر أمام جبهة الإسلام المناضلة والمجاهدة
- ١١٩ الهزيمة الحتمية للاستكبار مرهونة بالجهاد والدفاع

في رحاب الآية: (٢٦)

- استحكام الجاهلية في العالم قبل بعثة الرسول الأعظم ﷺ ١٢٥
- تصوير أمير المؤمنين عليه السلام عصر بعثة النبي ﷺ ١٣٦
- خصائص أهالي الجزيرة العربية في زمن الجاهلية ١٣٨
- تلقي الجاهلية الضربات منذ اللحظات الأولى للبعثة ١٣٩
- مواجهة الجاهلية .. من أهم شعارات الرسول ﷺ وتوجيهاته ١٤٣
- المعنى الواسع للجاهلية ١٤٤
- أميركا هي المثال الواضح والكامل على الجاهلية الحديثة ١٥٠
- ترويج أجهزة الغرب السياسية والاستكبارية للجاهلية ١٥٢
- الفرق بين الجاهلية العصرية والجاهلية الأولى ١٥٤
- جاهلية اليوم تفوق الجاهلية الأولى بألاف المرات ١٥٤
- العالم الإسلامي اليوم يرزح تحت وطأة الأنظمة الجاهلية ١٥٦
- علة معاداة نظام الجاهلية الحديثة لنظام الجمهورية الإسلامية ١٥٦
- في نظر الإسلام .. لا قيمة للقيم الجاهلية ١٥٧
- التحذير من كبر الحمية وفخر الجاهلية ١٦١
- التفاوت بين الأصولية والتجبر والتحرر والتحلل ١٦٣
- السكينة الإلهية نعمة كبرى ١٦٦
- عندما تعاهدون الإمام ﷺ وتبايعون الثورة فقد بايعتم النبي ﷺ ١٦٧
- السكينة وأثرها في النفس ١٦٨
- عوامل تحقيق السكينة الإلهية في قلوب المؤمنين ١٧٣
- زيادة السكينة والطمأنينة تزيد التقوى والإيمان بالله ﷻ ١٧٥

القرآن والإسلام يمنحان العلم والرفاه والعزة والسكينة ١٧٧

في رحاب الآية: (٢٧)

عداوة أحزاب الشرك والنفق للإسلام والنبى ﷺ ١٨١

الإسلام.. من نهضة "مكة" إلى نظام المدينة السياسي ١٨٢

أسس الحكومة الإسلامية: نموذج حضاري إنساني ١٨٣

معركة الخندق ... انكسار الأحزاب وتبشير الفتح ١٨٥

فتح "مكة" .. اقتدار النبى ﷺ وانتصار النبوة ١٨٦

في رحاب الآية: (٢٨)

اتباع الهداية الإلهية ودين الحق سبيل الفلاح والخلاص ١٩٥

أسباب مشكلات البشرية ومعاناتها ١٩٦

يوم البعثة أعظم أيام السنة وأهمها ١٩٨

النبى الأكرم ﷺ صانع الحضارة الإسلامية ١٩٩

الإسلام سفينة نجاة البشرية ٢٠١

العلامات الرمزية على إرادة الله ﷻ في تحرير البشر من القيود ٢٠٢

الإرادة البشرية وسبل الوصول إلى الأهداف الإلهية ٢٠٣

مولد النور: بداية رحلة تحرر الإنسانية وانعتاق البشرية ٢٠٤

البشرية بحاجة اليوم إلى تعاليم نبى الإسلام ﷺ الوضاعة ٢٠٥

معنى غلبة الإسلام الأديانَ وزمان هذه الغلبة ٢٠٨

- فشل سعي الأعداء في إطفاء نور الإيمان ٢١١
- الوعد الإلهيِّ بعالمية الإسلام ٢١٢
- وعد الله ﷻ بحفظ دينه وإظهاره على مرّ الزمن ٢١٥
- كيف سيسود دينُ الله ﷻ المعمورة؟ ٢١٧
- أسلوبان لغلبة الدين واستقطاب القلوب ٢١٩
- انتشار الإسلام رغم التحديات والمعارضة والعداء ٢٢٠
- خطر الخرافات على الإسلام ٢٢١
- دعوة لتحسين الدين من الخرافة برصانة المنطق وقوة البرهان ٢٢٣
- حاكمية الإسلام شرطٌ تحقّق العدالة الاجتماعية ٢٢٣
- حاكمية الإسلام الحقّة استمالت القلوب بالعدالة ٢٢٤
- فقدان العدالة واقعٌ يحفّز على التوجّه نحو الإسلام ٢٢٤
- عدالة النظام الإسلاميّ ضمانٌ للحقوق وجاذبٌ صوب الإسلام ٢٢٥
- المنطق والعدالة مفتاحا سيطرة الإسلام على العالم ٢٢٦
- ضعف كيد أعداء الإسلام وفشل دسائسهم ومؤامراتهم ٢٢٧
- وعد القرآن الكريم .. انتصار الإسلام على القيم الزائفة ٢٢٨
- الإسلام في مواجهة التحديات ٢٢٨
- الإمام الخمينيؒ رائد نهضة الإسلام في عصر الغربة ٢٣٠
- عوامل تحقّق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ٢٣١
- رسالة الثورة الإسلامية إلى الأمة الإسلامية ٢٣٢
- النصر موقوفٌ على الجهاد والصبر والصمود ٢٣٥
- تعلّق الإرادة الإلهية بإظهار الإسلام رغم التآمر والتحديات ٢٣٦

- انتصار الثورة الإسلامية خروجٌ للإسلام من غربته ومظلوميته ٢٣٨
- رأية التوحيد والإسلام والإيمان أمل جميع المستضعفين ٢٣٩
- الطريق إلى تحقيق وعد الله ﷺ ٢٤١
- ﴿وَلَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ٢٤١



في رحاب الآية: (٢٩)

- بعض خصوصيات القرآن الكريم ٢٤٦
- خصوصيات المؤمن في سورة "الفتح" المباركة ٢٤٧
- تبين مفهوم الولاية بين المؤمنين والكافرين ٢٤٧
- دعوة للعودة إلى الولاية والعمل بالقرآن ٢٤٩
- لازمة الولاية والتوحيد: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٢٥٠
- معايير الولاء والعداء في القرآن ٢٥١
- علامات المجتمع الإسلامي وأركان قيام الأمة الإسلامية ٢٥٢
- الركن الأول: اقتدار الأمة الإسلامية ٢٥٢
- الركن الثاني: المودة بين المؤمنين ٢٥٣
- لزوم مواجهة الفكر المتطرف الخادم للكفر والظالمين ٢٥٤
- الركن الثالث: الخشوع والتعبد للخالق العظيم ﷻ ٢٥٥
- كنوز قرآنية ينبغي معرفتها والعمل بها ٢٥٥
- ١- الصلابة في وجه الأعداء والمغرضين ٢٥٥
- ٢- الرأفة والمحبة والرحمة بين المؤمنين ٢٥٦

- ٣- اجتناب طواغيت العالم وأشراره ٢٥٦
- ٤- التحرّر من أغلال الجهل والتعصّب والجمود ٢٥٧
- ماذا تكون النتيجة؟ ٢٥٧
- التفاوت بين التوجّه إلى القيم والشدّة والعنف ٢٥٨
- ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .. مظهر الاعتدال في الإسلام ٢٥٩
- ضرورة ترسيم الحدود مع العدوّ والرحمة بين المؤمنين ٢٦٠
- المعنى الصحيح لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٢٦١
- ﴿أَشِدَّاءُ﴾ تعني: الصمود والثبات والقوّة والمتانة ٢٦٢
- صلابة مواقف النبي ﷺ وثباته أمام أعدائه ٢٦٣
- علينا دراسة حياة الرسول ﷺ بالمليّمات ٢٦٥
- عليّ ﷺ .. تجسيدٌ لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٢٦٦
- تضادّ الصفات في شخصيّة أمير المؤمنين ﷺ ٢٦٩
- حزم أمير المؤمنين ﷺ مع الخوارج ٢٧١
- الخوارج والمنافقون تجسيدٌ للنفاق في مواجهة الحقّ ٢٧٢
- سبيل الفهم الحقيقي لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٢٧٣
- من هم هؤلاء الكفّار الذين أمرنا بالتشدّد معهم؟ ٢٧٥
- مواجهة تحريض العدوّ بالوحدة والتراحم بين المؤمنين ٢٧٦
- سُبل تشخيص العدوّ وتمييزه عن الصديق ٢٧٧
- الوحدة بين المسلمين أساسُ رُقَيّ الأُمّة ورفعتها ٢٧٧
- الوحدة .. مبعثُ لعظمة الأُمّة وهيبتها وشرفها ٢٧٨
- صلاة العيد والحجّ: رمز الوحدة بين المسلمين ٢٧٨

- ٢٧٩ إحياء أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ليس أمراً خاصاً بالشيعة
- ٢٨٠ دور مراكز التجسس والاستخبارات في التفريق بين المسلمين
- ٢٨١ دور الجمهورية الإسلامية في تعزيز الوحدة والقضايا العادلة
- ٢٨١ تخويف الناس بعضهم من بعض خلاف العقل والحكمة
- ٢٨٢ مصلحتنا في وحدتنا ومصلحة العدو في الفصل بيننا
- ٢٨٢ من هو العدو؟
- ٢٨٣ مخالفة الإسلام للتعددية الدينية
- ٢٨٤ الرحمة والشفقة .. دروس من سيرة النبي الأعظم عليه السلام
- ٢٨٥ الوحدة .. مصلحة إلزامية في مواجهة التهديدات والغطرسة
- ٢٨٥ أوامر قرآنية مصيرية لتحديد العدو ومواجهته وتعزيز الوحدة
- ٢٨٦ مسؤوليتنا: نصره الشعوب الإسلامية والتصدي للعدو
- ٢٨٦ واجبتنا: تقديم النصيحة إلى قادة بعض الدول الإسلامية
- ٢٨٧ عمل الحكومات خلافاً لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
- ٢٨٨ خيانة الحكومات وصرفها ثروات الشعوب في خدمة الأعداء
- ٢٨٩ زوال الباطل وذلته .. وعد إلهي صادق
- ٢٨٩ المستقبل للإسلام والقرآن .. دعوة للثقة بالوعد الإلهي
- ٢٩٠ تجربة الشعب الإيراني الإيمانية والجهادية في تحقيق النصر
- ٢٩١ لزوم التوازن بين المباني والأسس والعلاقات الدولية
- ٢٩٢ الإسلام والأمة الإسلامية في زمن الفتنة
- ٢٩٤ دور السياسات المعادية في خلق الفتن والنفور والشقاق
- ٢٩٥ تحذيرات من تبعات السياسات الخاطئة ودعوة للتوبة والإصلاح

- كشف زيف الاستكبار وممارساته العدوانية وأساليب نفاقه ٢٩٦
- خرق براقع الخداع والنفاق الغربيّ وانكشاف نواياه الخبيثة ٢٩٨
- خوف المستكبرين من الصحوّة والوحدة الإسلاميّة ٢٩٩
- تنازع المسلمين أماناً لأعداء الإسلام والصهاينة ٣٠٠
- فلسطين: قضية الأمة الإسلاميّة المركزيّة ومفتاح انتصاراتها ٣٠١
- فاجعة الإفتاء لمصلحة الصهاينة .. خيانة للإسلام وفلسطين ٣٠٢
- لزوم اليقظة وعدم التغافل والتجاهل عن كيد العدو ٣٠٢
- أعداء الإسلام الحقيقيّون داخل المجتمع الإسلاميّ ٣٠٣
- بلاء العالم الإسلاميّ .. بُعدُهُ عن القرآن ٣٠٤
- العودة إلى القرآن سبيل النصر والتحرّر ٣٠٦
- الصداقة مع العدوّ سياسةٌ بلهاء تستدعي الغضبَ الإلهيّ ٣٠٧
- حلفاء أميركا والصهاينة والتكفيريّون ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ٣٠٨
- الشعوب المسلمة مخالفةٌ للصهيونيّة ولن تنسى فلسطين ٣٠٩
- التيّارات التكفيريّة بشريّ للاستكبار ولأعداء الإسلام ٣١٠
- آياتُ القرآن والمعارفُ القرآنيّة تحتمّ دعم قضية "غزة" ٣١٢
- صمود أهل "غزة" سبيلهم لنصر الله ﷺ ٣١٣
- عداءُ العدوّ للإسلام ذاتيّ وليس موسميّاً أو فصليّاً ٣١٤
- التراجع أمام العدوّ خطأ فادح ٣١٤
- التربية الإسلاميّة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٣١٥
- الصلاة بخشوع سبيل الكون من ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ٣١٧
- الحجّ مظهرٌ لـ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٣١٨

- الصراط المستقيم .. طريق صبر واستقامة وجهاد ٣١٩
- سعي العدو لعدم تطبيق الإسلام بشكل كامل ٣٢٠
- بلادنا: موطن الجهاد والتعاش، موطن القيم والتوكل ٣٢١
- افتخار الشعب الإيراني بأنه يعيش في ظل الإسلام وعزته ٣٢٢
- الوحدة في الرؤية الكونية الإسلامية ٣٢٥
- مهمة الأنبياء ﷺ توجيه الإنسان نحو صراط الله ﷻ المستقيم ٣٢٦
- التنافر بين وصايا الأنبياء ﷺ ودعوات الشياطين ٣٢٧
- رسالة الإسلام ومنطقه ٣٢٨
- وجوب التصدي بشدة للمخلين بحركة الوحدة والأخوة ٣٢٩
- عداء الاستكبار للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان ٣٣٠
- لزوم الوقوف بصلافة واستحكام في مواجهة نفوذ الأعداء ٣٣١
- تكتيكات العدو تقوم على المناورات السياسية المختلفة ٣٣٢
- لزوم التصدي للعدو بصلافة وعدم السماح له بالنفوذ ٣٣٣
- وصية الإمام الخميني ﷺ الحقيقية ٣٣٥
- درس الإمام الخميني ﷺ لزوم المحافظة على الخطّ الفاصل ٣٣٧
- مستند درس الإمام الخميني ﷺ وتوصيته ٣٣٨
- الهندسة السياسية للإمام الخميني ﷺ ٣٣٩
- ردّ فعل نظام الهيمنة والاستكبار على الخطّ الفاصل معه ٣٤٠
- هدف الاستكبار: عكس الحدود التي رسمها الإمام ﷺ ٣٤٢
- أمريكا الشيطان الأكبر ٣٤٢
- لزوم عودة الشعوب الإسلامية إلى الإسلام ٣٤٣

- ٣٤٤ تجربة الجمهورية الإسلامية نموذجٌ أوّل
- ٣٤٥ أرفع تجربةٍ للمسلمين: انتصار الشعب الإيراني ببركة الإسلام
- ٣٤٦ طريق الثورة لم يكن سهلاً وممهّداً
- ٣٤٧ انتصار الثورة الإسلامية: حدثٌ عظيم البركة
- ٣٤٨ الإمام الخميني عليه السلام أحيّا الإسلام ومنح المسلمين القوة والعزة
- ٣٥١ الإسلام الأصيل إسلامٌ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
- ٣٥١ الإسلام المتّحد مع أمريكا نفاقٌ خطرٌ ومهلك
- ٣٥٢ القضية الأساس: تعزيز العلاقات وإزالة الخلافات
- ٣٥٣ مبادئ ثورة الإمام الخميني عليه السلام .. نهجٌ للجمهورية الإسلامية
- ٣٥٤ دستور الإسلام .. سبيلنا ونهجنا
- ٣٥٥ الثورة كائنٌ حيٌّ ينمو ويسمو ويتكامل
- ٣٥٦ جامعة الإمام الحسين عليه السلام: ﴿كَزَرَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ...﴾
- ٣٥٧ ثمار الثورة الإسلامية تُغيظ الكفار وتُغضبهم
- ٣٥٨ ينبغي أن نُشكّك في فائدة سلوكنا الذي لا يُغيظ أعداءنا
- ٣٥٩ ختمٌ ودعاء



- ٣٦٥ فهرست المصادر والمراجع
- ٣٧١ فهرست موضوعات الجزء الثاني
- ٣٨٣ من إصدارات مركز نداء الإمام الراحل عليه السلام (منار) لنشر الفكر الأصيل



من إصدارات

مركز الدراسات والبحوث لشبكة الإمامين

- ١- تفسير سورة الحمد - للإمام الخميني دام ظلّه.
- ٢- سيماء المعصومين عليهم السلام في فكر الإمام الخميني دام ظلّه.
- ٣- القرآن كتاب الهداية في رؤية الإمام الخميني دام ظلّه.
- ٤- العمليات الاستشهادية ... دراسة في حقيقتها ومشروعيتها.
- ٥- اللوحة السرّ ... قصّة موعظة وإطار.
- ٦- أربعون عبرة من عبر عاشوراء.
- ٧- بحث حول الصبر - الإمام الخامنئي دام ظلّه.
- ٨- من أعماق الصلاة - الإمام الخامنئي دام ظلّه.
- ٩- على أجنحة العروج إلى خلوة الأنس - إرشادات ومواعظ وليّ أمر المسلمين الإمام السيّد عليّ الحسينيّ الخامنئي دام ظلّه حول أهميّة الصلاة، قيمتها، وآثارها.
- ١٠- في رحاب سورة الفتح المباركة - إشارات واستفادات من كلمات وليّ أمر المسلمين الإمام السيّد عليّ الحسينيّ الخامنئي دام ظلّه - وهو هذا الكتاب.

من إصداراتنا الرقمية

إصدار برنامج للحاسوب تحت عنوان "حمد العارفين" يحتوي

على:

- خمس محاضرات معرفية في تفسير بسملة سورة "الحمد"

المباركة، كان الإمام الخميني^{رحمه الله} قد ألقاها عام ١٩٨٠م بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة بأشهر قليلة.

- المتن الكامل لـ **صحيفة الإمام الخميني^{رحمه الله}** الجامعة

لخطاباته ونداءاته ومقابلاته ورسائله الشخصية.

- المتن الكامل لبعض مؤلفات الإمام الخميني^{رحمه الله}: (الأربعون

حديثاً، آداب الصلاة، سر الصلاة، شرح دعاء السحر، جنود العقل والجهل، الجهاد الأكبر، الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، وغيرها).

- إطلالة شاملة على سيرة ومسيرة الإمام الخميني^{رحمه الله}.

- عشرات الكتب والأبحاث والمقالات حول سيرة ومواقف

وأفكار الإمام الخميني^{رحمه الله} والإمام القائد الخامنئي^{دام ظلّه}.

- مجموعة كبيرة من الصور والأفلام الوثائقية والملفات

الصوتية.